مُرَاوِد

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

يشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: **marawed@sih.gov.ae**

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898

marawed@sih.gov.ae

الافتتاحية

د. عبدالعزيز المسلّم

رئيس معهد الشارقة للتراث

رئيس التحرير

المهرجانات التراثية تعزّز الوعي بالتراث

تشكّل المهرجانات والبرامج والفعاليات والأنشطة مساحة مهمة لإذكاء جذوة الوعي بأهمية التراث الثقافي، والاهتمام به، وغرس مُثله وقيمه لدى الأبناء والنشء واليافعين، وإيصال رسالته السامية إلى أفراد المجتمع كافة؛ لذلك فقد عملنا في معهد الشارقة للتراث على العناية بهذا الجانب، ووضعه ضمن مرتكزات الرؤية الاستراتيجية للمعهد، لما لمسناه من حضور كبير، وحظوظ وافرة للبرامج التراثية والفعاليات الثقافية لدى جمهور التراث ومحبيه.

وبما أن الشارقة عاصمة الثقافة العربية والإسلامية، وهي الوجهة الجاذبة، والواجهة الثقافية العربية التي تحتضن سنوياً عشرات البرامج والفعاليات، التي يأوي إليها لفيف من المفكّرين والخبراء والمبدعين من شتى أنحاء العالم، فإن البرامج التراثية تجد لها مساحة كبيرة للعرض والإبراز منذ أكثر من عقدين من الزمان، ومنها: ملتقى الشارقة الدولي للراوي، أيام الشارقة التراثية، ملتقى الشارقة للحرف التقليدية، أسابيع التراث الثقافي العالمي في الشارقة.. وغيرها، وذلك ضمن الخطة الثقافية الشاملة للإمارة.

في هذا العدد كانت لنا وقفات مهمة مع أبرز المهرجانات والبرامج والفعاليات التراثية المنظمة في عموم مناطق الإمارة، وفي الإمارات، ثم في المنطقة العربية فالعالم، وذلك بهدف التعريف بتلك البرامج والفعاليات، وتقديمها للقارئ، ليتعرّف إلى ما تزخر به من تنوّع وغنى.

كما اشتمل العدد على مقاربات نوعية، لامست قضايا تراثية متعددة في الإمارات والمنطقة العربية، وذلك تماشياً مع سعينا الحثيث لأن تكون مجلة «مراود»، المنبر الثقافي والتراثي العربي، والظل الوارف الذي تستظل به نخبنا العربية، وتجد فيه مساحة للنقاش والحوار، والتبادل الثقافي، والتواصل الإنساني، فلا غرو، والحال هذه، أن تضم المجلة كوكبة من الكُتّاب الإماراتيين والخليجيين والعرب، الذين يقدمون محتوى تراثياً جاداً وهادفاً، ويتواصل مع الأهداف الكبرى التي نسعى إلى تحقيقها.

az.almusallam@gmail.com

المحتويات

العدد 46 – سبتمبر 2022

مراود

الغلاف

12
ملف العدد
المهرجانات التراثية ودورها في استدامة التراث

10
برامج وفعاليات
عبدالعزيز المسلّم يتسلّم الدكتوراه الفخرية من جامعة هندية مرموقة

62
موسيقا الشعوب
بين إيمانويل كانط وعلم الموسيقا العِرقيّ

66
فنون شعبية
فن الياماال

68
دراسة
خليفة بن شخبوط شاعر القرن التاسع عشر

70
زاوية
السحر والخرافات في الرواية العربية

82
قراءة أدبية
«نازلة دار الأكابر» تناسل حكايات بطلها «الطاهر الحداد»

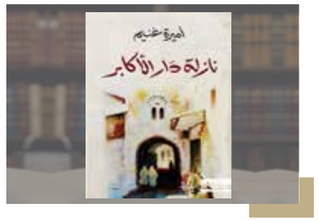

78
خواطر
«نواخذة السفر الشراعي في الكويت»

86
تنبيهات
البغلة تقودها خطاها

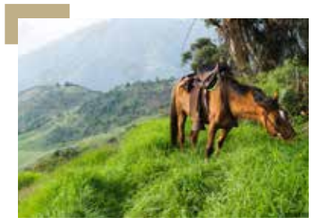

92
إضاءة
المدن الثقافية.. الشارقة نموذجا

88
رؤية
تفاعلات متجددة في عوالم متغيرة الإنسان معول التجديد

90
فولكلور الماء
(آبار وعيون الماء)

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّى بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي
أ. سارة إبراهيم

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

حوار العدد

راشد عبدالله المحيان الكتبي سيرة عطرة وشخصية تتسم بالأصالة

136

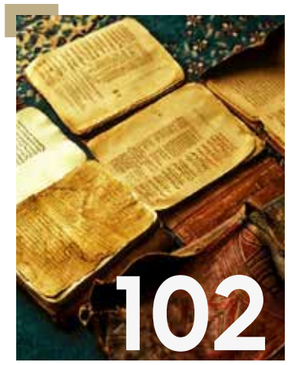

102

من وحي التراث

التراث المخطوط في موريتانيا مدينة ولاتة التاريخية نموذجا

عيون التراث

98

النويري..وموسوعته الكبرى «نهاية الأرب في فنون الأدب»

أمثال شعبية

105

الأمثال الشعبية تراث إنساني بلغات محلية

العمارة التراثية

أنواع المباني الإغريقية

110

حصاد التراث

120

المراجع البيليوغرافية للتراث العربي الإسلامي

واحة القراءة

124

رحلة الصعود من عتبة العلم إلى روح الفلسفة

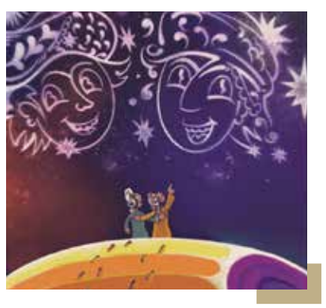

144

نافذة

الأديب الصيني لو شون

الآراء الواردة في المقالات، والتحقيقات، والمقابلات، تُعبر عن رأي أصحابها ومواقفهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي وتوجه المجلة، ويتحمل أصحابها المسؤولية الأدبية أمام الرأي العام، والقانونية أمام الجهات المختصة.

800TURATH
+971 6 5092666
marawed_sih
www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

عبدالعزيز المسلّم يتسلّم الدكتوراه الفخرية من جامعة هندية مرموقة

كرّمت جامعة العلوم والتكنولوجيا بولاية ميجالايا الهندية، سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، في حفلة التخريج الاستثنائية التي تم انعقادها في قاعة المؤتمرات، وذلك لجهوده المخلصة في نشر التراث العربي والثقافة الإسلامية في كل أرجاء العالم، وتثميناً لمشاريعه المبتكرة، ومبادراته المتنوّعة في ميدان التراث، باسترجاع القرى التراثية، والمقتنيات التاريخية، وتأسيس مراكز علمية، ومتاحف تراثية، في داخل إمارة الشارقة وخارجها.

وقام البروفيسور محبوب الحق، رئيس الجامعة، بمنح درجة الدكتوراه الفخرية مع وسام الشرف والشهادة العلمية.

«الشارقة للتراث» يحتفي بإنجازات المرأة الإماراتية

نظّم معهد الشارقة للتراث برنامجاً احتفالياً، في مركز المنظمات الدولية للتراث الثقافي، التابع للمعهد، بمناسبة يوم المرأة الإماراتية، الذي يقام هذا العام تحت شعار «واقع ملهم.. مستقبل مستدام»، ضمن احتفالات الدولة برعاية كريمة من سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك (أم الإمارات) رئيسة الاتحاد النسائي العام الرئيسة الأعلى لمؤسسة التنمية الأسرية رئيسة المجلس الأعلى للأمومة والطفولة.

«الشارقة للتراث» يُناقش «الظواهر الطبيعية»

نظّم معهد الشارقة للتراث مبادرة «بركة التراث» في نسختها الخامسة، في مركز فعاليات التراث الثقافي «البيت الغربي» بقلب الشارقة، تحت شعار «حماة التراث»، ضمن برنامج «الشارقة مدينة مراعية للسنّ»، بمشاركة عدد من الباحثين والمختصين في التراث، من بينهم الدكتور سعيد الحداد، مدير فرع المعهد في كلباء، وسعيد الطنيجي، وجمعة بن ثالث، وسلطان بن غافان، وناصر الكاس.

وركز الحديث حول الظروف والأحوال الجوية التي كانت سائدة سابقاً، وكيف كان يتم التعامل معها من قبل الأهالي، بحضور عدد من كبار السنّ المنتسبين من نادي الأصالة، التابع لدائرة الخدمات الاجتماعية، إضافة إلى عدد من المتخصصين في الجوانب التراثية.

«الشارقة للتراث» يشارك في مهرجان ليوا عجمان للرطب والعسل

شارك معهد الشارقة للتراث في فعاليات النسخة السابعة من مهرجان «ليوا عجمان للرطب والعسل»، الذي نظّمته دائرة التنمية السياحية على مدار ثلاثة أيام في قاعة الإمارات للضيافة، حيث تنوّعت مشاركة المعهد إلى برامج وأنشطة هادفة وجاذبة، مثل الورش ومعرض الإصدارات.

تظاهرات ثقافية في شتّى دول العالم

المهرجانات التراثية تاريخ راسخ وحضارات لا تعرف الاندثار

تعدّ المهرجانات التراثية جزءاً لا يتجزأ من الحياة العامة لأي مجتمع، وقد باتت، رغم كل التقدّم العلمي والتكنولوجي، إرثاً حضارياً تحرص كثير من الدول على الاهتمام به وترسيخه في احتفالات سنوية وموسمية، يتم خلالها استحضار التاريخ وحضارات الشعوب المتعاقبة عبر الأزمنة، في شتّى صور التراث المادي وغير المادي.

وتعتبر دولة الإمارات العربية المتحدة من الدول التي تولي اهتماماً بارزاً للمهرجانات والفعاليات التراثية، حيث تحتضن الدولة بإماراتها السبع العديد من المهرجانات والأنشطة التراثية، ومنها:

- **أيام الشارقة التراثية:**

فعالية تراثية انطلقت في عام 2003، ومثّلت فضاءً ثقافيّاً ذا جذور عميقة في المشهد الثقافي والاجتماعي الإماراتي والخليجي، فضلاً عن العربي، وعلامة بارزة على انفتاح الشارقة ودولة الإمارات العربية المتحدة على العالم الأرحب للتنوّع الثقافي.

وتشمل فعاليات الأيام التراثية، كل عام، العديد من الأنشطة الثقافية والبرامج التراثية المتنوّعة، من بينها: الندوات الفكرية والأمسيات الثقافية، والمعارض الفنية، والعروض التراثية.

أسابيع التّراث العالمي

برنامج تراثي وثقافي يحتفي بتراث العالم الثقافي شهرياً، ضمن أسابيع التراث العالمي، وذلك بعرض نماذج من تراث الدول المستضافة، بمختلف تجلياته وأنواعه، من حِرف تراثية، وفنون شعبية، وطبخ تقليدي، وألعاب شعبية، وغيرها ممّا يرتبط بتراث الشعوب والدول المستضافة.

ملتقى الشارقة الدولي للراوي:

تقليد سنوي يحتفي بالكنوز البشرية، انطلق منذ سنة 2001م، في نطاق توجهات صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وتوجيهاته بالحفاظ على التراث بشقيه المادي وغير المادي.

وكان الملتقى عبارة عن يوم للاحتفاء بحملة التراث الشفهي من الرواة والإخباريين، والعناية بكبار السنّ منهم، وتكريمهم، ثم شهد نقلة نوعية مهمة في عام 2015، وأصبح ملتقى دولياً لاحتفاء بالكنوز البشرية على المستوى المحلي والعربي والدولي.

• ملتقى الشارقة للحِرف التقليدية

تقليد تراثي سنوي يحتفي بالحرف التقليدية، انطلق منذ سنة 2007م، بتوجيهات سامية من صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ إذ وضع مسألة صون الحِرف التراثية وإحيائها ونقلها وحماية مبدعيها، على رأس أولويات العمل الثقافي والتنموي في الإمارة الباسمة.

• «بشارة القيظ»

فعالية سنوية تحتفي بالتراث الإماراتي، وتعمل على إحياء مفرداته ورموزه في نفوس الأطفال وطلاب المدارس، وتوعيتهم بأهمية الحفاظ عليه؛ لمَا يحمله من معانٍ تربط الماضي بالحاضر، بباقة من الأعراف والتقاليد، التي تعدّ ركيزة أساسية للمجتمع الإماراتي. و«القيظ» يطلق في الإمارات على فصل الصيف، ويتسم بشدة الحرارة، وله معانٍ كثيرة تدلّ عليه، منها بشارة نضوج الثمر؛ فيقولون: «قاظت نخلكم؟»؛ أي هل بانت تباشير نضوجها؟

ويختار المعهد في كل سنة موضوعاً جديداً يرتبط بفصل الصيف، ليكون شعاراً للفعالية، ويتم من خلال استحضار كل ما يتعلق بذلك العنصر التراثي من موضوعات، من شعر ونثر وأقوال وحكم وأمثال..

• حق الليلة:

وتعتبر هذه المناسبة إماراتية بامتياز، فهي مناسبة عريقة، ويعد الاحتفال بها احتفاء بالموروث الإماراتي، وتأكيداً على استمراريته، وتصادف هذه المناسبة في ليلة النصف من شعبان.

• مهرجان دبي وتراثنا الحي:

ينظّم هذا المهرجان من قبل هيئة دبي للثقافة والفنون، تزامناً مع اليوم العالمي للتراث، وتهدف هذه الخطوة لتعزيز وعي مختلف الشرائح في المجتمع بالتراث المادي والمعنوي للدولة، والتعريف بقيمها الأصيلة وعاداتها وتقاليدها العريقة، ولتقديم صورة إيجابية للسياح عن جوانب التراث البري والبحري، والتمتع بتجربة فريدة لتعلم الحرف الإماراتية التقليدية، بأيدٍ وطنية تتخللها ورشات تراثية، وأهازيج شعبية ولقاءات ودية وفعاليات ترفيهية مستوحاة من التراث العريق للدولة.

• المهرجان الوطني للصناعات والحرف التقليدية:

يسلّط المهرجان الضوء على أهمية الصناعات اليدوية التقليدية في التراث الإماراتي، وذلك دعماً للجهود الرامية إلى حفظ وصون التراث، ونقل هذه الحرف إلى الأجيال القادمة، ويشتمل المهرجان - الذي يقام في مدينة العين القلب التراثي النابض لإمارة أبوظبي- على عدد من الأنشطة والمبادرات، بما في ذلك السوق المخصص للحرف والمنتجات التقليدية.

• مهرجان تراث الإمارات:

ينظم المهرجان وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع بالقرية التراثية في قلعة الفجيرة بالإمارة، انطلاقاً من أهمية الحفاظ على التراث والموروث الشعبي الإماراتي وإحيائه، نظراً للعلاقة القوية التي تربط الإماراتيين بحضارتهم وتاريخهم ومخزونهم الثقافي والتراثي.

• مهرجان تراث الإمارات الثاني:

يصادف المهرجان في اليوم ذاته الذي يصادف فيه يوم التراث العالمي؛ أي في 18 إبريل من كل عام، في إمارة رأس الخيمة، وتنظمه وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع.

• مهرجان ليوا للرطب:

يحمل المهرجان أهمية تراثية ودلالة رمزية، ويضم فعاليات ثقافية غنية، وتشارك فيه مجموعة من الدوائر الحكومية، تشجيعاً للمزارعين ودعماً لهم، ويتميز المهرجان بأنه يقدم جوائز كثيرة وقيّمة، كما أن جهات كبرى تشرف على المهرجان، وترعاه كمركز حمدان بن محمد لإحياء التراث.

- المهرجانات التراثية في دول الخليج

- السعودية

• مهرجان بريدة للتمور:

هو سوق موسمي سنوي، يقام في موسم نضوج التمور في المنطقة، ويبدأ عادة مع بداية شهر أغسطس، ويستمر من شهرين إلى ثلاثة. ويتميز السوق بأنه الأكبر في العالم من حيث العرض؛ حيث تقدر مبيعاته اليومية بـ18 مليون ريال سعودي. كما أن أصناف التمور تتجاوز الثلاثين صنفاً. يقع هذا السوق على طريق الملك عبدالعزيز جنوباً.

• مهرجان الملك عبدالعزيز لمزايين الإبل:

مهرجان يؤصل الموروث التراثي للمملكة، حيث يتنافس ملاك الإبل بإقامة عروض مزايين الإبل، ويحتوي المهرجان على مسابقة من خمس فئات رئيسة، هي: (المغاتير، المجاهيم، الصفر، الشعل، الحمر)، والتي قسمت إلى ثلاث فئات عددية (فئة الثلاثين، فئة الخمسين، فئة المائة).

• مهرجان جدة التاريخية:

مهرجان تراثي سياحي ثقافي، يعكس حياة جدة عن طريق المعروضات الأثرية والمتاحف التراثية، والاستكشاف في الشارع، وعروض حية على الهواء للشخصيات القديمة والمهن التاريخية والحرف اليدوية والفن الشعبي، مثل المزمار والصهبة والدانة واللون البحري.

• مهرجان كلنا نحب التراث

يتضمن المهرجان عدداً من الفعاليات التراثية والسياحية والثقافية في مدينة نجران حي أبا السعود التاريخي.

• مهرجان ريف الأحساء:

مهرجان شعبي يهتم بالموروث الشعبي لريف الأحساء، حيث يتم عرض أهم الحرف اليدوية والألعاب الشعبية وكل ما له علاقة بالموروث الشعبي للريف الأحسائي، مع مجموعة من الفعاليات المصاحبة والمسرح.

• مهرجان البيضا التراثي:

مهرجان يعنى بالتعريف بالتراث الاجتماعي، ويضم العديد من البرامج والأنشطة التي تستهدف جميع قطاعات المجتمع، كما يعنى بالتعريف بمتنزه البيضا البري.

• سوق عكاظ:

يشكل سوق عكاظ اليوم معلماً سياحياً فريداً في المملكة العربية السعودية، ورافداً مهماً من روافد السياحة، إذ يقوم السوق اليوم في المكان ذاته الذي يقع فيه سوق عكاظ التاريخي، وتأتي

أهميـة سـوق عـكاظ اليـوم في كونـه ملتقـى شـعرياً وفنيـاً وتاريخيـاً فريـداً مـن نوعـه، يقصـده المثقفـون والمهتمـون بشـؤون الأدب والثقافـة.

• مهرجان الصحراء الدولي:

مهرجـان لأحيـاء الـتراث الصحـراوي بـكل مكوناتـه كحيـاة البادية وطـرق العيـش والتعامـل مـع الصحـراء والمنتجـات اليدويـة، بالإضافـة إلى معـارض وورش عمـل.

- قطر

• مهرجان سوق واقف:

هـو مهرجـان ذو طابـع تـراثي، يهـدف إلى إحيـاء الذاكـرة الثقافيـة القطريـة والخليجيـة، وتعزيـز حضورهـا في مختلـف الفعاليـات المحليـة والمناسـبات، ويقـام سـنوياً في العاصمـة القطريـة الدوحـة، ومقـره سـوق واقـف، أحـد أعـرق الأسـواق بالخليـج.

• مهرجان التمور:

يسـمّى مهرجـان الرطـب المحـلي، وتنظمـه وزارة البلديـة والبيئـة، في شـهر أغسـطس، ويـأتي بالتزامـن مـع موسـم إنتـاج الرطـب في قطـر، ويهـدف إلى التعريـف بالتمـور، وترسـيخ الوعـي الثقـافي والـتراثي المرتبـط بشـجرة النخيـل.

• مهرجان حلال قطر:

مهرجـان حـلال قطـر الخـاص بتربيـة الأغنـام مـن الماعـز والضـأن، ويقـام في فبرايـر بالمنطقـة الجنوبيـة لكتـارا، ويهـدف إلى نقـل صـورة حيـة عـن حيـاة الآبـاء والأجـداد إلى الجيـل الجديـد، بهـدف تعزيـز الـتراث الثقـافي والمـوروث الشـعبي، وإذكاء المنافسـة بـين مـربي الحـلال مـن داخـل الدولـة وخارجهـا، وبصفـة خاصـة دول الخليـج العـربي.

• مهرجان كتارا للمحامل التقليدية:

تنظّمه مؤسسة الحي الثقافي (كتارا)، ويتضمّن أنشطة ومسابقات مستمدة من التراث البحري الخليجي، ويضم مجموعة من المعارض والورش للتعريف بالمهن البحرية التراثية.

• مهرجان التنوع الثقافي:

ينظمه مكتب «اليونسكو» بالدوحة، كجزء من برنامج الحوار بين الثقافات والتنوع الثقافي، وقد استمرت الدورة الأخيرة من المهرجان خمسة أشهر، شهد خلالها الحي الثقافي عروضاً فولكلورية متنوعة لأكثر من 20 دولة.

- الكويت

• مهرجان الغوص الكويتي:

مهرجان الغوص الكويتي في رحلته الثامنة والعشرين، ومن أبرز مزايا هذه الرحلات أنها تعيد للأذهان سنوياً صورة الماضي، حيث كان الأجداد ينظمون رحلات بحرية بحثاً عن اللؤلؤ واكتشاف خيرات البحر في الكويت، بتنظيم من النادي البحري الرياضي الكويتي.

• مهرجان التراث الكويتي:

يهدف إلى توعية الجيل الجديد بالموروث التراثي والثقافي، وتعزيز الانتماء له، من خلال إقامة قرية تراثية متكاملة، تشمل جميع التراث الكويتي، ولكن

باستخدام تقنيات وأفكار مبتكرة جديدة، حيث يتم دمج عبق الماضي بتطور الحاضر؛ لإظهار الموروث التراثي والثقافي بأجمل صورة، وتوصيله للجيل الجديد بأساليبه الحديثة، وتعزيز الانتماء لهذا الموروث.

• مهرجان الموروث الشعبي الخليجي:

يتضمّن مسابقات متنوعة في فئة الأغنام والجمال، ومسابقات الصقور، وكذلك مسابقات الفروسية المختلفة، إضافة إلى منافسات الموروث البحري، وتقام الفعاليات في قرية الشيخ صباح الأحمد التراثية.

- البحرين

• مهرجان البحرين الرمضاني

إبراز الجانب التراثي الأصيل للمجتمع البحريني، والإسهام في إشراك المجتمع في البرامج والفعاليات التراثية الشعبية، والاحتفال مع الجميع، ويتضمن فعاليات تعكس التنوع الثقافي والحضاري، ليرسم المهرجان لوحة ثقافية بديعة للعادات الرمضانية العربية الأصيلة والثرية، والتي تعكس التنوع الرائع في الفنون والموسيقى والأطعمة الشعبية والملابس والأزياء والمنتجات الثقافية المتعددة.

• مهرجان البحر:

تنظّمه هيئة البحرين للسياحة والمعارض في شهر أكتوبر في موقع خليج البحرين، وهو حدث ترفيهي يحتفي بالعلاقة الوثيقة بين شعب البحرين، وبيئتهم البحرية التي كانت مصدر رزقهم، ونتج عنها العديد المهن والحرف البحرينية المميزة.

• مهرجان التراث:

ينظّمه قطاع الثقافة والتراث الوطني بوزارة الثقافة والإعلام بموقع القرية التراثية بالقرب من قلعة عراد التاريخية، ويسلّط المهرجان الضوء على الأسواق الشعبية التي اشتهرت بها البحرين قديماً، كسوق الأربعاء، الخميس، والمقاميص. وأقيمت هذا العام الدورة الـ24 تحت شعار «موجات صوتية من بحريننا».

- عمان

• مهرجان عمان البحري:

مهرجان شعبي تراثي ثقافي متنوع الفعاليات، يسلط الضوء على مفردات الثقافة البحرية العمانية وفنونها، بهدف ربط الشباب العماني بموروثه وأمجاده البحرية القديمة.

• مهرجان صلالة:

يقام في محافظة ظفار، ويتضمن فعاليات تراثية وثقافية، تشمل مختلف أنماط الفنون العمانية والعادات والحرف التقليدية التي تمتاز بها ولايات السلطنة.

• مهرجان مسقط التراثي:

يهدف إلى تعريف الجمهور داخل السلطنة وخارجها بالتراث الأصيل والعادات والتقاليد التي مازال أهل عمان يحافظون عليها، إضافة إلى الحِرَف التقليدية أو صناعات الأجداد التي توشك على الانقراض.

• مهرجان الإنشاد العماني:

يقام في مدينة نزوة التاريخية، ويتضمّن فعاليات ومسابقات، تقوم على أساس ارتباط الإنشاد بالقصائد والأناشيد المتناقلة في الموروث الثقافي الشفهي في السلطنة كالتهلولة والتويمينة.

- اليمن

• مهرجان يوم مع التراث:

يقام في مسرح الهواء الطلق بالجزء القديم من العاصمة اليمنية صنعاء، حيث تعتبر اليمن مخزناً للمعالم الأثرية والتاريخية، التي تقدم الشواهد المادية الحية على قدرة الإنسان اليمني وإبداعه.

• مهرجان عدن التراثي:

وهو مهرجان يحاكي الموروث الثقافي والاجتماعي والسياحي الذي تتمتع به عدن، ويقام وسط صهاريج عدن التاريخية، ويتضمّن فعاليات تراثية والعديد من الفقرات الثقافية والأدبية والاجتماعية، ومعارض للصور والموروث الشعبي، والكتب والدمى واللوحات الزيتية، وإبداعات في الرسم باستخدام الرمال، ومسابقة ثقافية.

• أبرز المهرجانات التراثية في الدول العربية

- المملكة المغربية

المهرجان الدولي للتراث الشفهي، ومهرجان موسم طنطان لإحياء تراث الرحل، ومهرجان الهيلولا ،وهو موسم حجيج اليهود المغاربة، ومهرجان الفنون الشعبية بمراكش، مهرجان أسبوع الجمل هو مهرجان

فني ثقافي واجتماعي، ينظم أواخر شهر يوليو من كل سنة بمدينة كليم باب الصحراء بالجنوب المغربي، ومهرجان الموسيقى التراثية الذي يقام في صويرة.

- تونس

«مهرجان قرطاج الدولي» ومهرجان دوز أو المهرجان الدولي للصحراء، ويقام كل سنة في ولاية قبلي، والمهرجان الدولي لفيلم التراث، والمهرجان الدولي «فن الحياة والتراث»، ومهرجان «أوسو» في مدينة سوسة الساحلية، ومهرجان المرقوم بالسند المخزون التراثي في قفصة، ومهرجان التراث الشعبي بالمنستير.

- الأردن

مهرجان جرش للثقافة والفنون، ومهرجان عمّان الثقافي، ومهرجان «بصمة أردنية» التراثي.

- الجزائر

المهرجان الدولي للسماع الصوفي، والمهرجان الثقافي العربي الإفريقي للرقص الفولكلوري، المهرجان الثقافي الدولي للموسيقى الأندلسية، المهرجان الثقافي الدولي للطين المعماري، مهرجان «أهاليل»، المهرجان الوطني للباس التقليدي.

- مصر

المهرجان الدولي للطبول والفنون التراثية في القاهرة، المهرجان الدولي للتراث الفولكلوري في الغردقة، مهرجان يوم في مصر لإحياء المهن التراثية في الزمالك، مهرجان الحلي التراثية في قصر الأمير طاز، مهرجان يوم النوبة العالمي.

- السودان

مهرجان كادوقلي للسياحة والترث ويقام في كردفان، مهرجان المصارعة السوداني التراثي في محلية شرق النيل.

- سوريا

مهرجان التراث السوري (أكيتو)، ويقام في العاصمة دمشق. كما يتم تنظيم مهرجانات تراثية سنوياً في معظم المحافظات السورية، ومنها مهرجانات الرقة وحماة وحمص ومهرجان «مضافتنا» في السويداء.لبنان مهرجان الفرح التراثي في بيروت، ومهرجان أميون التراثي، ومهرجان المطاعم التراثي، مهرجان الوزاني التراثي، ومهرجانات بعلبك وبيت الدين وغيرها.

- العراق

مهرجان إحياء التراث الشعبي في بغداد، مهرجان التراث العراقي وتنظّمه الجالية العراقية في كندا.

- فلسطين

مهرجان فلسطين الدولي، مهرجان مرج ابن عامر للتراث والثقافة، المهرجان السنوي لإحياء التراث الفلسطيني، أسابيع التراث الفلسطيني، مهرجان فرخة للدبكة الشعبية، مهرجان يبوس الثقافي.

- ليبيا

مهرجان الغريفة للفنون والتراث، مهرجان «ليبيا تجمعنا» للصناعات التقليدية واليدوية، مهرجان الخريف السياحي، مهرجان زالاء للتراث والثقافة التابوية، مهرجان التراث الشعبي ببلدة الدليم في الجنوب، مهرجان بو هلال للسياحة والتراث.

المهرجانات التراثية في أبوظبي

درر تتوهّج.. ورموز تراثية تزداد ألقاً

سارة إبراهيم
كاتبة - مراود

تحتضن العاصمة أبوظبي مجموعة من أهم الفعاليات والمهرجانات التراثية السنوية في الدولة، تستلهمها من إرثها الثقافي والتراثي الذي أهّلها لتكون في الطليعة، في الكمّ والمضمون، وتنوّع تلك المحافل التراثية، مستقطبة كل الشرائح والفئات العمرية، لتكون جزءاً لا يتجزأ من أحداث مهمة تحيي ماضي الأجداد، وتعيد صياغة التاريخ بطرق واعدة.

مما لا شك فيه، أن الهدف الأوحد من كل المهرجانات التراثية، هو إحياء إرث عريق كان جزءاً من حياة الأجداد، ذاك الإرث الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه الآن، تعريفاً بماهيته، مكنوناته، وبساطته، رغم صعوبته التي لا تخفى عن الأنظار. وتشارك العديد من الجهات المحلية في الإمارة في عرض درر ذلك الإرث، والمحافظة على بريقه، من بينها لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية - أبوظبي، ودائرة الثقافة والسياحة، ونادي تراث الإمارات، وبجهود متكاتفة من كل الجهات المحلية ذات الارتباط.

التراث.. جسر تواصل

يشكّل عدد من مهرجانات أبوظبي عاملاً رئيساً في مد جسور التواصل مع الآخر في صميم تراثه، وجسور التواصل بين الأجيال، وعلى رأس المهرجانات التي نرصدها في أبوظبي «مهرجان الشيخ زايد التراثي» في الوثبة، فهو أحد أكبر المهرجانات مساحة وتنوعاً واستقطاباً في الدولة، ويجسد رؤية من رؤى المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، في الحفاظ على تاريخ وإرث الأجداد، ويشكل تلاحماً للثقافات المختلفة، حيث يحتضن أجنحة لدول المشرق والمغرب التي بدورها تقدم إرثها الثقافي، ما يسلط الضوء على أهمية احترام الآخر والتلاحم معه، ويجسد التنوير الثقافي مع الحفاظ على الهوية الوطنية.

وتعد عروض الخيول العربية من أبرز ما يقدمه المهرجان لضيوفه، بحيث تعرض أهم السلالات العريقة، كما يتضمن سباقات للهجن، وعروض الصقور، ومسابقات وعروضاً للألعاب النارية، والأسواق الشعبية، ومنطقة للتراث العالمي، مع مشاركات عدة تستحضر ماضي الدولة والإمارة وحاضرها، من خلال المعمار الداخلي ومعارض الصور والفعاليات.

ويعتبر مهرجان «قصر الحصن»، وسط مدينة أبوظبي، الذي يقام على أرض تعتّقت بعبق التاريخ، عند أقدم بناء فيها، ألا وهو برج المراقبة الذي بني في تسعينيات القرن الثامن عشر، لمراقبة الطرق التجارية الساحلية، وحماية المجتمعات المتنامية على الجزيرة، ومن ثم قصر الحصن مقر الحكم والأسرة الحاكمة، حتى بات اليوم أيقونة معمارية ثقافية وتاريخية، تتغنى بأمجادها، وبذلك يحتفي المهرجان ببرنامج ثقافي مستوحى من التراث في أبوظبي، وأهميته التي تقدم عبر مجموعة متنوعة من الأنشطة والفعاليات في مبنى المجمع الثقافي، كما يطوف المهرجان في مجالات عدة، تستعرض الماضي في حرفه النسائية والرجالية، وقصصه الشعبية، وحياة الأولين، وبيئاته وما تزخر به من تنوع بين حياة الزراعة، والبداوة، والبحر، والجبل، دون إغفال ربط الماضي بالحاضر، من خلال عروض سينمائية وورش عمل وفعاليات وأنشطة تراثية.

ويرتكز «المهرجان الوطني للحرف والصناعات التقليدية» في موضوعه إلى أهم المهن التي امتهنها الأولون، بل يستقطب أولئك الذين مازالوا قادرين على تعريف الزوار بتلك المهن بطرقها

الأصيلة، منوهين بإمكانية صون تلك الحرف والصناعات في ظل حضور قوي للصناعة الحديثة، وإمكانية توفير المهن المميزة في وقتنا الحالي لأصحابها، ومن بين أبرز المهن: صناعة الخوص، السدو، التلي، الفخار، الحبال، صناعات العطور والبخور، وغيرها. ويحفل المهرجان بالعديد من الأنشطة التراثية والترفيهية، إلى جانب إحياء تلك المهن، ويقام المهرجان في سوق القطارة في منطقة العين.

الرطب.. الإبل.. الصقور.. رموز التراث

يعد مهرجان ليوا للرطب، في المنطقة الغربية للإمارة، من أبرز المهرجانات التي تحتفي بالقيمة المعنوية والغذائية لأنواع التمور المحلية، بل إنها تحتفي بالمزارعين الذين مازالوا يبذلون الجهود للزراعة بأفضل وأكثر الأساليب تطوراً، وبما يتوافق مع تلبية الاحتياجات، كذلك هو الحال في تبادل الخبرات.

شجرة نخيل التمر مصدر خير كبير لأهل الإمارات، سواء بثمارها التي كانت تغذي أهل الأرض لعقود، أو بأجزائها التي صنعت منها البيوت والحصر والأدوات وما إلى ذلك. وبذلك فإن المهرجان يسلط الضوء على مكانة الرطب في الحياة الثقافية والتراثية والاقتصادية للدولة، فتتنافس المزارع الإماراتية على لقب «أفضل مزرعة للرطب»، ومزايدات على بيع أفضل أنواع الرطب، وفعاليات وأنشطة عدة متعلقة بالمجال.

وتعدّ مزاينة الإبل أساس مهرجان الظفرة، في المنطقة الغربية من الإمارة، حيث يشارك فيها العشرات من أصحاب الإبل المؤهلة للمنافسة من جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، إلا أن المنافسة تقتصر على سلالات الإبل الأصيلة، كالأصايل (العريقة النسب)، والمجاهيم (الإبل السوداء)، وتخضب رؤوس الإبل الفائزة بخليط من الزعفران والتوابل الفاخرة. ويتضمن المهرجان العديد من العروض والفعاليات التراثية كسباقات الخيول، والكلب السلوقي العربي، والصيد بالصقور، والمواشي، وأنواع التمور، ومشاركات أصحاب الحرف التقليدية، بالإضافة إلى العروض الفنية.

السمالية ملتقى الأجيال

نظّم ملتقى السمالية التراثي هذا العام في نسخته الثلاثين، ليؤكد أهمية نقل الخبرات بين الأجيال، من خلال خلق جسور تواصل دائمة بينها، فيعمل نادي تراث الإمارات، المنظم للملتقى، على دمج التعليم والمعرفة، واستلهام الماضي، بطرق ترفيهية تقدم للفتيان والفتيات خلاصة التراث بأبسط وأكثر الطرق تشويقاً.

وما بين التراث الشفاهي والمادي يتنقل الجيل الجديد في معارفه المستقاة في الملتقى بأساليب تشويقية ممتعة على أرض جزيرة السمالية، فيستمعون للقصص من أفواه الرواة، وتعلم السنع، والغوص في مهن أهل البحر والبر، وركوب الخيل والإبل، والزيارات الميدانية للبيئات الزراعية، بالإضافة إلى ممارسة بعضها، ناهيك عن القراءة في أحدث الإصدارات التراثية والبيئية، وممارسة الألعاب الشعبية، والعيش في أجواء محاكية للماضي.

البحر.. كنز وتراث

في جزيرة دلما بمنطقة الظفرة، يعيش الزوار تجربة استثنائية في مهرجان دلما التاريخي، الذي يهدف إلى إحياء التراث البحري، ودور الجزر الإماراتية في ذلك التراث، وهو بذلك يسلط الضوء على جزيرة دلما ومكانتها التراثية والتاريخية والسياحية، ويحتضن المهرجان العديد من المنافسات التراثية والرياضية، من بينها سباق دلما، وهو الأطول من بين سباقات المحامل الشراعية، حيث تبلغ مسافته الكلية 80 ميلاً بحرياً، بما يعادل 125 كيلومتراً، كما يعد هو السباق الوحيد الذي ينطلق من جزيرة دلما التاريخية، ويمر بثمانية جزر مختلفة، هي جزيرة دلما في البداية، ثم صير بني ياس، وبعدها جزيرة غشة، يعقبها المرور بجزيرة أم الكركم ثم الفطاير وبعدها البزم ثم الفياي ثم مروح، وأخيراً جزيرة جنانة قبل الرسو في مدينة المرفأ. بالإضافة إلى ذلك هنالك مسابقات مختلفة أخرى، كمسابقة الصيد (كاستنغ)، وسباق الدراجات الهوائية، ومسابقة الدومينو للرجال والنساء، ومسابقة الكيرم للرجال والنساء، وسباق الجري وغيرها، كما يضم المهرجان السوق الشعبي الذي يبرز التراث الإماراتي البحري، ومنتجات تراثية محلية، ومأكولات شعبية، إلى جانب قرية الطفل والمسرح ومسابقاته وجوائزه اليومية، والمسابقات التراثية والشعبية، والحرف اليدوية التقليدية، وغيرها من الفعاليات الشائقة والجاذبة لمختلف الفئات العمرية.

ويقدم مهرجان التراث البحري لزوراه الفرصة لاستكشاف حياة أهل البحر والتفاعل معها، من خلال الاطلاع على الحرف والمشاركة في ورش العمل، والاستمتاع بالعروض الحيّة والمأكولات البحرية، حيث يتضمن على امتداد كورنيش مدينة أبوظبي مناطق: الألعاب الشعبية، قرية الصيد، زمان الأول، عرض الصقارة، سيفة الصيادين، سواق الصيادين، مسرح رئيس، مسرح محمل اليزوة، مجلس النواخذة، قرية الغوص على اللؤلؤ. ويقدم المهرجان «سباق أبوظبي لقوارب التجديف التراثية»، وفنون الأداء والعروض الموسيقية.

مهرجانات تصنع التلاحم الوطني

مصر والسودان وفلسطين إرث تراثي ممتد

محمد هجرس
كاتب - مصر

تزخر مصر، والسودان، وفلسطين، بإرث وطني وعربي وإسلامي كبير، نراه في عادات وتقاليد وسلوكات شعوبها، وتسعى تلك الدول إلى الحفاظ على تراثها الوطني، ورعايته عبر تنظيم المهرجانات التراثية والثقافية، سعياً لترسيخ مفهوم الهوية الوطنية، وتحقيق منظومة التلاحم الوطني.

ففي مصر تشارك كل الوزارات، والمحافظات، بجانب النقابات المهنية وعديد المؤسسات الثقافية، والشارع، في المهرجانات التراثية والثقافية، وترعاها سنوياً، وتقيم المسابقات التراثية والثقافية طوال أيام انعقادها، فيما تراجعت تلك المهرجانات في سوريا، وليبيا والسودان، نتيجة ما تمر به من أحداث شبه يومية، أثرت في مجرد التفكير في تلك المهرجانات، ويختلف الأمر في فلسطين، رغم ما يلاقيه الشعب على مدار اليوم من مواجهة، رفضاً لتلك الفعاليات التراثية، لكن الإصرار على إقامتها يُعدّ نوعاً من أنواع المواجهة.

مهرجانات تراثية مصرية بالمحافظات

تتميز مصر بكثرة مهرجاناتها التراثية والثقافية، وبعد أن كانت كل تلك المهرجانات تحتضنها العاصمة المصرية القاهرة، خرجت إلى كل محافظات الدولة، وتنوعت وتفرعت منها العديد من المهرجانات، والمهرجان الذي يقام في القاهرة يقام مرة ثانية في مدينة أخرى، حتى ارتفع عددها إلى أكثر من 40 مهرجاناً وفعالية، تشرف عليها وزارة الثقافة، ويتم تكرارها في أماكن عديدة على مستوى الدولة، ومن تلك المهرجانات: المهرجان التراثي الذي يقام في وسط القاهرة، ومهرجان التراث المصري، الذي يهدف إلى إحياء الحرف اليدوية، ومهرجان التراث الأول، ومهرجان الطبول والفنون التراثية، الذي يجتذب الآلاف إلى القاهرة وخارجها، ومهرجان الخيول الذي يقام في محافظة الشرقية، ومهرجان التمور الذي يقام في سيناء ومرسى مطروح، ومهرجان الأكلات الشعبية، الذي تتميز به مصر، وهو مهرجان دوار في كل المدن على مدار العام، ومهرجان الصناعات الغذائية، ومهرجان الطبخ الشعبي، ومهرجان الأسواق الشعبية، ومهرجان الفنون الشعبية الذي يجمع كل المحافظات، ومهرجان صناعة السجاد، والمهرجان الزراعي، ومهرجان الحرف القديمة، ومهرجان الحكواتي (الأراجوز)، الذي لم يعد أحد في مصر يهتم به، وبات يظهر على استحياء، ومهرجان الأقصر للتراث، والمهرجان القومي للتحطيب في الأقصر، ومهرجان لبرثه التراثي، ومهرجان دندرة الثقافي، ومهرجان دندرة للموسيقى والغناء، والمهرجان الشعبي الأول للخيول والفروسية في محافظة قنا، ومهرجان حراس النيل الذي يوثق التراث النوبي، ومهرجان آرت نارتي للفنون، بقرية غرب سهيل النوبية، والمهرجان النوبي المصري الإفريقي للفولكلور، ومهرجان الفواخير لإحياء أقدم الحرف التراثية، ومهرجان أنتيكا بالإسكندرية، ومهرجان الإسكندرية الثقافي العالمي، الذي يلقي الضوء على الميزات التراثية، ومهرجان من فات قديمه تاه، الذي يقام بالإسكندرية، ومهرجان دمنهور الدولي للفولكلور، ومهرجان حوار الفنون التراثية بالبحيرة، ومهرجان البحيرة للخيول العربية، ومهرجان البحيرة للتذوق، ومهرجان زكريا الحجاوي للفولكلور الشعبي في بني سويف، ومهرجان أسوان الدولي للثقافة والفنون، ومهرجان الحرف اليدوية والتراثية في سوهاج، ومهرجان الألعاب التراثية، والمهرجان الثقافي الفني السنوي، ومهرجان الألعاب الشعبية التراثية في أسيوط، ومهرجان 800 سنة منصورة، ومهرجان الإسماعيلية الدولي للفنون الشعبية.

الخيول العربية

ومن المهرجانات التي باتت ذات سمعة عالمية؛ مهرجان الخيول الذي يقام في محافظة الشرقية، ومهرجان الخيول العربية، الذي يقام في مدينة شرم الشيخ التي تتركز السياحة فيها بنسبة كبيرة، خصوصاً خلال فصول الخريف والشتاء والربيع.

وتتميز كل عاصمة من عواصم محافظات مصر بمهرجان واحد، عندما يذكر تذكر المحافظة، وعندما تذكر المحافظة يذكر المهرجان، ففي محافظة الشرقية يقام مهرجان الخيول في الربع الثاني من كل عام، ويسعى الجميع من داخل الدولة وخارجها لحضوره، وتحضره قيادات المحافظة والعديد من الوزراء، وذلك لتميزه بمشاركة أنواع هجينة من الخيول، وخلال السنوات القليلة الماضية، يقام المهرجان نفسه في مدينة شرم الشيخ، خلال شهر يناير من كل عام، تحت مسمى مهرجان الخيول العربية.

مهرجان التراث المصري

وعلى مدار شهور السنة يقام في القاهرة التاريخية، التي تحتضن أكبر متحف مفتوح للآثار الإسلامية في العالم، وسط شارع المعز لدين الله الفاطمي، مهرجان التراث المصري الأول، الذي تتخلله الأنشطة الثقافية والفنية، ويجمع عدداً من الفنانين والحرفيين المصريين، لعرض منتجاتهم التراثية، أو صناعة منتجاتهم أمام الجمهور في عرض حي، وتقدم خلاله العروض الفنية لفرق التنورة والفنون الشعبية، وعرض تراث النوبة وفنونها من غناء وإنشاد وشعر.

ويهدف المهرجان إلى تسليط الضوء على أهمية الحرف التراثية واليدوية، سعياً إلى الحفاظ على الهوية المصرية والاقتصاد الوطني المصري، إلى جانب دعم الجهود التي يبذلها الحرفيون من أجل صون ثروتهم وإحيائها، ونقلها إلى الأجيال المقبلة، والحفاظ عليها من الاندثار.

وتتمحور فكرة المهرجان حول 20 حرفة، تشمل مختلف الحرف التراثية، وأبرزها الخيامية، الفخار، صناعة السجاد، النسيج اليدوي، صناعة الكليم، الحفر على الخشب، صناعة المشكاوات الزجاجية، الخوص، النقش على النحاس، تشكيل الزجاج المعشّق، الأرابيسك، وغيرها من الحرف التراثية.

فلسطين تسعى للحفاظ على الموروث الشعبي والفني عبر المهرجانات

تعتبر المهرجانات التي تقام في فلسطين من العناصر المهمة للحفاظ على الموروث الثقافي والفني للشعب الفلسطيني، كما أنها تشكل فرصة للانفتاح على الثقافات والحضارات، وهي نحو 25 مهرجاناً، ما بين مهرجان دولي وآخر محلي، لكنها تتوقف أحياناً بالسنين، ثم تعود من جديد.

24 مهرجاناً

ومن أبرز المهرجانات الدولية: مهرجان فلسطين الدولي، ومهرجان الرقص المعاصر، ومهرجان القدس، ومهرجان عيد الموسيقى، ومهرجان الباروك للموسيقى العالمية، فيما المهرجانات المحلية: مهرجان مرج بن عامر للثقافة والعلوم، ومهرجان وادي الشعير للثقافة والسياحة والفنون، ومهرجان حق العودة، ومهرجان ليالي الصيف المقدسة، ومهرجان صفا الثقافي، ومهرجان المقتول وأسبوع التراث الفلسطيني، ومهرجان الخس، ومهرجان التين، ومهرجان الباذنجان البتيري، ومهرجان الجوافة، ومهرجان الزيتون، ومهرجان العنب، ومهرجان الكرز.

ويُعد مهرجان فلسطين الدولي الذي ينظمه مركز الفن الشعبي منذ تسعينيات القرن الماضي، وتحديداً في عام 1993، أول مهرجان دولي في فلسطين، واستطاع المهرجان، على مر السنين، جذب آلاف المواطنين، من مختلف القرى والمدن في الضفة الغربية ومن داخل الخط الخضر.

السودان.. تعدد ثقافي أسهم في إقامة المهرجانات

ويُعدّ السودان دولة متعددة الثقافات واللغات، فهو من أهم الدول الغنية بالموارد الطبيعية المتنوعة منذ عصور قديمة، ما أسهم في تكوين أنماط ثقافية مختلفة، ولها بصمتها الخاصة عالمياً؛ لذلك انتشرت المهرجانات فيها تأكيداً للهوية الثقافية والوطنية، ويعتبر المواطن السوداني المهرجانات التراثية ملاذاً حقيقياً لتعلم الموروث الشعبي.

ويوجد في السودان العديد من المهرجانات التراثية، ومن أهمها ، المهرجان الثقافي التراثي لجبال النوبة بأم درمان، ومهرجان التراث السوداني، ومهرجان بورتسودان، ومهرجان التنوع الثقافي السوداني، ومهرجان الطبول، ومهرجان تنوع، ومهرجان الثقافة والتراث القبلي، ومهرجان سباق الخيل، ومهرجان التراث الفني الدارفوري، ومهرجان ساما للموسيقى الشعبية، ومهرجان الثوب السوداني، والمهرجان الثقافي الشعبي، ومهرجان البقعة، ومهرجان الموسيقى العربية، ومهرجان ملتقى النيلين.

الفعاليات التراثيّة
واستدامة التراث

فهد علي المعمري
باحث - الإمارات

عندما يجرنا الحديث إلى الفعاليات التراثية ودورها وأهميتها، فإنه يكون ذا شجون، فلا أدري من أين أبدأ، ولا أدري أين سوف أنتهي! فالتراث هو إرث عريق لكل الشعوب، وقيمة معنوية مختزنة في ذاكرة الصدور، وكلمات مكتوبة في وسط السطور، فالتراث تاريخ وحضارة، وحياة عاشتها أمم قبلنا، منهم أجدادنا الذين تركوا لنا هذا الخضمّ الزاخر، وعلينا أن نحافظ عليه بكل ما فيه، وأن ندونه ونوثقه، ونكتب عنه، ونؤلف فيه، ليبقى لنا، ثم نسلمه لأبنائنا من بعدنا، وهكذا يتسلمه حيل بعد جيل.

وبطبيعة الحال، فجزء من حفظ التراث الشعبي، يكمن في الفعاليات التراثيّة، هذه الفعاليات التي تحاكي التراث بكل تفاصيله ودقائقه، وكأنك تعيش الأمس الجميل، تستمع إلى مفرداته، وتنظر إلى منازله، وتتجول بين أسواقه، وتشارك في أهازيجه وحفلاته، فتعمل هذه الفعاليات على حفظ التراث واستمراره وديمومته بطريقة يألفها الجميع، ويكونون جزءاً ضمن هذه الفعاليات.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن هناك بعض الفعاليات التي تستثمر الموقع التراثي؛ لتعيش مع الزوار في ذلك الماضي الذي لايزال يلوح أمام الناظرين، فيعيش الجميع وكأن الزمان قد عاد بهم إلى الوراء أكثر من نصف قرن، فهذه المنازل كما هي، وهذا أثاثها كما هو، وهذه السكك الضيقة التي لا تحتمل أكثر من شخصين للمرور بين جنباتها، وهذه الأسواق القديمة وبضاعتها التي كانت تبيعها في ذلك الوقت، تعيش ساعات بين ردهات تلك الفعاليات التراثيّة، وكأن الزمان قد توقف منذ خمسين سنة.

وتتنوّع هذه الفعاليات التراثيّة ما بين متخصصة، وأخرى عامة، وما بينهما ليست لهذه، وليست بتلك، وإنما ترتكز على بيئة معينة، فتنقل ذلك التراث مثل البيئة الصحراوية أو جزء من هذه البيئة مثل الفعاليات الزراعية، أو الصيد، وكذلك البيئة البحرية مثل فعاليات سباق القوارب، وهناك الفعاليات العامة التي تحاكي التراث بكل جوانبه المادي منه وغير المادي، وتعمل هذه الفعاليات على تسليط الضوء على التراث والتعريف به، وممارسته عبر الأنشطة التي تملأ جنبات الفعالية، فيشارك الكثير في هذا التراث، وهذ كله بطبيعة الحال يؤدي إلى مخرجات عدّة، نتحدث عن أهم هذه المخرجات وهو استدامة التراث.

كيف تعمل هذه الفعاليات التراثيّة على استدامة التراث، هذ السؤال سوف تجيب عنه تلك الفعاليات التراثيّة داخل دولة الإمارات، وبعض دول مجلس التعاون الخليجي العربي، دعونا نستعرض بعض هذه الفعاليات التراثية، وتحدث قليلاً عن كل فعالية؛ لندرك أن الفعاليات التراثيّة لها دور كبير في استدامة التراث، ونبدأ بالفعاليات التي تنفذها بعض الإمارات، ونبدأ بإمارة أبوظبي، نرى هذه الفعاليات التراثيّة:

1. مهرجان قصر الحصن في أبوظبي

وهـذا المهرجـان يقيـم حـواراً رائعـاً بـين المـاضي والحـاضر والمسـتقبل، بحيـث يربـط الإرث التاريخـي لإمـارة أبوظبـي بثقافاتهـا المعـاصرة والناشـئة، مـن خـلال الفنـون والتصاميـم والحـوارات وعـروض الأداء، إلى جانـب الحِـرَف التقليديـة، وإحيـاء حيـاة المـاضي بإعـادة تمثيلهـا. وبالتـالي فـإن هـذا المهرجـان يعمـل عـلى اسـتمرارية الـتراث، ويمنحـه منصـة تحافـظ عليـه، وتضمـن اسـتدامته.

2. المهرجان الوطني للحرف والصناعات التقليدية في العين

يسـلّط المهرجـان الوطنـي للحـرف والصناعـات التقليديـة في مدينـة العـين الضـوء عـلى أهميـة الصناعـات اليدويـة التقليديـة في الـتراث الإمـاراتي، وذلـك دعـماً للجهـود الراميـة إلى حفـظ وصـون الـتراث، ونقـل هـذه الحـرف إلى الأجيـال القادمـة.

3. مهرجان ليوا للرُّطَب

في مدينـة ليـوا، الواقعـة في منطقـة الظفـرة بإمـارة أبوظبـي، يقـام مهرجـان ليـوا للرطـب، ويجسـد المهرجـان الفكـر الاسـتراتيجي في المحافظـة عـلى الـتراث الإمـاراتي العريـق واسـتمراريته، لاسـيما النخيـل والرطـب، اللـذان يمثـلان دعامـة أساسـية مـن دعائـم المجتمـع الإمـاراتي وتقاليـده المتوارثـة، وتأكيـداً عـلى دور القيـادة الرشـيدة في ترسـيخ مكانـة النخيـل والرطـب والتمـور كرمـز لأصالـة المـاضي، وخـير للحـاضر، وضمانـة للغـد، حيـث بـات يُشَـكّل ملتقـى فريـداً لعشـاق النخيـل والرُّطـب مـن أفـراد ومؤسسـات، مـن خـلال مزايـنة الرطـب والفعاليـات المصاحبـة لهـا.

4. معرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية تأكيد على صون الثقافة التقليدية

يتجـلّى غنـى المعـرض وشـموليته في الأقسـام الـ11 المُتنوعـة التـي يضمّهـا، وتشـمل قطاعـات: أسـلحة الصيـد، مُعـدّات الصيـد والتخييـم، الصقـارة، الفروسـية، الحفـاظ

عـلى البيئـة والـتراث الثقـافي والترويـج لهـا، الفنـون والحـرف اليدويـة، مركبـات ومُعـدّات الترفيـه في الهـواء الطلـق، مُعـدّات صيـد الأسـماك والرياضـات البحريـة، المنتجـات والخدمـات البيطريـة، رحـلات الصيـد والسـفاري، وسـائل الإعـلام المُختصّـة.

5. مهرجان الشيخ زايد التراثي

يحتفـي مهرجـان الشـيخ زايـد الـتراثي، الـذي سُـمّي تيمنـاً باسـم الوالـد مؤسـس دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة المغفـور لـه، الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان، طيّـب اللّـه ثـراه، بـالإرث الثقـافي لدولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة مـن خـلال إبـراز التنـوّع الغنـي لتقاليدهـا. كـما تهـدف هـذه الفعّاليـة إلى مسـاعدة الـزوّار عـلى التعـرف إلى إرث مؤسـس الدولـة، ويمكـن للمشـاركين في المهرجـان الاسـتمتاع بتجربـة التعـرف إلى تـراث وثقافـة دولـة الإمـارات مـن خـلال الفنـون والحِـرف والمأكـولات والعـادات التـي تميزهـا.

أهـم مـا يميـز المهرجـان هـو الحـي الـتراثي لدولـة الإمـارات الـذي يسـتضيف المعـارض الفنيـة والفعّاليـات والأسـواق الشـعبية، التـي تعكـس الحيـاة الإماراتيـة التقليديـة. وتعكـس الأحيـاء التراثيـة لـدول العـالم، الـتراث المعـماري والحِـرف والمنتجـات والفنـون التقليديـة التـي تميّـزت بهـا الـدول الأخـرى، كـما يضـم المهرجـان سـباقات الهجـن وعـروض الصيـد بالصقـور.

6. مهرجان سلطان بن زايد التراثي في سويحان

وإذا مـا أدلفنـا الطريـق إلى إمـارة دبي، فإننـا نقـف عنـد فعاليـة مـن أهـم الفعاليـات التراثيّـة، هـي فعاليـة رحلـة الهجـن الـذي ينظمهـا مركـز حمـدان بـن محمـد لإحيـاء الـتراث، ورحلـة الهجـن هـذ تسـتغرق سـتة أشـهر مـن التدريبـات المتواصلـة مـن قبـل المشـاركين للتعـرف إلى كيفيـة ركـوب الجـمال والتعامـل معهـا، ويقطـع المشـاركون في هـذه الرحلـة مسـافة 700 كيلومـتر، في درجـات حـرارة متفاوتـة، تبلـغ 35 رجـة مئويـة في أقصاهـا،

و5 درجـات مئويـة في أدناهـا، وتمـر عـبر ثـلاث إمـارات، وتتوقـف عنـد 11 محطـة، لتنهـي الرحلـة خـلال عـشرة أيـام. أمـا حديثـا عـن الفعاليـات التراثيّـة في إمـارة الشـارقة، فهـو حديـث طويـل، يسـتغرق كتابـاً، وليـس أسـطراً قليلـة، ونقـف عنـد محطتـين رئيسـتين هـما أيـام الشـارقة التراثيّـة والملتقـى الـدولي للـراوي، ولنبـدأ الحديـث بأيـام الشـارقة التراثيّـة:

1. أيام الشارقة التراثيّة

إذا ما علمنا أن هـذه الـدورة هـي الـدورة التاسـعة عـشرة لأيـام الشـارقة التراثيـة عملنـا مـدة الاهتـمام بهـذه الأيـام، التـي باتـت تشـكل جـزءاً مـن أيـام السـنة في إمـارة الشـارقة، وخـلال مـدة شـهر مـن الزمـان تحتضـن منطقـة مريجـة التراثيّـة هـذه الفعاليـة التـي تجسـد الماضي بـكل مـا فيـه مـن كلمـة ومعنـى، عـبر الأنشـطة التراثيـة، والبيئـات الإماراتيـة المتنوعـة عـبر البريّـة والجبليّـة والبحريـة، إضافـة الأكلات الشـعبية، والصناعـات والحـرف التقليديّـة، كل ذلـك في مكان واحـد يجمـع الـتراث والعراقـة.

2. ملتقى الشارقة الدولي للراوي

أكمـل في العـام المـاضي دورتـه الثانيـة والعشريـن، ليكمـل مسـيرة بناهـا منـذ ربـع قـرن تقريبـاً، وهـذه السـنون بدورهـا تؤكـد أن الفعاليـات التراثيّـة لهـا دور كبـير في اسـتدامة الـتراث.

وإذا عرّجنـا بالطريـق شـمالاً، نحـو إمـارة جميلـة، نحـو جلفـا، إلى إمـارة رأس الخيمـة، فسـوف نتحـدث عـن مهرجـان عـوافي الـتراثي، هـذا المهرجـان الـذي يتيـح للـزوار

والمقيمـين إمكانيـة الوصـول إليـه بسـهولة، والتمتـع بمجموعـة واسـعة مـن الفعاليـات الثقافيـة التـي تقـام عـلى مـدى ثلاثـة أشـهر، ليحتفـي بالـتراث الثقـافي والحضـاري العريـق الـذي تتمتـع بـه الإمـارة، ويضـم المهرجـان سلسـلة مـن العـروض والفعاليـات الممتعـة لجميـع زوّاره بـدءاً مـن الفنـون والحـرف إلى العـروض الثقافيـة، وأنشـطة الأطفـال والعـروض الترفيهيـة الحيـة، إضافـة إلى سـوق تقليـدي، ليتيـح لـزواره فرصـة التعـرف إلى الثقافـة المحليـة.

سـوف نتحـرك نحـو فضـاءات أوسـع ومحطـات أبعـد، وسـوف نحـط رحالنـا هـذه المـرة في دولـة قطـر الشـقيقة، وتحديـد مهرجـان سـوق واقـف، أو كـما يُعـرف إعلاميـاً ربيع سـوق واقـف، وهـو مهرجـان ذو طابـع تـراثي، يهـدف إلى إحيـاء الذاكـرة الثقافيـة القطريـة خاصـة، والخليجيـة عامـة، وتعزيـز حضـور الـتراث في مختلـف الفعاليـات المحليـة، ويقـام سـنوياً في العاصمـة القطريـة الدوحـة، ومقـرّه سـوق واقـف، أحـد أعـرق الأسـواق في منطقـة الخليـج.

في المملكـة العربيّـة السـعوديّة يصافنـا مهرجـان رائـد ومتميّـز، ومـن أكـبر المهرجانـات التراثيّـة في العـالم، هـو مهرجـان الجنادريّـة الـذي بـدأ مسـيرته سـنة 1985 للميـلاد، وهـو مهرجـان تـراثي وثقـافي يقـام في المملكـة العربيـة السـعودية، وغالبـاً مـا يقـام في فصـل الربيـع خـلال شـهري فبرايـر ومـارس، ويجـذب العديـد مـن الـزوار داخـل المملكـة وخـارج، ويضـم المهرجـان قريـة متكاملـة للـتراث والحـلي القديمـة والأدوات التـي كان يسـتخدمها الإنسـان السـعودي في بيئتـه قبـل أكـثر مـن خمسـين عامـاً، ومعـارض للفنـون التشـكيلية، وقـد أكمـل المهرجـان ربيعـه السـابع والثلاثـين، ليؤكـد مـرة أخـرى أن الفعاليـات التراثيّـة لهـا دور مهـم ومؤثـر في اسـتدامة الـتراث.

ونختـم حديثنـا بمهرجـان مسـقط، الـذي يعكـس جـمال السـلطنة السـاحر، وعمـق تاريخهـا وتراثهـا، وعـن التطـور والحداثـة مـع الحفـاظ عـلى الإرث الحضـاري، والتمسـك بالعـادات والتقاليـد العربيـة الأصيلـة للشـعب العـماني، يعقـد المهرجـان عـادة في محافظـة مسـقط، في الفـترة مـا بـين ينايـر وفبرايـر مـن كل عـام، ويوفـر مناسـبة رائعـة للتسـوق والاطـلاع عـلى المعـالم السـياحية. كـما يقـدم المهرجـان فعاليـات وأنشـطة متنوعـة فنيـة وثقافيـة وتراثيـة. وتقـام في حديقـة القـرم الطبيعيـة أكـبر قريـة تراثيـة، يمكـن مشـاهدتها والتعـرف مـن خلالهـا إلى الحيـاة التقليديـة العمانيـة الفنيـة الواسـعة.

المهرجانات التراثية

إرث إنساني واستدامة نحو المستقبل

فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

إن الاهتمام بالتراث، من دون شك، مطلب يتزايد إلحاحاً، ويتعاظم مع سطوة التطور التكنولوجي والتقدم البشري، وفي الإمارات تحديداً، فإن العناية بتراث الآباء والأجداد جزء من التنمية، وجزء من الخطط الطموحة نحو المستقبل والتطور؛ لذا نشاهد الهيئات المتخصصة، والمراكز التي تولي العناية والاهتمام بهذا الإرث الإنساني.

التراث ليس مقتنيات وأدوات تركها الآباء والأجداد، بل هو الماضي بكل تفاصيله وأنواعه، فهناك التراث المتمثل في المقتنيات، وهناك تراث العادات والتقاليد، وهناك تراث ثقافي واجتماعي، وهناك تراث القيم والمفاهيم.

إننا اليوم نشاهد النجاحات الإماراتية في عمقها الإنساني التراثي، وفي حضورها اللحظي، وفي تطلعها وحماستها نحو المستقبل. وعند الحديث عن النهضة الإماراتية، فأنت تتحدث عن نجاحات تقنية وعلمية وصحية وإنسانية، نجاحات متعددة، هي مثال واضح وساطع على أرض الواقع، يعيشه الإنسان الإماراتي في عمل مبتكر، وسعي دائم ومستمر نحو التحديث والتنوع، ومن هنا تحقق التكامل، والتقى الموروث بالجديد، وشكّل أمة من القوة والسلام والمحبة، شكل بلاداً ومجتمعاً من التسامح والالتقاء، وسيستمر هذا التفاعل وهذا التمازج بين التراث تركة الإنسان القديم. وقفزات الإمارات نحو التطور والتقدم، والتراث ليس بمنأى عن حياتنا المعاصرة، بل إن هناك توجهاً واضحاً لاعتبار مثل هذه المناسبات فرصة لاستذكار كفاح الآباء والأجداد، وصبرهم ونضالهم من أجل الوفاء للحياة والاستمرار فيها بحماسة وحيوية، هناك إجماع واضح على أن مثل هذه المهرجانات دافع لنا نحو المستقبل، ونحو التميز ونحو مسابقة الأمم في مضمار الحضارة والتفوق؛ لأننا نستمد من هذا التراث قيمة الصبر وأهمية العمل المتواصل وبحرفية وحب وتسامح. ستجد مثل هذا الإجماع ماثلاً في كل هذه الإسهامات الجميلة من جميع الجهات الحكومية، فقد كان المغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، يدرك أن الثورة العلمية والتقنية والتطور والتنمية جميعها سيكون فيها تمكين هذه البلاد وتنقلها نحو الرقي والحضارة؛ لذا نجد أن شغله الشاغل الجيل القادم، ومعرفته بكل ما قدمه لهم الآباء والأجداد، وأنه يجب أن يعرفوا كم كابدوا وعانوا على هذه الأرض حتى تفجرت اليوم بالينابيع والخيرات، وكأن الفكرة الرئيسة التي تدور في ذهن الوالد والقائد الراحل الشيخ زايد بن سلطان، رحمه الله، كانت عن أهمية أحياء هذه الكنوز المعرفية التي عاشتها الأجيال الماضية، فالموضوع ليس تمجيداً لحياة الضيم التي عاناها آباؤنا وأجدادنا، رغم أنهم يستحقون كل احتفاء وتقدير وذكر لمحاسنهم، ولكن الحاجة هنا هي للأجيال القادمة التي ستأتي، وتحسب أن هذه الأرض كما هي منذ مئات السنين، دون أن تعلم أنها كانت مكاناً لعراك دائم مع الطبيعة القاسية، إذ تنتهي معظم تلك المعارك بخسارة الإنسان، وأنها كانت مرتعاً للقسوة وشظف العيش والمجاعة. عندما تأخذ تلك الأجيال نحو ذلك الماضي، ونحو التراث، ستدرك حجم الذي تغير، وستقدّر معنى الاتحاد والوحدة والتلاحم، وستفهم أن بلادها لم تصل لما هي عليه اليوم بضربة حظ أو مصادفة، بل بعمل سالت فيه الدماء، وتخضبت الرؤوس بالعرق والمشقة والتعب.. هذا الذي سيخرجه لنا التراث، وسيرة الراحلين من الآباء والأجداد، إنها دروس لا تقدر بثمن، وهي طريقة حياة ومنهج لرؤية الصواب، فهذه الفعاليات، ومنها «أيام الشارقة التراثية» و«مهرجان قصر الحصن» و«مهرجان الشيخ زايد التراثي» و«رأس الخيمة التراثي» و«ملتقى السمالية» و«مهرجان التراث البحري»، وغيرها من المهرجانات والملتقيات التراثية التي تنظم سنوياً،

وبشكل دوري في دولة الإمارات، تعتبر مناسبة جميلة بكل ما تعني الكلمة، ومفيدة بكل الأبعاد، فهي همزة وصلة مع الأصالة والتاريخ.

يسعى مهرجان زايد التراثي، الذي يقام سنوياً، للحفاظ على الهوية الوطنية، ويعزز من موروثها التراثي من العادات والحرف التقليدية، فهذا المهرجان يضم الكثير من العروض الفولكلورية، ويستقطب الفعاليات الثقافية، كما يشجع الأطفال، ويقيم لهم الكثير من الفعاليات التي تشجعهم على تنمية مهاراتهم واستكشاف مواهبهم.

وهناك العديد من الفعاليات التي يقدمها مهرجان زايد التراثي، والتي يمكن من خلالها للزائر معرفة تشكيلة كبيرة من مفردات التراث الإماراتي، والحرف التقليدية، عبر مجموعة من الحرفيات والحرفيين المهرة الذين يستعرضون إمكاناتهم وحرفهم ضمن ورش يمكنه أن يشاهدها ويستمتع بها بشكل مباشر.

أما مهرجان الظفرة، فهو إرث متواصل، فهو يعزز مركز أبوظبي لتكون الواجهة الأولى لمزاينات الإبل محلياً وإقليمياً ودولياً، وأهم وجهات ملاك الإبل الأصيلة، وإحدى المحطات السنوية في مجال مزاينات الإبل، وملتقى نوعياً للمهتمين بالسلالات الأصيلة، ويجسد خُطا وإرث المغفور له الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه.

ففي «أيام الشارقة التراثية» تقف خلف هذه الاحتفالية التراثية معهد الشارقة للتراث، حيث يتم الاحتفال بها بالتزامن مع الاحتفالات بيوم التراث العالمي الذي تنظمه «اليونسكو» في 18 إبريل من كل عام، لقد أصبحت هذه الأيام انعكاساً لهوية الشعب الإماراتي،

ومثالاً واضحاً للعمق التاريخي والتلاحم الإنساني بين مختلف الأطياف الزمنية لإنسان هذه الأرض المباركة.

أما مهرجان التراث البحري، فتستضيف أبوظبي النسخة الأولى التي تقام خلال الفترة من 18 إلى 27 مارس، وبتنظيم من دائرة الثقافة والسياحة، حيث يحتفي بعناصر التراث البحري، ومن بينها صناعة الأشرعة وبناء السفن والصيد وطرق إعداد السمك (المالح) والغوص بحثاً عن اللؤلؤ، وغيرها كثير من المهارات والحرف والصناعات المتعلقة بالبحر وأهل البحر قديماً.

استطاعت المهرجانات أن تبرز حضارة وثقافة الإمارات الغنية بالعادات والتقاليد الأصيلة، وباتت تستقطب المهتمين والخبراء المتخصصين في مجال التراث وحمايته، وأصبحت تعرف الأجيال بحضارة الإمارات وتراثها، ولا ننسى الاهتمام الذي أولته تلك المهرجانات للأطفال والأسر، وخصصت لهم أجواءً ثقافية وتعليمية وترفيهية، وأنشطة وفعاليات تحث على التمسك بالتراث، وتعرفهم بالعادات والتقاليد الأصيلة، عبر كثير من الفعاليات والعروض اليومية المتنوعة للفولكلور العالمي، والأهازيج الشعبية لمختلف الدول والحضارات.

الفعاليات والمهرجانات

حماية للتراث

مريم سلطان المزروعي
كاتبة - الإمارات

إن الموروث الشعبي عبارة عن وعاء غني مملوء بأنواع متنوّعة من الثقافة والتراث، وهذا الموروث هو ما يمثل هوية المواطن، ويحدد شخصيته، ويرسّخ كيانه ومعتقداته، وإن التمسك بالعادات والتقاليد يصقل هذه الهوية، ويحافظ عليها، لذلك كانت هناك العديد من المساعي والمحاولات للمحافظة عليه، سواء على مستوى الأفراد أو مستوى الجهات، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى الحرص الشديد الذي تقوم به القيادة العليا والحكومة للمحافظة عليه.

الفعاليات التراثية لم تكن مقتصرة على إمارة دون غيرها، بل توزعت على المدن الإماراتية باختلافها، لذلك تقوم العديد من الجهات بتنظيم الفعاليات السنوية من أجل إحياء التراث، ورغم أننا نلاحظ تكرار هذه الفعاليات في إمارات الدولة، أو على مستوى الإمارة الواحدة، بما يشعر الزائر بنوع من أنواع الملل، وبالتالي لا يرغب في زيارتها، إلا أن لكل فعالية نكهة وميزة خاصة تميزها، لذلك نلاحظ أن هناك نوعاً من أنواع المنافسة والتنافس، يظهر فيه جانب جديد ومميز، مما يؤدي إلى لفت انتباه الزوار، وبالتالي إبهار الجميع، وترك بصمة جميلة ترسخ في أذهانهم، وهنا تقام المهرجانات التي تعتبر المحرك الأساسي لهذه الفعاليات التراثية، كمهرجان الشيخ زايد التراثي، الذي يقام كل سنة في منطقة الوثبة في أبوظبي، وكذلك المهرجانات التي تقام في أرض المعارض في أبوظبي، كمهرجان الفروسية، ومهرجان قصر الحصن، ومهرجان السمحة التراثي، ومهرجان رأس الخيمة التراثي، والملتقيات المتعددة والمتنوعة، كملتقى السمالية وغيره، والفعاليات المتميزة التي يقوم بها معهد الشارقة للتراث، كأيام الشارقة التراثية، إذ تم إطلاق أول دورة من دوراته عام 2003، ولكل دورة شعارها الخاص، وهو يحتفي بالبيئات البحرية والبرية والزراعية، مع الجوانب الأخرى للتراث، وهذه الفعالية التراثية استطاعت من خلال دوراتها التي عقدت في السنوات السابقة، أن تحقق نجاحاً ساحقاً، أثبت للعالم مدى الجهود المبذولة لإنجاحه، ومدى الدعم الذي يقدمه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، من دعم مادي ومعنوي، سعياً للمحافظة على التراث، وجعله من أولى أولوياته، فقد أصبحت «الأيام» اليوم اسماً على مسمى، وجزءاً من أيام الشارقة الجميلة، عكست الجهود المبذولة في احتضان التراث، والدور الحضاري الذي أبرز الصورة الحيّة لمفردات التراث الإماراتي، فكانت اللغة الحية التي حملتها الشارقة، ورسالة لشتى

أنحاء العالم، وهكذا ضمن استدامة التراث، فالمقصد من الاستدامة الارتقاء بالعمليات للوصول إلى اقتصاد ومجتمع مزدهر ومتنوع وحيوي، ومن أجل تحقيق الهدف من الاستدامة، لابد من الالتزام بعملية التطوير المستمر وتحديثه، لضمان استمراره ودوامه، يقول الشاعر:

إذا ما حال عهد أخيك يوماً وحاد عن الطَّريق المستقيم
فلا تعجل بلوْمِك واستدمهُ فإنَّ أخا الحفاظ المُستديم

إن الغرض الأساسي من إقامة هذه المهرجانات والفعاليات التي تنظّم بشكل سنوي ودوري، هو دعوة مفتوحة، واستعراض لأهم المهن والحرف الإماراتية التقليدية، وعرض طريقة صناعتها، كما أنها تعكس الموروثات الثقافية والعادات والتقاليد المجتمعية، فالهدف منها هو إرسالها رسائل تراثية هادفة لجميع فئات المجتمع عن مجتمع الإمارات، ورسالة للعالم ليطلع على ما خلّفه الأجداد لنا، وربط ما بين الماضي والحاضر، كما أن هذه المهرجانات حظيت بفرصة مشاركة العديد من الدول فيها، فوصلت للعالمية، وهذا لا يأتي إلا بتكاتف الجهود لنشر رسالة الإمارات الإنسانية لجميع دول العالم، كما أن الدمج الذي نلاحظه في المهرجانات هو دمج ما بين الماضي والحاضر، بما يمثله من إرث أصيل، يعتبر الطريق الأمثل لترسيخ مفردات ومفهوم الماضي في أذهان الأجيال القادمة، وإبعادها قليلاً عن ثورة التقنيات بكل ما فيها من زخم؛ لذلك هذه الفعاليات التراثية لها أهمية وقيمة كبرى في تعزيز الهوية الوطنية لدى أبناء شعب الإمارات، وترسّخ في أذهانهم جوانب التراث بأنواعه، مما يضمن المحافظة على التراث وديمومته، وبالتالي المحافظة عليه من الانقراض والاندثار. كما أنها تحقق الغرض من إقامة الفعاليات في صون التراث وتجسيد مفرداته، وتمثل حراكاً اقتصادياً وثقافياً متنوّعاً، يجذب السياح إليه. ولن ننسى التوعية والتثقيف الذي يتم تقديمه لطلاب المدارس الذين يأتون في رحلات مدرسية؛ ليشهدوا هذه الفعاليات.

هناك كثير من الحرف والمهن المهددة بالانقراض، أو بمعنى آخر لم تعد متداولة، وكان لها دور في الماضي في حياة أجدادنا، ولكن وجودها في الفعاليات التراثية والمهرجانات يضمن وجودها ويحافظ عليها. وهذه الفعاليات متنوعة، تتضمن التعريف بالحرف اليدوية؛ كالسدو والتلي وإعداد القهوة، إلى جانب الفعاليات المتعلقة بالأطفال؛ كالرسم والقصص القصيرة وكيفية صناعة الأدوات البحرية كالشباك. وعند لقائي الوالدة «أم سالم» ذكرت لي: «إن تراث الإمارات له مقومات أساسية يقوم عليها، ويضمن وجودها واستمرار كيانها، فهو يحمل رسالة ورؤية واضحة، وإن إعداد الفعاليات التراثية له دور كبير في خلق جيل متطور ومتحضر، يحمل طابعاً تراثياً ممزوجاً بالحضارة، فالشباب اليوم يمتلكون قدرات تقنية عالية، ويستطيعون خلال فترة وجودهم في هذه الفعاليات التعرف إلى تراث الدولة، والتعمق فيه، ومع العلم والمعرفة يستطيعون تسخير هذا العلم في خدمة التراث، وبالتالي المحافظة عليه، ونقله باستخدام التقنيات إلى الأجيال القادمة، كما أنني وصديقاتي كثيراً ما نشارك في هذه الفعاليات، ونسعى بكل طاقاتنا لعدم تضييع أي فرصة بأي نوع من أنواع المشاركة، إلى جانب أن كل واحدة منا لها مشاركة خاصة بها، حسب إمكاناتها، فهناك من تعرض مقتنياتها لمجرد العرض للزوار، وهناك من تبيع ما تقوم بصناعته من السراريد والمجبات والسفافة بألوانها الزاهية الجميلة، والتي يفرح بها الزوار، وهذه المقتنيات تعتبر بالنسبة لهن مصدراً ومدخولاً يعتمد عليه، ومورداً اقتصادياً لا ينشط إلا في هذه الفعاليات، وفي الوقت نفسه هدية لكل من يشتريها، وذكرى تبقى خالدة، ورسالة حب من الإمارات إلى جميع أنحاء العالم، وبالتالي نستمد نحن هنا الطاقة الملهمة نحو المستقبل».

المهرجانات التراثية
والشباب ذراع صون التراث

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي - الأردن

تعكس المهرجانات التراثية في أي من المجتمعات البشرية، ملامح ومكونات الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية التي عاشها الآباء قديماً، إذ تصور أنواع الحرف التقليدية المختلفة التي مارسوها بتنوعها البيئي، وتعرّف بمدى أهميتها في حياتهم المعيشية، كما تورّث معارف مختلفة حيال ما قامت عليه مفردات حياتهم من علوم ومعارف وقيم وعادات وتقاليد وفنون.

وتعمل مثل هذه المهرجانات على نقل هذه الموروثات من جيل لآخر، وتعزيز مشاعر الفخر لدى الدول والمجتمعات والأفراد الذين يعظُمُ بينهم حضور الشباب واهتمامهم باعتبارهم القوة الفتيَّة المؤتمَنة على صون هذا التراث والعمل على استدامته.

لا يتوقف الاهتمام بالتراث على عمليات حصره وتوثيقه - رغم أهميتها والحاجة إليها - بل يمتد إلى التعريف به، ودعم ممارسيه، وتعزيز حضوره في صفوف فئات المجتمع كافة، وبخاصة في فئة الشباب، تلك الفئة التي بمقدورها أن تبدّد القلق حيال استدامة ممارسة التراث برموزه ومجالاته العديدة في ظل تناقص الممارسين من كبار السن، إذ تشكل فئة الشباب والأجيال الصاعدة صمام الأمان الذي يحافظ على هذه الممارسة واستدامتها؛ فوعي الشباب بتراثهم، وبما ينطوي عليه من صفحات وقيم خالدة، خير ضمان للمحافظة عليه، ولاشك في أن المهرجانات التراثية تلعب دورها الواضح في تشكيل جوانب مهمة من هذا الوعي، من خلال المشاركة الفعليّة لهذه الفئة في المهرجانات، وتنمية الإدراك الوافي بمكانة التراث في تنمية الشعور للولاء للوطن، وتعزيز الهوية الوطنية التي تتكامل مع الهوية الإنسانية الشاملة، فكما تنمي المهرجانات التراثية لدى الشباب الإحساس والاعتزاز بهويتهم واستمراريتها، فإنها تعزز احترام التنوع الثقافي والإبداع البشري كذلك.

وينظر الشباب إلى المهرجانات التراثية على أنها أكثر الأنشطة والفعاليات التي تعرّفهم بتراثهم الوطني، وتحفّزهم على ممارسته، لاسيما بعد أن تعددت هذه المهرجانات وتنوعت اختصاصاتها والمجالات الثقافية والتراثية التي تغطيها، وبات الكثير منها من الاتساع والشمول يحتوي على نماذج عديدة من التراث الوطني، وأحياناً التراث الإنساني، وصار بوسع الزائر للمهرجان التعرف إلى الحرف التقليدية من خلال ورش العمل، وإلى فنون الأداء من خلال الفرق الشعبية، وإلى الأكلات الشعبية عبر ما يعرض حياً من تحضيرها ومن طقوس تناولها، والعروض الحية للعديد من الممارسات التراثية المختلفة، إضافة إلى التعرف إلى الإنجازات في تسجيل عناصر من التراث الوطني، والإقليمي، والدولي، في منظمة اليونسكو، وغير ذلك مما يلقي الضوء على الموروث الاجتماعي المحلي والجانب الإنساني والحضاري، ما يجعل المهرجان مركزاً تعليمياً وتوجيهياً وموئلاً جذاباً لفئات المجتمع كافة، وبخاصة فئة الشباب.

ففي الإمارات مثلاً، ثمة رغبة واضحة من الشباب الإماراتي في معرفة مضامين التراث الإماراتي ومفرداته، والاستفادة من قيمه الإيجابية؛ فوفقاً لدراسة حول عادات وأنماط تعرُّض الشباب الإماراتي للبرامج التراثية، فإن ما يقرب من ثلاثة أرباع الشباب الإماراتي يهمهم كثيراً معرفة التراث الإماراتي، وذلك للتعرف إلى كيف كان يعيش الآباء والأجداد وعلى العادات والتقاليد والثقافة الشعبية الإماراتية، ولبناء شخصيتهم وهويتهم الإماراتية، ولمعرفة السلوك الاجتماعي المرغوب فيه للالتزام به. وكانت المهرجانات التراثية من ضمن المصادر التي يستقون منها مثل ذلك.

تنوُّع وثراء المهرجانات التراثية في الإمارات

تكاد الإمارات تضيف إلى كثير من مجالات تميزها مجال التميز في تنظيم المهرجانات التراثية التي تتنوع لتغطي مختلف مكونات الموروث، وتتسع لتشمل التراث

العالمـي بتنوعـه وشـموليته. وإنَّ لـكل واحـد مـن هـذه المهرجانـات دوره الكبـير في صـون التقاليـد والعـادات والملامـح الحضاريـة التـي حفـل بهـا المـاضي، ومـازال المجتمـع الإماراتي يتأثـر بهـا حتـى اليـوم. وهـي، سـواء كانـت وطنيـة أو دوليـة، تمثـل منصـات تراثيـة تعـبر عـن هويـة الإمـارات وتقاليدهـا، وتبعـث بعروضهـا المتنوعـة وفعالياتهـا المختلفـة الاعتـزاز والبهجـة في نفـوس زوارهـا، وتغـرس، بنعومـة، حـب الـتراث الوطنـي في نفـوس مرتاديهـا، لاسـيما الشـباب الذيـن لهـم بصماتهـم في تنظيمهـا وتفعيـل حيويتهـا، وعليهـم تنعقـد الآمـال في تحقيـق أهدافهـا.

فيحتفـي مهرجـان الشـيخ زايـد الـتراثي بالـتراث الإماراتي وعـرض العـادات والتقاليـد والحـرف والمهـن التراثيـة والفنـون الشـعبية، ويـبرز مـدى تنوُّعهـا بطريقـة تثقيفيـة وتعليميـة يسـتفيد منهـا الـزوار، ويبلـور صـورة واضحـة وعميقـة للـتراث الوطنـي، تؤكـد مـدى عراقتـه وثبـات جـذوره عـلى أسـس حضاريـة وتاريخيـة، ويشـكل الإنسـان الإماراتي محـوره. ويزخـر المهرجـان بالعديـد مـن عـروض الفنـون الشـعبية في الإمـارات والعـروض التراثيـة الحيـة، إلى جانـب الـورش الترفيهيـة والتثقيفيـة والفولكلوريـة، فضـلاً عـن الأنشـطة التراثيـة، واسـتعراض ثقافـة الدولـة مـن خـلال عـروض الألعـاب الشـعبية في الإمـارات والرقصـات التراثيـة، ويركـز عـلى اسـتعراض جوانـب مختلفـة مـن حضـارة دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، والشـواهد التاريخيـة وآثارهـا في كل إمـارة. كـما يشـتمل المهرجـان عـلى العديـد مـن الفعاليـات التراثيـة والعالميـة، وفقـرات تفاعليـة تتناسـب مـع جميـع الأعـمار، لاسـيما جيـل المسـتقبل مـن الشـباب والأطفـال، فتعـرّف الأجيـال الشـابة بالثقافـة الوطنيـة وبهويـة الدولـة وموروثاتهـا، مـن خـلال تنـوُّع تـراثي حافـل مـن الموروث الإماراتي الثقـافي الأصيـل.

وبالتزامـن مـع احتفـالات يـوم الـتراث العالمـي الـذي تنظمـه «اليونسـكو» في الـثامن عـشر مـن إبريـل كل عـام، تنطلـق فعاليـات أيـام الشـارقة التراثيـة في أجـواء احتفاليـة يسـودها المـرح والترفيـه، وتزخـر بزخـم ثقـافي ومعـرفي؛ فـإلى الجانـب التعـرُّف إلى عـادت الأجـداد والحـرف اليدويـة، وطـرق العيـش، ومـا تتضمنـه مـن عـادات حياتيـة تمـارَس منـذ القِـدم، والبيئـات المختلفـة، هنـاك الجلسـات والنـدوات والـورش التعريفيـة التـي تلقـى حضـوراً لافتـاً مـن الشـباب، إلى جانـب المقاهـي التراثيـة، التـي تقـدم كل مـا هـو تـراثي، وفي أجـواء مماثلـة. وتعـد الأيـام انعكاسـاً واقعيـاً لهويـة شـعب دولـة الإمـارات، وتجسـيداً حيـاً لعراقـة

تاريخهـا الإمـارات؛ فتمثـل حدثـاً حيويـاً في الـتراث الثقـافي الإمـاراتي، بمـا توفـره مـن منـاخ مناسـب لتعريـف الجيـل الحـالي والأجيـال القادمـة بأصالـة المـاضي، وتمكينهـم مـن استكشـاف ذلـك الزمـن بـكل مـا فيـه مـن عـادات وتقاليـد أصيلـة تعـبر عـن المـوروث الشـعبي للأجـداد، ومـن مـدى المعانـاة والمشـاق التـي كان الأجـداد يتحملونهـا، مـا يقوي روح محبـة الوطـن، والتمسـك بأصالـة موروثـه والمحافظـة عليـه.

ومـن أجـل الإسـهام في حمايـة الحـرف الـتراثية وصونهـا ودعـم المشـتغلين بهـا محليـاً وعربيـاً، قـام ملتقـى الشـارقة للحـرف التقليديـة، إذ تتسـم دوراتـه، منـذ انطلاقتـه عـام 2007م، في مجملهـا بالشـمولية والتنـوع، فضـلاً عـن البرامـج الثقافيـة والفكريـة المصاحبـة، والتـي تُعنـى بإبـراز الأهميـة الـتراثية والثقافيـة والاقتصاديـة للحـرف الـتراثية وديمومتهـا، وهـو إلى جانـب ذلـك كلـه يسـعى إلى تمكـين الجيـل الجديـد مـن معايشـة بعـض مـن حيـاة الأجـداد التـي تتميـز بالابتـكار والإبـداع.

ومـن المهرجانـات الشـبيهة التـي تلقـى إقبـالاً في منطقـة العـين مهرجـان الحـرف والصناعـات التقليديـة، الـذي يأخـذ بيـد الزائـر نحـو المـاضي العتيـق ليتعـرف إلى الحـرف التقليديـة التـي مارسـها الأجـداد، إضافـة إلى العمـل عـلى تعميـق قيـم التواصـل والانتـماء للمجتمـع وترسـيخ الفخـر بالهويـة الوطنيـة، كـما يعمـل المهرجـان بشـتى الطـرق عـلى إحيـاء الحـرف التقليديـة وإيجـاد السـبل لإحيائهـا وبقائهـا كجـزء مـن الـتراث الحضـاري الوطنـي الـذي يحمـل كـماً غنيـاً مـن المـوروث والتقاليـد التـي تعـبّر عـن أصالـة القيـم الاجتماعيـة.

وفي مدينـة ليـوا في منطقـة الظفـرة بإمـارة أبوظبـي يقـام مهرجـان ليـوا للرطـب، وهـو ينقـل للشـباب جانبـاً مهـماً مـن الحيـاة الزراعيـة والاقتصاديـة التـي عاشـها الآبـاء والأجـداد، فيسـلط الضـوء عـلى العديـد مـن الطـرق التـي أثَّـرت بهـا أشـجار النخيـل والتمـور عـلى الحيـاة الثقافيـة والتراثيـة والاقتصاديـة للبـلاد، إذ لعبـت أشـجار نخيـل التمـر المتنوعـة وفاكهـة التمـر دوراً مهـماً في تلبيـة الاحتياجـات الغذائيـة لأجيـال المجتمعـات الصحراويـة، بمـا في ذلـك تلـك الفاكهـة ذات القيمـة الغذائيـة العاليـة، في حـين أن الجـذع والسـعف وأجـزاء أخـرى مـن

الشـجرة كانـت تسـتخدم تقليديـاً في المبـاني والحـرف اليدويـة والأدوات.

ويوفـر مهرجـان الصداقـة الـدولي للبيـزرة بيئـة متميـزة لاحتـكاك وتمـازج الحضـارات والثقافـات والتقـاء الشـعوب والمنظـمات والأفـراد المهتمـين بالصقـارة لدعـم هـذا الـتراث والحفـاظ عليـه وتطويـره، باعتبـاره إحـدى أهـم ركائـز الهويـة الوطنيـة، حيـث غـدا مُدرجـاً في القائمـة التمثيليـة

للـتراث الثقـافي غـير المـادي للبشريـة مـن قبـل منظمـة اليونسـكو. ويشـارك في فعاليـاتـه سـنوياً مئـات الصقارين والخـبراء والباحثـين إلى جانـب مسـؤولي وممثـلي اليونسـكو، والمؤسسـات الدوليـة المعنيـة بالحفـاظ عـلى تـراث الصقـارة وصـون البيئـة مـن مختلـف قـارات العـالم. ويعـرض لجهـود دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة في الصيـد المسـتدام والحفـاظ عـلى الصقـارة كـتراث عالمـي. ويتضمـن برنامـج الفعاليـات إقامـة مخيـمات صحراويـة وتنظيـم مؤتمـر علمـي، ومجموعـة غنيـة مـن الأنشـطة والمسـابقات التراثيـة والفنيـة والتـي تناسـب كافـة الاهتمامات والفئـات العمريـة، لاسـيما فئـة الشـباب، إضافة للعـروض الفولكلوريـة الشـائقة التـي تمثـل ألـوان ممارسـة الصقـارة والـتراث لـدى العديـد مـن شـعوب العـالم.

مهرجانات تراثية عربية برسالة عالمية

لا يختلـف الأمـر كثـيراً في العديـد مـن الـدول العربيـة عـما تلقـاه المهرجانـات التراثيـة في الإمـارات، رغـم التباين في شـموليتها، إذ تـكاد كل دولـة تتميـز بمهرجـان نوعـي مختـص، بجانـب مـن جوانـب الـتراث يجمـع الـتراث العالمـي في منصـة احتفاليـة واحـدة؛ ففـي الكويـت، يتضمـن مهرجـان المـوروث الشـعبي الخليجـي، الـذي يقـام سـنوياً، العديـد مـن الأنشـطة والمسـابقات التراثيـة

والشـعبية، ويشـهد إقبـالاً كبـيراً مـن مختلـف الأعـمار عـلى حضـور ومتابعـة فعالياتـه والمشـاركة في مسـابقاته، وهـو يمثـل أحـد العوامـل المسـاعدة في دعـم وتعزيـز الـتراث الوطنـي الشـعبي في دول مجلـس التعـاون الخليجـي، وأحـد أهـم الملتقيـات التراثيـة في المنطقـة. يُقـام في قريـة تحمـل عبقـاً تراثيـاً وتاريخيـاً تتضمـن مختلـف العنـاصر الأساسـية مـن متاحـف تراثيـة ومسـابقات وأسـواق شـعبية وجوائـز وعـروض ترفيهيـة وغيرهـا مـن الفعاليـات التـي تجـذب مختلـف الفئـات العمريـة، وتثـير اهتـمام الشـباب منهـم في التعامـل مـع الـتراث.

ومنـذ عـام 1985، يقـام في المملكـة العربيـة السـعودية مهرجـان الجنادريـة، وهـو مهرجـان تـراثي وثقـافي عريـق، ويعـد مناسـبة تاريخيـة في مجـال الثقافـة، يمتـزج في نشـاطاته عبـق التاريـخ المجيـد بنتـاج الحـاضر الزاهـر، ويهـدف إلى التأكيـد عـلى هويتنـا العربيـة الإسـلامية، وتأصيـل المـوروث الوطنـي بشـتى جوانبـه ومحاولـة الإبقـاء والمحافظـة عليـه ليبقـى ماثـلاً للأجيـال القادمـة. وفي مدينـة جـدة، يقـام ثـاني أهـم مهرجـان في المملكـة العربيـة السـعودية، ويهـدف إلى تسـليط الضـوء عـلى منطقـة جـدة التاريخيـة وتعريـف الـزوار بهـا وبمـا تحتويـه مـن معـالم وإرث تاريخـي كبـير بهـدف المحافظـة عليهـا، وإعـادة إحيـاء عـادات وتقاليـد أهلهـا. وقـد أسـهم المهرجـان بشـكل كبـير في تعزيـز ملـف انضـمام جـدة التاريخيـة لمنظمـة اليونسـكو، وتسـجيلها كموقـع تـراث عالمـي يجـدر الاهتـمام بـه والمحافظـة عـلى تاريخـه.

وفي الأردن، يحتفـي مهرجـان جـرش للثقافـة والفنـون بالثقافـة والـتراث وبالموسـيقى التقليديـة، إذ يعـد مـن أقـدم وأبـرز المهرجانات في المنطقـة العربية، والأقـدر عـلى تقديـم وعـرض جوانـب متعـددة مـن الإبداعـات المحليـة والعربيـة والعالميـة، والتعريـف بهـا لجمهور شـبابي عريـض، فـوق منصـة أثريـة هـي نتـاج تاريـخ مـن الحـوار الإبداعـي بـين الحضـارات الإنسـانية، فهـو جـذر عميـق مـن جـذور الإبـداع التـي ترتـوي مـن التقاليـد الراسـخة والقيـم الإنسـانية العاليـة، ومنـارة ثقافيـة لإعـلاء قيـم الإبـداع لتحقيـق التنميـة الثقافيـة المسـتدامة،

وفضـاء إنسـاني يمـزج جـمال المـاضي بإشراقـة المسـتقبل، سـعياً لخلـق فضـاءات إنسـانية رحبـة تنبـت فيهـا الأفـكار، وتتسـع فيهـا القواسـم المشـتركة بـين أبنـاء الحضـارات المختلفـة، وتتواصـل فيهـا الإسـهامات الإبداعيـة المحليـة والعربيـة والعالميـة، عـبر رسـالة ثقافيـة سـنوية تحمـل في طياتهـا روح التسـامح والتعايـش والحـوار التـي تُجمّلهـا الموسـيقى، لغـة الإنسـانية.

ويعـد موسـم طانطـان في المملكـة المغربيـة حدثـاً فريـداً مـن نوعـه في الاحتفـاء بالثقافـة البدويـة، مـن خـلال إبـراز الأبعـاد المختلفـة للحيـاة اليوميـة فيهـا، والمحافظـة عليهـا كأداة للتنميـة المسـتدامة. وهـو مـن الأهميـة بحيـث حظـي بالاعـتراف بـه وتدوينـه كتحفـة للـتراث الشـفهي وغـير المـادي للإنسـانية مـن قبـل اليونسـكو، إذ يعـد شـهادة حيـة وفريـدة عـلى ثـراء وتنـوع الـتراث الثقـافي البـدوي في الصحـراء، يرمـز هـذا الحـدث السـنوي للسـلام والتسـامح، ويشـكل فرصـة اسـتثنائية للقـاء البـدو والمعنيـين بالبـداوة وإعـادة الاتصـال بالمـاضي، ومركـز تبـادل ثقـافي واقتصـادي مهـماً بـين قبائـل المنطقـة والمشـاركين مـن الخـارج، وبيئـة باعثـة للتضامـن الاجتماعـي.

ويشـكل المهرجـان الـدولي للطبـول والفنـون التراثيـة في مـصر ملتقـى للثقافـات المختلفـة، تحتضنـه القاهـرة وتقـدم مـن خلالـه حـواراً ثقافيـاً بـين الـدول المشـاركة، وسـط أجـواء تاريخيـة تقـدم فيهـا العـروض المختلفـة، إذ يعكـس جوانـب مـن الـتراث الفنـي للـدول المشـاركة مـن خـلال فـرق الطبـول، وكل الجوانـب التراثيـة التـي تشـتهر بهـا الدولـة. وتقـام فعاليـات المهرجـان في عـدد مـن الأمـاكن الأثريـة التـي هـي الأقـرب لطبيعـة العـروض المرتبطـة بالـتراث الثقـافي للـدول المشـاركة، فهـي تحتـوي كل هـذه الثقافـات لتظهـر في النهايـة كبانوراما مصريـة تقـدم حـواراً بـين الحضـارات عـبر لغـة الفـن التـي يلتقـي في فهمهـا الشـباب مـن مختلـف الأصقـاع.

المصادر والمراجع

1. عـادات وأنمـاط تعـرض الشـباب الإمـاراتي للبرامـج التراثيـة في القنـوات التلفزيونيـة المحليـة (الإماراتيـة)، فوزيـة آل عـلي ورحيمـة الطيـب عيسـاني، دبي: مركـز حمـدان بـن محمـد لإحيـاء الـتراث - حكومـة دبي، الطبعـة الأولى، 2015م.
2. مجلة الفيصل، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد 143، ديسمبر 1988م.
3. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، التراث الثقافي غير المادي والتنمية المستدامة https://ich.unesco.org › doc› src
4. المهرجانـات في منطقـة الخليج، بحـث حول المهارات، المجلـس الثقافي البريطاني، فبراير 2019م.

المهرجانات التراثية

في الشارقة مقومات لازمة لصون التراث

مجدي محفوظ
كاتب - مصر

يعدّ التراث هو المحدد الأول لثقافة الشعوب، ويسهم بشكل رئيس في تكوين محصلة ثقافية لدى المجتمع، لذا يجدر التنبيه إلى أن روح العصر قد لا تتحمل أو تستوعب بعض ما يأتي به التراث في بعض الموضوعات، لاسيما حينما تطرق العالم إلى الحداثة والتكنولوجيا، إلا أننا لابد أن نبرز ذلك من خلال عرضه في صور تتوافق مع روح العصر، حتى نحتفظ به في ذاكرتنا الشعبية، ونكون قادرين على تحقيق الاستدامة له.

وعند الحديث عن التراث بشكل من الاستفاضة، لابد من طرح نموذج قادر على توصيف قدرته على حمل الكثير من التعبيرات المتداخلة، خاصة عندما يرتبط بالاستدامة، حيث القدرة على طرح الحكايات الشعبية والألعاب والأشعار والأغاني، وغيرها مما يرتبط بالموروث الثقافي، وبصور تتفاعل مع المجتمع، ولها القدرة على الوصول إلى المجتمعات دون وسيط، وبما يمثله تراثنا لدى الأمم، فقد حمل الكثير من التجارب عبر تاريخ الإنسانية، وظل مخزوناً شعبياً تتناقله الأجيال عبر سلسلة من الثقافات الفكرية، تؤمن باستدامته، من خلال تسجيل وطرح الحكايات والأشعار والأساطير والألعاب والفنون بصور متعددة قادرة على التعبير دون العبث بالمحتوى الفكري المتعلق بها، وذلك عبر طقوس احتفالية ترتبط بتلك التجارب العملية، والمفهوم الجمالي والحضاري للتراث لدى المشاهد، ومعايشة الأحداث، حيث الأهمية الكبرى لدى الشعوب، وتميز هويتها الخاصة كمرجع تاريخي عريق لديها،

وهـذا يحفـز عـلى التراكـم المعـرفي والثقـافي بالـتراث، حتـى ولـو تشـابهت الحكايـات بـين البلـدان المختلفـة، وكذلـك في الألعـاب الشـعبية التـي اختلفـت، حسـب طبيعـة المـكان والمسـمى.

وكان للشـارقة دور بـارز ومهـم في ديمومـة الـتراث، والحفـاظ عليـه عـبر منظومـة ارتبطـت بالـتراث العـربي والعالمـي، مـن خـلال فعاليـات أيـام الشـارقة التراثيـة، التـي تمثـل حدثـاً تراثيـاً عالميـاً قـادراً عـلى نـشر تـراث الأمـم عـبر فعالياتهـا التراثيـة، وبمنظـور عالمـي نحـو الـتراث، وفكـر متطـور قـادر عـلى إبـراز دور تـراث وثقافـة الشـعوب، وكيفيـة الحفـاظ عليـه، حيـث يعـدّ المـوروث الثقـافي مـن أهـم ركائـز التنميـة المسـتدامة التـي لهـا القـدرة عـلى الحفـاظ عـلى الموروثـات التراثيـة مـن خـلال التخطيـط السـليم، ومنهجيتـه، والحلـول التـي تسـاعد على القـدرة عـلى الاسـتدامة للـتراث بـكل جوانبـه، ولمـا يمثلـه مـن مـورد اقتصـادي حضـاري مهـم، ويعـدّ قضيـة أساسـية لـدى مهتمـي الـتراث، والسـاعين نحـو تحقيقهـا بشـتى المفاهيـم والنظريـات القـادرة عـلى تحقيـق تلـك التنميـة، وقـد حملـت أيـام الشـارقة التراثيـة المقومـات اللازمـة، والتـي مكنتهـا مـن تحقيـق الاسـتدامة عـبر وسـائل التطوير المختلفـة لضـمان الانتقـال للمسـتقبل، مـن خـلال الاهتـمام بـكل مـا يمثلـه مـن إرث مـادي أو ثقـافي، وبمنظومـة قـادرة عـلى تفعيـل هـذا الـدور، وذلـك لمـا تحملـه مـن فعاليـات مدروسـة تمثـل الكثـير مـن المفـردات التراثيـة، والتـي تعـزز مكانـة الأيـام العربيـة والعالميـة، وقدرتهـا عـلى فتـح مجـال لجـذب الباحثـين والمهتمـين بالـتراث عـبر منافذهـا الثقافيـة المختلفـة والتـي سـاعدت عـلى نـشر ثقافـة المـوروث الثقـافي، والحفـاظ عليـه، وفتحـت البـاب أمـام المهتمـين بكيفيـة الحفـاظ عـلى الـتراث، ولم يقتـصر الأمـر عـلى ذلـك، بـل اسـتطاعت اسـتضافة فعاليـات تراثيـة

شـهرية طـوال العـام، مـن خـلال برنامجهـا المتميز أسـابيع الـتراث العالمـي، والـذي يتميـز باسـتضافة إحـدى الـدول، والتعريـف بتراثهـا الثقـافي بمختلـف تجلياتـه، إضافـة إلى الحـرف اليدويـة والتراثيـة، والفنـون الشـعبية، والأكلات، وغيرهـا مـن كل مـا هـو تـراثي مهـدد بالانقـراض، حيـث تتجـلى كل دولـة بتراثهـا المتنـوع، لتؤكـد تبـادل المعـارف والخـبرات، والتعـرف إلى تـراث البلـدان المختلفـة، وكيفيـة الحفـاظ عليـه، ونقلـه للأجيـال، مـا يزيـد مـن الحفـاظ عـلى اسـتدامته.

حيـث تمثـل الفعاليـات التراثيـة بالشـارقة، مـن خـلال معهـد الشـارقة للـتراث، مجـالاً آمنـاً قـادراً عـلى صـون وحفـظ الـتراث، خاصـة المهـدد بالاندثـار، والبحـث عنـه، وتوثيقـه، مـن خـلال نظـم قـادرة عـلى الحفـاظ عـلى الموروثـات الشـعبية المختلفـة، والتـي تسـاعد عـلى تكويـن محتـوى حضـاري تاريخـي، يشـكّل حالـة تعريفيـة بالـتراث، والـذي يمثـل الدعامـة الأولى للاسـتدامة، حيـث الكثـير مـن المحتويـات الفكريـة والماديـة والمعنويـة الخاصـة بتلـك الموروثـات التراثيـة، ومـا تمثلـه تلـك النزعـة القويـة مـن الحكايـات والقصـص والأسـاطير التـي تحفـز مخيلـة الأطفال، لنـدرك مـدى الحفـاظ عـلى تراثنـا الثقـافي والمـادي للأجيـال القادمـة.

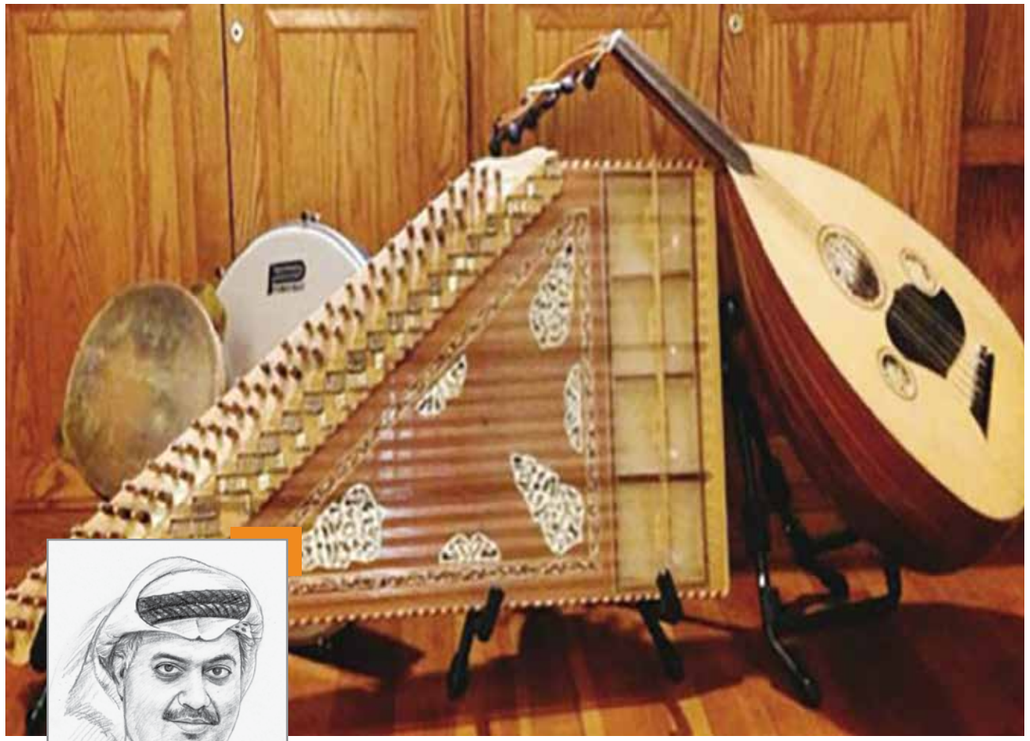

بين إيمانويل كانت وعلم الموسيقا العِرقيّ

هل الموسيقا العِرقيّة فنٌ حقاً؟

علي العَبْدان
مدير إدارة التراث الفني
معهد الشارقة للتراث

كثيراً ما طرح علماء الموسيقا أسئلةً حولَ ما إذا كانت الموسيقات العِرقية - أي غير الغربية - فناً، وعمّا إذا كانت أعمالُها وإنتاجاتُها تندرج ضمنَ مقاييس وضوابط علم الجَمال، وكيف يمكن لها أن تكون كذلك وهي لم يُقصَد بها إلى الفن في كثيرٍ من الأحيان، بل كانت، وربما ما زالت تَعتورُها الوظيفية، بخلاف الموسيقا الغربية، التي يُزعمُ أنها فنٌ غيرُ وظيفيّ، وأنها فنٌ لأجل الفن فقط.

والمسألة هنا تُشبهُ من بعض النواحي مسألة قَصْر علم الاجتماع (Sociology) على الأوربيين، أو الغربيين عامةً، وتخصيص علم الأعراق (Ethnology) لبقية العالَم، قبلَ أن يُولَدَ ما صار يُعرفُ بعلم الإناسة (Anthropology)، فهل الموسيقا العِرقية فنٌ حقاً؟

الأمر يقتضي طرحَ سؤالٍ آخَرَ قبلَ ذلك في هذا السياق، وهو: ما الفن في ذاته؟ إن محاولة الإجابة تتطلبُ التفريقَ في مفهوم الفن بين ما قبلَ الكانطية وما بعدها، فقبل إيمانويل كانط (1724 - 1804) كان الفكر الأوروبيّ يرى أن الفن هو صناعةٌ ماهرةٌ لشيءٍ ما، إنه مرادفٌ لإتقان مهارة، أو حرفة، مثل الرسم، وصناعة الخزف، وعزف الموسيقا، ويبدو أن مفهوم الفن في نواحٍ عديدةٍ أخرى من كوكب الأرض - كالعالَم الإسلاميّ مثلاً - كان يتماثل مع وجهة النظر هذه، وأما بعد أن جاء كانط في كتابه (نقد ملَكَة الحكم) بالتركيز على تجربة المستمع، ورَبَط الفن بالأحكام المتعلقة بما سمّاه: الجميل، والسامي، والصالح، والمُتقَبَّل؛ ارتبط مفهوم الفن الأوروبيّ بمفهوم الجَمال وقضاياه، وابتعدَ عن مفهوم الحِرفة والمهارة.

إن وجهة النظر الكانطية هذه تريد من الفن - لكي يكونَ فناً - أن يستطيع التعبير عن مشاعر معيّنة، كما تُعبرّ قطعة موسيقية أوروبية عن الحزن أو عن تصاعد العواطف مثلاً، أو أن يمُثلَ العملُ الفنيُّ الواقعَ، أو يُشخّصَه، كما في كثير من اللوحات والمنحوتات، خاصةً الأوروبية، أو أن يمتلك العملُ الفنيُّ عناصرَ شكليّةً جديرةً بالاهتمام والتأمل لذاتها، كما في كثير من الأعمال الفنية الحداثية ذات النزعة الشكلانية، أو التي تهتم ببنية التشكل (المورفولوجيا - Morphology)، وجميعها أوروبية أيضاً، ومن هنا استندت تلك الأحكامُ الجَمالية المذكورة إلى صفاتٍ موضوعيةٍ مفترَضةٍ في العمل الفنيّ نفسه؛ صفاتٍ مثل التقابل، والتوازن، والتعقيد، وتنظيم العناصر، ودقة التشكيل، وما شابه،

وواضحٌ مما تقدّم أن هذه المقاييس أوروبية، فعِلمُ الجَمال علمٌ أوروبيٌّ في الأصل، ويخضع للمفاهيم الأوروبية عن الجَمال.

إن النظرة الكانطية إلى الموسيقا على أنها فن، خلقت مشاكلَ عدة من وجهة نظر علم الموسيقا العِرقيّ (Ethnomusicology) بحسب الإثنوموسيقيّ الأمريكيّ تيموثي رايس ، منها أن تلك النظرة أو ذلك التعريف الكانطيّ قد استُعمل لتثمين وجهة نظر أوروبية

محدودة للفن، كما حصل دائماً مع مفهوم الجمال، كما استُعملَ في الوقتِ نفسِه لإبعاد الممارسات غير الأوروبية إلى فئة الفن الوظيفيّ أو التطبيقيّ، أي إلى فئة غير "الفن" بمفهومهِ الجَماليّ الأوروبيّ، ذلك مع أن الفن الموسيقيّ الأوروبيّ نفسَه قد يكون له وظائف اجتماعية وثقافية وسياسية غير جمالية، وأن العديد من الثقافات، في المقابل، وإن لم تكن كلها على أية حال، قد تملك أحكاماً خاصةً بها حولَ ما هو جميل، وما هو "فن"، فالشأنُ في الواقع، وفي هذا السياق؛ ثقافيٌّ، أو حسبَ الثقافة، وليس مُطلقاً، وهذه نظرةٌ ما بعد حداثية كما هو ظاهر، ومن تلك المشاكل أيضاً اعتمادُ هذه النظرة الكانطية في المعاهد والمؤسسات الموسيقية الأكاديمية، التي غالباً ما تمنح الممارسات الموسيقية مكانة "الأعمال الفنية"، وتحدد ماهية الفن بناءً على تلك النظرة، أي إنها تحصر الفن الموسيقيَّ فيما يُسمى "موسيقا الفن الغربيّ"، ومن تلك المشاكل أيضاً أن تلك النظرة ترى الفنَّ الموسيقيَّ شكلاً واحداً، في حين أن بعض علماء الموسيقا العِرقية يرون أن للفن الموسيقيّ أنواعاً أساسية متميزة من الأنشطة التي تلبي احتياجاتٍ وطرقاً مختلفة للوجود الإنساني، وأن كل نوع يجب أن يُحكم عليه وفقاً لأهدافه الخاصة، وليس من منظورٍ واحدٍ إلى طبيعة الموسيقا كما أدّى إليه التمسك بالنظرة الكانطية.

ومن هنا كان الفن بالمفهوم ما قبلَ الكانطيّ أقربَ إلى رؤية علماء الموسيقا العِرقيّة، وذلك بسبب تركيزه على صناعة الفن، وعلى الفاعلية البشرية، إذ هو يُركز بقدرٍ كبيرٍ على صُنّاع الفن أنفسِهم، كما أن هذا التعريف يتجنّب التمييز بين الفن الجميل والفن الوظيفيّ، أي بين الفن والحِرفة، وهو بذلك يناسبُ أيضاً وجهاتِ نظر علماء الموسيقا العِرقية إلى حدٍ جيد، بل إن علماء الموسيقا العِرقية - بحسب الإثنوموسيقيّ الأمريكيّ تيموثي رايس أيضاً - يجدون الكثير من الأدلة في مجموعة متنوعة من الثقافات الموسيقية كمصدر للتعبير عن المشاعر، وكنص، أو نظام إشارة، يمثل شيئاً يتجاوز الموسيقا، وإن دراساتهم في الإناسة الموسيقية توفر تصويباً مهماً لفكرة أن الموسيقا مجرد فن في حد ذاتها، ومن خلال هذه الجهود استطاع علماء الموسيقا العِرقية أن يُعيدوا توجيه النظر إلى الموسيقا، كي تكونَ فناً وأكثر، حيث قاموا بتأييد الآراء التي ظهرت منذ العصور القديمة وحتى الوقت الحاضر، تلك القاضية بأن الموسيقا ضرورية لمشروع الإنسان، وللتصرف بشكل إنسانيّ في العالم، وهكذا تُعيدُ بعضُ التوجّهات ما بعدَ الحداثية أفكاراً إنسانيةً قديمةً، عاملتها المفاهيم الأوروبية الحديثة معاملةً ثانوية في سياق الاعتراف الفنيّ والمعرفيّ.

فن اليامال

علي العشر
خبير تراث فني
معهد الشارقة للتراث

فن اليامال هو من الفنون القديمة التي تؤدى غالباً في البحر، وذلك على ظهر السفن القائمة على نقل البحارة إلى الغوص أو صيد الأسماك، أو نقل الناس من إمارة إلى أخرى، أو السفر والتبادل التجاري بين بعض الدول الآسيوية والإفريقية وغيرها.

ويؤدى هذا الفن أيضاً عندما يتم انتقال بعض المحامل في أثناء الغوص من هير إلى آخر، أو أثناء قيام السباق بين المحامل في مناطق الهيرات القريبة، حيث كانت تتجمع بجوار بعضها بعضاً.

وغالباً ما يكون أداء هذا الفن عند قيام البحارة بعملية التجديف؛ لمتابعة سير السفينة عندما يكون البحر «دوق»؛ أي بمعنى لا يوجد أي هواء يساعد على سير السفينة بالشراع، ففي هذه الأثناء يقومون مضطرين بإنزال الشراع والاستعانة بالتجديف.

وحيث إن عملية التجديف تصنّف من الأعمال البحرية الشاقة والمتعبة، فمن البدهي وجود ما يخفف عن البحارة العناء والتعب وهم يقومون بهذا العمل.

فعندها يتطلب أن يلازم هذه المجموعة من يساعدهم على هذا، يقع الاختيار على من هو جدير بالقيام بفن اليامال، ويؤدى هذا الفن من قبل النهام، وبمشاركة البحارة أثناء قيامهم بالتجديف، حيث يبدأ النهام ببعض الكلام المأخوذ من المزهريات، أو من كلام النثر، أو من بعض القصائد البحرية.

فيبدأ النهام، ويقوم البحارة بالرد عليه، إما بترديد ما يقوله، أو تكون لهم لازمة يقولونها، وتكون مرتبطة بالكلام الذي يقوله النهام، ومتفقاً عليها أيضاً، ليفهمها الجميع، وتقال وتسمع منهم بصوت جماعي ونغمة موحّدة.

نهمة فن اليام تؤدى بطريقتين:

الأولى تسمى نهمة الياهي، وتكون بطيئة الإيقاع. والنهمة الأخرى تسمى النهمة المثلوثة، وتكون أسرع من الياهي، وتقال أثناء سرعة المحمل.

ومن الزهريات والقصائد البحرية والأهازيج وشعر النثر التي تغنى في فن اليامال ما يلي:

آه يا مال آه يا مال آه يا مال

آه يا يبه آه يا يبه آه يا يبه
مت وما بإيدي شي
مت وما بإيدي شي

مت وزودت حملك علي

االا يا يبه مت وزودت حملك علي

للموت آه للموت الا يا يبه الموت

بس يختار يا يبه الموت بس يختار

الموت بس يختار جان
جان ضحيت بنفسي أنا

النار النار النار في قلبي نار

على فراقك على فراقك النار في قلبي نار

النار يا يبه النار على فراقك

على فراقك شوف شو الصار

ومن بعدك هلا يا يبه من بعدك

ومن بعدك يواسيني هلا يا يبه

هلا يا يبه من بعدك يواسيني

يواسيني ويمسح دمعة عيني

ذكرك لين الحين في بالي
رحت وين يالغالي

رحت وين يا يبه
أوه أوه أوه يا مال

خليفة بن شخبوط
شاعر القرن التاسع عشر

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد ـ الإمارات

الشيخ خليفة بن شخبوط، هو حفيد الشيخ ذياب بن عيسى الفلاحي، الشاعر الذي ورد ذكره في العدد السابق.

تقلّد الحكم في إمارة أبوظبي بعد أخيه الشيخ طحنون من عام 1833 إلى عام 1845، وكانت فترة حكمه مضطربة، وأهم أحداثها هو انفصال البوفلاسة عن بني ياس، وذهابهم لإنشاء سلطة منفصلة في دبي، ورغم أعباء الحكم، وما يتبعه من مسؤوليات، فقد كان للشعر عند الشيخ خليفة بن شخبوط دور لا يقل أهمية عن المعارك الحربية .

لذا فإن شعر الشيخ خليفة بن شخبوط يتميز بحضور شعبي كبير، حيث تناقل الحفاظ شعره في الصدور قرابة القرنين من الزمان، على الرغم من عدم وجود التدوين، وضياع قصائد كثيرة من قصائد عصره، وهو بذلك شاعر متمرس، له أسلوبه الخاص، ولكن اختلط على كثير من الرواة، فنسبت قصائد الآخرين إليه، ونسبة قصائده إلى الآخرين، وقد يكون ذلك لتشابه قصائد بحر الونة، على أي حال، وردت له قصائد كثيرة نسبياً، فقد وردت له قصائد بدءاً من الجزء الثاني لتراثنا من الشعر الشعبي، وفي ديوان الونة، وأضيفت قصائد أخرى في أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ.

ومن قصائده قصيدة أورد هنا نصاً لها من الباحث ناصر الظاهري، ومطلعها:

نَفْسي كُوني رِزِينَهْ دَارِي الْخَطَا دَارِيهْ

يخاطب الشاعر نفسه في هذه القصيدة، ويتحدث معها في حوار مونولوجي، وهذا نوع من التجريد وبديع جداً، حيث يقف الشاعر بمسافة عن نفسه ويخاطبها مخاطبة الآخر، كي يستطيع السيطرة عليها، فالنفس المندكّة في الروح والجسد تصبح خارجة على السيطرة، أو يصعب معرفتها؛ لذا أجد ذلك استراتيجية بارعة في هذا الموقف، حينما يتجرد الشاعر عن نفسه لمحاسبتها، ولعلها محاولة لإرجاع السيطرة إلى حكمة العقل قبل أن تتمادي النفس، ويصبح الحل بعيد المنال. هنا نجد الشاعر يطلب من النفس أن تداري

الخطأ، وأن تحفظ السر؛ كي لا يشيع الأمر، ويصبح خارجاً على سيطرة الشخص، فكما هو واضح أن الشاعر يرى أن النفس قد أخطأت، وعليها تدارك هذا الخطأ بسرعة.

نَفْسي كُوني رِزِينَهْ دَارِي الْخَطَا دَارِيهْ
اِقْرِي سِرّ الْبِطِينَهْ وِامَّا بِقَا خِفِّيهْ

القصيدة في غرض النصيحة والحكمة، وهذا الغرض الأخلاقي جانب مهم من الشعر، وقد تجد أبياتاً تعرج إلى هذا الجانب حتى في القصائد الوجدانية، فالحكمة جزء فلسفي مهم من الشعرية، ولولا الفلسفة الشعرية الخاصة لكل شاعر لما برز أسلوبه وبصمته في كتابة النص الأدبي، وخليفة بن شخبوط شاعر استطاع أن يقدم شعراً يقاوم عامل الزمن في وقت لم يكن تدوين القصائد وسيلة للتوثيق والحفظ.

فالزمن طالما مسح من ذاكرة الرواة القديم الذي يصبح مملاً بالتكرار، بالجديد المنعش للذائقة، ولكن تبقى القليل من القصائد التي تستطيع مقارعة عوامل التعرية والاندثار، وتبقى حاضرة في الأذهان، على الرغم من مرور عصور كثيرة، فمثلاً نجد أثر هذه القصيدة على شعر المغفور له الشيخ زايد جلياً في قصيدته:

مَتْرَى الْعِيَلْ مِنْ بُونَهْ مَا يُوصَلْ لِيْ بِيَاهْ
لَوْ جَدّ يَا مِنْ دُونَهْ وِيخْسَرْ كِلّ اصْدِقَاهْ
بِالْحُصّ لِيْ يْعَرْفُونَهْ ولِيْ يَرْبُوْا مَجْرَاهْ
النّاسْ لَوْ يِفْهَمُونَهْ لِانْسَانْ مِنْ مَبْدَاهْ
لَا بِدّ لَهْ مِنْ سُونَهْ يِغَيّرْ مِسْتِوَاهْ
بَعْدِ اخْتِبَارِ الْمُونَهْ وِظْرُوفَهْ لِيْ مَعَاهْ
يَرجِي يْعَرْفِ الْعُوْنَهْ والْعَدْلْ يِتْنَفَّاهْ
مَا يِسْمَعْ لِيْ يْغَوْنَهْ يِشْمَخْ رَاسِ العِلَاهْ
يِنْزَح مَا يِلْحَقُونَهْ لِيْ تْرَاوِدْهُمْ دَنَاهْ
يْعَزْلْ فِي مَضْمُونَهْ شَرْوَى مِنْ هُو شَرَاهْ
وِطُوْرِ الْبِشَرْ يَطْرُونَهْ فِي وَصْفَهْ وِمْعَنَاهْ
فِي الْوَقْتْ وْفِي الْحِيَاهْ لِعْبَادْ مَا يِنْسُونَهْ

والبيت الأول من قصيدة الشيخ زايد يتطابق مع البيت التالي:

تِلْقَي الْعِيَلْ مِنْ حِينَهْ كِلّ مْعَنَى يِخْطِيهْ

وهذا البيت ورد عند بعض الرواة في المطلع، وبصيغة تشابه قصيدة الشيخ زايد:

مَتْرَى الْعِيَلْ مِنْ حِينَهْ كِلّ مْعَنَى يِخْطِيهْ

فالشيخ زايد يشير إلى أن الإنسان لن يصل إلى مبتغاه بالعجلة! كيف ذلك والاستعجال وسيلة لاختصار الوقت؟! وهذا أسلوب براعة لبيان أن العجلة ستوقعك في أخطاء تكلفك وقتاً أكثر، وهذا بالضبط ما يقصده الشيخ زايد، وأشار إليه الشيخ خليفة بن شخبوط في قصيدته، والتي يكملها بالأبيات التالية:

اِلْعُوْفْ لَا تْخَاوِينَهْ بَادْنَى ثِمَنْ بِيعِيهْ
خَلّيهْ لَا تِثْلِينَهْ وِسْطِ الْبَحَرْ تُوحِيهْ

لعله هنا يبين الشاعر لب الموضوع؛ أي أخطاء النفس التي تعجّلت وانجرفت نحو أناس سيئين، كان يجب أن يبتعد عنهم؛ لذلك ينصح النفس هنا بذلك، وقد لا تكون النصيحة إلى نفس الشاعر، أو القصيدة برمتها قد تكون نصائح عامة إلى الآخرين، ولكن يقدم الشاعر النصيحة لنفسه أولاً، ومن ثم للآخر؛ كي يكون وقع النصيحة أكثر تأثيراً، وفي هذا السياق يستطرد الشاعر، ويرسم لوحة رائعة، بإلقاء العوف؛ أي الشخص السيئ بعيداً في البحر، كناية عن نسيانه إلى الأبد، وعدم انشغال البال به؛ لأن هذه المساحة المتوافرة في الذهن يجب أن تشغل بأشخاص يستحقونها، كما جاء في البيت الأخير:

والْغَالي تِشْتِرِينَهْ مَا مِنْ خِسَارَهْ فِيهْ

ويؤكد هذا المعنى ويقول إن عليه أن يبذل المال لأجل أن يقبل الشخص الجيد أن يكون في هذه المساحة، وهذا البذل ليس خسارة، وإنما لابد من فائدة في النهاية، والمقصود بالطبع بذل الجهد وصحبة خيار الناس بدلاً من الركون إلى الراحة، والتواصل مع من هم أقل شأناً وأكثر ضرراً، كما أسلفنا.

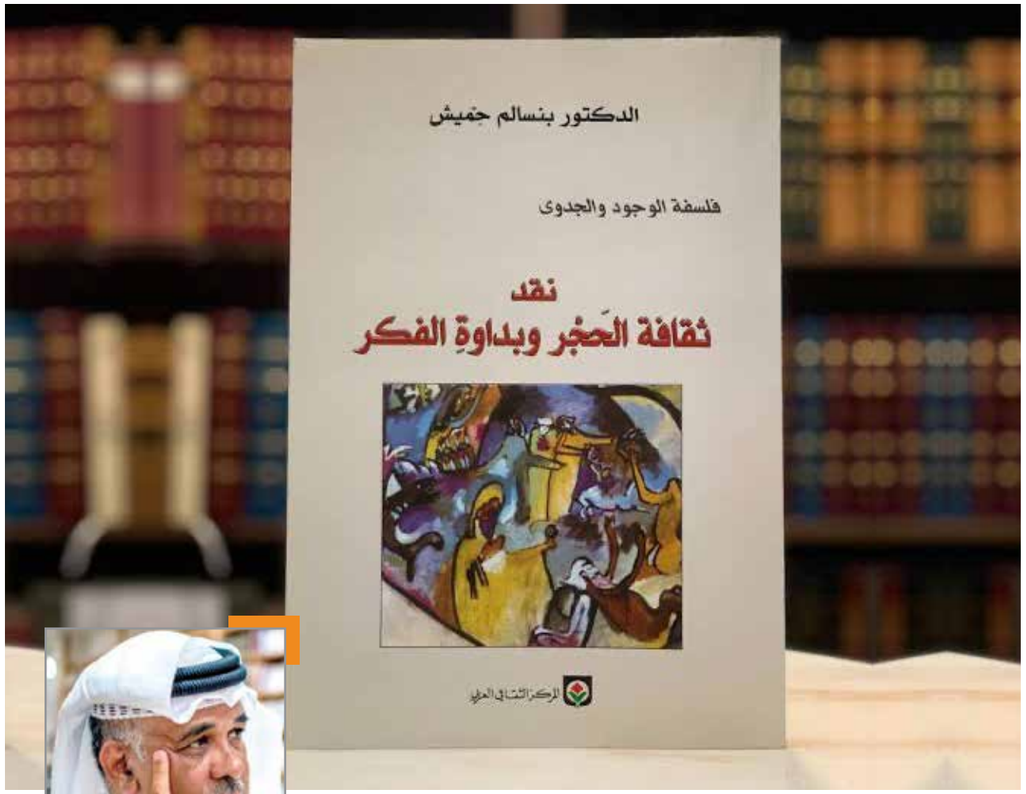

السحر والخرافات في الرواية العربية

د. فهد حسين
أكاديمي وناقد - البحرين

يعدّ الكاتب السوداني المقيم خارج السودان، عبدالعزيز بن بركة ساكن، أديباً له اسمه ونتاجه السردي الذي استطاع من خلاله أن يرسم له عالمه الخاص، إذ عبر مسيرته الأدبية حائز جائزة الطيب صالح عن روايته «الجنقو مسامير الأرض»، وله من الأعمال: الثلاثية (الطواحين – رماد الماء – زوج امرأة الرصاص)، مسيح دارفور، العاشق البدوي، الرجل الخراب، مانفيستو الديك النوبي... وغيرها من الأعمال السردية والمقالات المختلفة.

حيث حاول في رواية مانفيستو الديك النوبي أن يقف على بعض ما يمثل جزءاً من التراث والأساطير في السودان، من خلال الحديث عن بعض محطات وعوالم ومعطيات الحياة السودانية وتاريخها الاجتماعي، والتي ربما تكون مهمشة لدى العديد من أبناء الأمة العربية عامة، والجيل الشبابي السوداني بشكل خاص، فالسودان، وأي دولة في العالم، لها ما يميزها عن غيرها، وبخاصة ما يتعلق بالعادات والأعراف وبعض المسلكيات الحياتية، ومن الخصوصية الثقافية التي أشارت إليها الرواية تقديم القرابين لنهر النيل، وهي خصوصية لمصر والسودان، فحين يفيض النيل، تقدم له فتاة جميلة قرباناً من أجل هدوئه واستكانته.

يقف الكاتب عند بعض الأساطير التي باتت في عمق الذاكرة الثقافية والاجتماعية للشعب السوداني، والمتمثلة في السحر والشعوذة والفأل والخرافات التي تصل إلى الغرائبية، وها هي ميرام «حزينة من أجل أبيها، ويتقطع قلبها ألماً عندما تسمع هلوساته، وتظن أن أباها قدأصيب بمس من الجنون، أتى به من آبار الذهب، مثله مثل كل الذين أصيبوا بجنون الديك – 294»، هذا الديك الذي يمثل خصوصية ثقافية في مجتمع تنتشر في الكثير من المعتقدات والأعراف المتكئة على الخرافات والغيبيات والتهيّؤات والخزعبلات، وهنا توضح الرواية أن الديك «لم يظهر للآخرين غير مرة واحدة، ولكن الساحرة تقول: إنها تراه في كل وقت وكل يوم، وهذا أمر مشكوك فيه – 287».

وما الحديث عن السحر والخرافات بشيء غريب عن الذاكرة الثقافية العربية، حيث تراثنا العربي مملوء بمثل هذه الثقافة، وحكايات ألف ليلة وليلة من الأدلة الدامغة على حضور السحر والخزعبلات والشعوذة، بل أعتقد أن ممارسة هذه الأعمال لم تكن وليدة في تراثنا فحسب، وإنما هي ظاهرة برزت لاعتقاد الإنسان بالحاجة لها من أجل التغلب على مصاعب الحياة والدفاع عن نفسه؛ أي السحر كان إحدى الوسائل التي يراها الإنسان في قديم الزمان، لما لها من طاقة وقدرة على جعله حاضراً وقادراً على العيش في

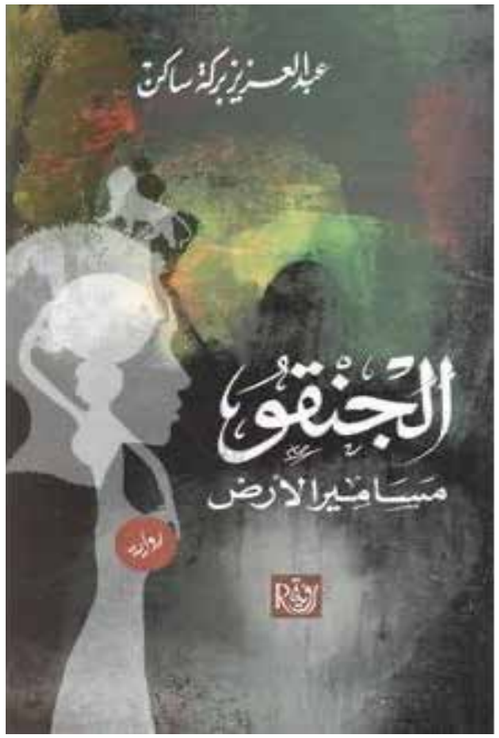

مجتمع الغابات والوحوش والحيوانات المفترسة، بل تجذرها في الثقافة العربية نابع من كيفية تعاملنا مع هذه الظواهر والمعتقدات ثقافياً واجتماعياً، وقد أشار بنسالم حِمّي في كتابه «نقد ثقافة الحَجْر وبداوة الفكر»، ص149، إلى أن «الثقافة الغالبة بيننا هي ثقافة ندرة الحوار وسوئه، الناجمة حتماً عن ظاهرة القراءات الانتقائية أو السطحية العجلى، التي تسهم أيما إسهام في خلق جو ثقافي واهن، مشحون بالخدع والحقائق المعكوسة».

ولكن الروائي بيّن أن هناك بيضة للديك، وهي بيضة من الذهب، وبيعها بمبلغ يصل إلى ما يفوق (95) مليون جنيه سوداني، وهذا ما كشفته الرواية من خلال عائلة

فتح الله فراج، ومسيرة حياته التي تحولت من الفقر المدقع إلى الغنى والثروة والكسب، وذلك من خلال بيضة الديك الذهبية التي باضها ديك صديق عمره جبريل. وهكذا أدخل فتح الله فراج «ذراعه الطويلة في القفص المصنوع من السلك، وأخذ يحسب البيض.. لاحظ أن هنالك بيضة صغيرة.. فهي بيضة الديك، ويطلق عليها بيضة الهواء، ولكنه حين رفعها بأصابعه أحس بأنها ثقيلة.. أخذ حجراً صغيراً وطرقها.. لم تصدر صوتاً مألوفاً، بل كان صوتها أقرب إلى صليل معدن ما.. طرقها بقوة فأخذت تتساقط عن سطحها القشرة البيضاء السميكة؛ ليطل عنصر صلد لامع وكأنه الذهب – 47».

أما شيرين خطيب، فقد كشفت في روايتها «نساء المدن البعيدة» عن تلك المجتمعات الريفية التي تقع في سوريا أو أي مكان من العالم العربي، حيث العادات والتقاليد والأعراف المتوارثة بين الأجيال، من خلال الشيخ حاتم، الذي كان يستغل سذاجة المجتمع عامة، والنساء على وجه الخصوص تجاه فهمهن الدين، وكيفية التعامل مع الشرائع الدينية بغية الحصول على ما ينقصهن تجاه الزواج أو الإنجاب أو حتى العلاقات العاطفية وغيرها التي يقوم عليها رجال الشعوذة والسحر والخرافات والخزعبلات، عبر عمل الأوراق والأحراز وفك السحر، «فكيف وصل إلى هذه البلدة، وصار شيخاً في لحظة مجهولة؟ وكيف تعلم أصول عمل الحجابات؟ وكيف عثر لنفسه على أسلوبه الخاص في هذه الحياة؟ لا أحد يدري، إلا أن أغلبية أهل البلدة كانوا ينظرون إليه نظرة احترام وقداسة، وربما بسبب عزلته الدائمة المغلفة بهالة أسطورية.. والنساء يتمنينه لوسامته الممزوجة بمعرفته الخاصة بكثير من الأسرار الروحية، وعلم الأبراج والأفلاك، وقراءة الكف – 4».

وهذا يعني أن نطوع ما يمكن أن يكون في مصلحتنا؛ لكي نحصل على ما نريد، هكذا ذهبت (همرين) إليه ليفك عقدة العلاقة العاطفية بينها وبين صديقتها (سارة)، وبحضورها الساذج استطاع أن يقنعها بما يقوم به من ممارسات نتج عنها التحرش بها، ثم اغتصابها، «لِمَ أنت خائفة؟ إنك ترتجفين! أنت مع الشيخ حاتم.. نحن في حضرة الملائكة وحراستها.. همرين أرجو ألا تكوني من اللواتي لا يستطعن الاحتفاظ بسرّ؛ لأن كتمانك شرط أساسي لنجاح العمل.. راح يحدثها عن عالم الجن، وهو يرش قشور البصل والثوم فوق الحجر.. هيا اذهبي إلى الحمام لتستحمي بالمياه المطرية.. على قراءة التعاويذ أثناء استحمامك.. بدأت همرين بخلع ملابسها.. بدأ يفقد تركيزه.. يجب أن تبقي واقفة، وأن تغمضي عينيك، وليكن وجهك نحو الجدار... – 9-12». هكذا استغل سذاجتها وضعفها، وعدم قدرتها على مصارحته بما كان يختلج في صدرها، لتدخل بعدما حدث لها في حالة سيئة، وبخاصة بعد محاولة الشيخ نشر شائعة مفادها علاقتها بشاب لا يريد الزواج منها، وهو على استعداد لذلك.

وحين تكون الثقافة موغلة في متاهات التخلف، فهي شديدة التمسك بذاتها، والالتفاف حول نفسها، معتقدة أنها الثقافة الوحيدة التي تحمل الحقيقة، متجاهلة كل الثقافات التي لا تتوافق معها، وما تتصف به من خصائص، لذلك يقع ممثلوها في عمى وجهل متوارثين، ولا يكترثون إلى أي تغيير فكري أو ظهور تيار يسهم في حركة المجتمع ثقافياً واجتماعياً وفكرياً، لهذا تكون العتمة والظلام مسدولين على هذه الفئة أو هذا المجتمع، وهنا نتساءل هل تبقى، ونحن في القرن الواحد والعشرين، مثل هذه المسائل عالقة في ذاكرتنا، وتؤكدها أدبياتنا وأعمالنا الإبداعية والثقافية؟ أم نحن في أمسّ الحاجة إلى نقدها بالتحليل والتفسير والتعديل، لما يحقق الأهمية الثقافية والإنسانية لكل موروثنا الحضاري والثقافي؟ أتصور نحن في أمسّ الحاجة إلى ذلك، فمهما حاول المؤمنون بالخزعبلات والخرافات والتوهمات والانغلاق على ذواتهم البعيدة عن السياقات الثقافية والحضارية، فلن تجدي كل محاولاتهم هذه؛ لأن التغيير سيقع على كل مقومات هذه الأنساق المنغلقة والأنماط التي تشكل سلوك الأفراد طالما الإيمان بضرورة التغيير والتحديث والتطور والاتصال بالآخر عناصر واقعة في المجتمع، ولا محال في ذلك.

كما هناك رواية أخرى ذات علاقة بالسياق، مع اختلاف التناول والتوظيف، إذ تشير رواية «درب المسحورة – أوراق هاربة من سيرة فتاة عمانية» لمحمود الرحبي، بأن كثيراً من المعتقدات في الثقافة العمانية والذاكرة الاجتماعية فيها حضور الجان والسحر والتلبس، وها هو الغريب يتقدم ليقول: «إنها مسحورة، ليس على وجهها شيء من الموت، ألم تروا ذلك؟! ارجعوا بالبنت حالاً، وادهنوها بماء الزئبق، لن يقربها الساحر إذا تلمظ ذلك الطعم، سيهرب وسيختفي السحر منها - ص31»، ويزيد على هذا التوظيف أيضاً سالم الجابري في روايته «حياة بين زمنين» ليسقط الضوء على العلاقة بين الإنسان والجن، وكيف تطارد الجان البشر، وتحاول الاقتراب منها، بل السعي إلى الزواج إن أمكن ذلك، فـ«بعد أن تأكدت من نوم الجميع، تسللت من غرفتي إلى خارج البيت. كنت أحس بالإثارة لما سأرى من غرائب، وأعد نفسي لما قد أرى من أشكال مرعبة لبعض الجن، مع أنها أخبرتني أنهم سيتشكلون أمامي بأشكال مقبولة، لكيلا يخيفوني – ص8».

ويصل الأمر إلى أن الإنسان يتحدث ويؤمن بما تفعله الجان والسحرة، مثلما حصل إلى عائلة الشاب، حيث يقول: «يا أمي، إن أبي ميت وجثته معي في الكوخ منذ اليوم الذي رماه فيه الشيطان وطار بك، ذلك اليوم حملته وعدت به إلى الكوخ، ولففته في وبر الغزلان خوفاً على جثته من أن تخطفها الشياطين وتأكله – ص61»، لذلك إذا كانت الرواية العربية لها إسهامات واضحة في إبراز بعض الخصوصيات الثقافية في المجتمع، وبالأخص تلك التي برزت في الفترة الأخيرة، أليس من الأجدى ليس طرحها في الأعمال الأدبية سرداً وشعراً وفناً مسرحياً أو درامياً أو سينمائياً، وإنما دراستها ومناقشتها بطريقة، وتحليلها وتفكيك بناها الثقافية والاجتماعية للوصول إلى جماليات هذا النوع من التوظيف، حيث إننا في المجتمع أفراداً ومؤسسات، ننادي بالاهتمام الجاد والعلمي والفني للمحافظة على التراث المحلي لكل دولة منفردة أو للمنطقة بشكل إقليمي أو عربي، لكن هذه المحافظة وهذا العمل يتطلب جهوداً جبارة لغربلة ما يسيء إلى التراث نفسه قبل المجتمع، وإلى الثقافة قبل ممارستها، وإلى الواقع المجتمعي قبل التمسك به والتغني بأمجاده، وبالتحديد إذا كنا على يقين بأننا نسعى في هذه الوقت والمستقبل بالعمل على تسويق تراثنا ونشره خارج حدودنا الإقليمية والعربية، وهنا يتطلب منا جميعاً أو نكون واعين إلى ما تدسه بعض الأقلام التي ربما تعتقد أن نشر مثل هذه الخرافات والخزعبلات يؤكد صياغتها من جديد، وأن يعطى القارئ فرصة البحث والتقصي، غير أن هذا العمل وإن كان وراءه حسن النيات، فإننا ندعو إلى تقديمه برؤية تحليلية ونقدية، وليس برؤية القبول النهائي.

الخليفة العباسي هارون الرشيد في كتاب «ألف ليلة وليلة»

-2-

حسين الراوي
كاتب من الكويت

حكاية هارون الرشيد مع جعفر والجارية والإمام أبي يوسف، في هذه الحكاية يظهر الخليفة العباسي هارون الرشيد بصورة المغرم المتيم بإحدى الجاريات الجميلات، للحد الذي جعله يدخل في نزال وتحدّ شديد مع سيّد الجارية الذي هو وزيره جعفر البرمكي، رغم أن جعفر البرمكي مجرد وزير يعمل عند الخليفة هارون الرشيد! اقتباس: «ومما يحكى أن جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة، فقال الرشيد: يا جعفر، بلغني أنك اشتريت الجارية الفلانية، ولي مدة أطلبها، فإنها على غاية الجمال، وقلبي يحبها في اشتعال، فبعها لي. فقال: لا أبيعها يا أمير المؤمنين. فقال: لا أهبها، فقال الرشيد: زبيدة طالق ثلاثاً إن لم تبعها لي أو تهبها لي. قال جعفر: زوجتي طالق ثلاثاً إن بعتها لك».

ومن ثم تستكمل الحكاية بالذي هو أغرب من الذي ابتدأت به، حيث يوحي كاتبها أن الخليفة هارون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي كانا في حالة سُكر! وأن هارون الرشيد كان شبِقاً طائشاً عديم الحكمة، الأمر الذي جعله يستنجد بأحد القضاة ليعطيه حلاً للأزمة التي وقع فيها. اقتباس: «ثم أفاقا من نشوتهما، وعلما أنهما وقعا في أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة.

فقال هارون الرشيد: هذه وقعة ليس لها غير أبي يوسف، فطلبوه، وكان ذلك نصف الليل، فلما جاءه الرسول قام فزعاً، وقال في نفسه: ما طلبت في هذا الوقت إلا لأمر حدث في الإسلام، ثم خرج مسرعاً وركب بغلته، وقال لغلامه: خذ معك مخلاة البغلة، لعلها لم تستوف عليقها، فإذا دخلنا دار الخلافة لتأكل ما بقي من عليقها إلى حين خروجي، إذا لم تستوف عليقها في هذه الليلة. فقال الغلام: سمعاً وطاعة. فلما دخل على هارون الرشيد، قام له، وأجلسه على سريره بجانبه، وكان لا يجلس معه أحداً غيره، وقال له: ما طلبناك في هذا الوقت إلا لأمر مهم، هو كذا وكذا، وقد عجزنا عن تدبير الحيلة. فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر أسهل ما يكون، ثم قال: يا جعفر بع لأمير المؤمنين نصفها، وهب له نصفها، وتبرّآن يمينكما بذلك، فسرّ أمير المؤمنين بذلك، وفعلا ما أمرهما به، ثم قال هارون الرشيد: أحضروا الجارية في هذا الوقت. وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح».

(حكاية أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام)

في هذه الحكاية يظهر الخليفة العباسي هارون الرشيد بصورة المراهق الشبق، الذي يتلصص ويتجسس على زوجته السيّدة زبيدة، وهي تستحم في بحيرة القصر، وكأنه لأول مرة يرى جسد زوجته!

وأيضاً أظهرت هذه الحكاية السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد بصورة المراهقة التي لا تكترث للستر والعِفّة! الأمر الذي يجعل هذه الحكاية من التفاهة بمكان، وانظر عزيزي القارئ، كيف هو الكلام الماجن القبيح الذي ذُكر في حق السيدة الكريمة زبيدة.

اقتباس: «وفي الليلة الثانية عشرة بعد الأربعمئة، قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السيدة زبيدة لما دخلت ذلك المكان يوماً، وأتت إلى البحيرة، وتفرجت على حسنها وجمالها، فأعجبها رونقها والتفاف الأشجار عليها، وكان ذلك في يوم الحر، فقلعت أثوابها، ونزلت إلى البحيرة، ووقفت، وكانت البحيرة لا تستر من يقف فيها، فجعلت تملأ بإبريق من عين، وتصب على بدنها، فعلم الخليفة بذلك، فنزل من قصره يتجسس عليها من خلف أوراق الأشجار، فرآها عريانة، وقد بان منها ما كان مستوراً، فلما أحسّت بأمير المؤمنين خلف أوراق الأشجار، وعرفت أنه رآها عريانة، التفتت إليه ونظرته.

(حكاية علاء الدين أبو الشامات)

في هذه الحكاية يظهر الخليفة العباسي هارون الرشيد بصورة السمّيع للغناء الذي أحب أن يواسي أحد التجار فأهداه جاريته المسماة قوت القلوب، وكذلك يظهر الخليفة هارون الرشيد في هذه الحكاية بصورة الذي يحلف بغير الله، ويحلف بحياة رأسه، وتربة جدوده! اقتباس: «وفي الليلة الرابعة بعد الثلاثمئة، قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة قال لجاريته قوت القلوب: مرادي أن تسمعيه نوبة على العود من غرائب الموجود؛ لأجل أن يتسلى عن الهمّ والأحزان. فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب، فقال الخليفة: ما تقول يا علاء الدين في صوت هذه الجارية؟ فقال له: إن زبيدة أحسن صوتاً منها، إلا أنها صاحبة صناعة في ضرب العود؛ لأنها تطرب الحجر الجلمود. فقال له: هل هي أعجبتك؟ فقال له: أعجبتني يا أمير المؤمنين. فقال الخليفة: وحياة رأسي وتربة جدودي إنها هبة مني إليك، هي وجواريها، فظن علاء الدين أن الخليفة يمزح معه، فلما أصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب، وقال لها: أنا وهبتك لعلاء الدين، ففرحت بذلك».

(حكاية الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس)

يظهر فيها الخليفة هارون الرشيد بصورة المستهتر بالدماء، والبطاش الذي يزهق أرواح البشر على أسباب تافهة تعود لمزاجه، وأن الخليفة هارون يعشق غناء الجاريات. اقتباس: «فقالت له أنيس الجليس: يا شيخ

إبراهيم، والله لو كان عندي شيء من آلات الطرب لكان سرورنا كاملاً، فلما سمع الشيخ إبراهيم كلام الجارية، نهض قائماً على قدميه فقال الخليفة لجعفر: يا ترى ماذا يريد أن يعمل؟ فقال جعفر: لا أدري. فغاب الشيخ إبراهيم وعاد ومعه عود. فتأمله الخليفة، فإذا هو عود إسحق النديم، فقال الخليفة: والله، إن غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم، وإن غنت وأحسنت الغناء، فإني أعفو عنهم، وأصلبك أنت».

(حكاية هارون الرشيد مع علي العجمي)

وفيها يظهر هارون الرشيد بصورة الشخص الضجِر! الذي لا يعرف كيف يتصرف حيال ضيقة الصدر التي تنتابه، حيث إن أمر تلك الضيقة تكرر في أكثر من مرّة في الحكايات التي يُذكر فيها الخليفة هارون الرشيد، وكأنه بلا خبرة حياتية، وبلا معرفة إيمانية لمواجهة مثل تلك الأمور.

وزد على هذا بأن كاتب هذه الحكاية «هارون الرشيد مع علي العجمي». لم يذكر من هو علي العجمي! فقط اكتفى باسمه الأول، وذكر أنه أعجمي، وهذه من المثالب الكبيرة التي تكون في نقل الأخبار خاصة، وأن علي العجمي كما جاء في هذه الحكاية أنه صاحب خبرة في الحياة، وكثير الأسفار، وله حكايات كثيرة.

الاقتباس: «ومما يحكى أيضاً أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي، فاستدعى وزيره، فلما حضر بين يديه قال له: يا جعفر، إني قلقت الليلة قلقاً عظيماً، وضاق صدري، وأريد منك شيئاً يسرّ خاطري، وينشرح به صدري. فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين، إن لي صديقاً اسمه علي العجمي، وعنده من الحكايات والأخبار المطربة ما يسرّ النفوس، ويزيل عن القلب البؤس. فقال له: عليّ به».

(حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وابنته فتنة)

وفيها تظهر صورة السيدة زُبيدة بصورة الخبيثة الماكرة، التي أرادت إبعاد الجارية قوت القلوب من حياة الخليفة هارون الرشيد، لفرط ما تعلّق بها عشقاً وهياماً، وتظهر الحكاية أيضاً صورة الخليفة هارون الرشيد بأنه ليس له مهابة، ولا احترام لدى زوجته السيدة زبيدة، ولا حتى عند جميع من يسكن قصره من خدم وجوارٍ. اقتباس: «وأما ما كان من أمر زبيدة، فإنها في غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الأمر، ثم صارت متحيرة، تقول في نفسها ما أقول للخليفة إذا جاء وسأل عنها؟ وما يكون جوابي له؟ فدعت بعجوز كانت عندها، وأطلعتها على سرّها، وقالت لها: كيف أفعل وقوت القلوب قد فرط فيها الفرط؟ فقالت لها العجوز لما فهمت الحال: اعلمي يا سيدتي، أنه قرب مجيء الخليفة، ولكن أرسلي إلى النجار وأمريه أن يعمل صورة ميت من خشب، ويحفروا له قبراً، وتوقد حوله الشموع والقناديل، وأمري كل من في القصر أن يلبسوا الأسود، وأمري جواريك والخدام إذا علموا أن الخليفة أتى من سفره أن يشيّعوا الحزن في الدهليز، فإذا دخل وسأل عن الخبر، يقول: إن قوت القلوب ماتت، ويعظم الله أجرك فيها، ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها في قصرها، فإذا سمع ذلك يبكي، ويعزّ عليه، ثم يسهر القرّاء على قبرها لقراءة الختمات، فإن قال في نفسه إن بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاك قوت القلوب، أو غلب عليه الهيام، فأمر بإخراجها من القبر، فلا تفزعي من ذلك، ولو حفروا على تلك الصورة التي على هيئة ابن آدم، وأخرجوها وهي مكفنة بالأكفان الفاخرة، فإن أراد الخليفة إزالة الأكفان عنها لينظرها فامنعيه أنت من ذلك، والأخرى تمنعه، وتقول: رؤية عورتها حرام، فيصدق حينئذ أنها ماتت، ويردها إلى مكانها، ويشكرك على فعلك، وتخلصين إن شاء الله تعالى من هذه الورطة. فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها، ورأت أنه صواب خلت عليها، وأمرتها أن تفعل ذلك بعدما أعطتها جملة من المال، فشرعت العجوز في ذلك الأمر حالاً، وأمرت النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرنا، وبعد تمام الصورة جاءت بها إلى السيدة زبيدة، فكفنتها، وأوقدت الشموع والقناديل، وفرشت البسط حول القبر، ولبست السواد، وأمرت الجواري أن يلبسن السواد، واشتهر الأمر في القصر أن قوت القلوب ماتت، ثم بعد مدة أقبل الخليفة من غيبته، وطلع إلى قصره، ولكن ما شغله إلا قوت القلوب، فرأى الغلمان والخدام والجواري كلهم لابسين السواد، فارتجف فؤاده. فلما دخل القصر على السيدة زبيدة، رآها لابسة السواد، فسأل عن ذلك، فأخبروه بموت قوت القلوب، فوقع مغشياً عليه، فلما أفاق سأل عن قبرها، فقالت له السيدة زبيدة:

اعلم يا أمير المؤمنين، أنني من معزتها عندي دفنتها في قصري...». وفي الحكاية ذاتها (حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وابنته) يُظهر الخليفة هارون الرشيد بصورة هزيلة جداً، خالية من القيمة الرفيعة، وخالية من التعقل والحكمة، بسبب حزنه الكبير على الجارية قوت القلوب، التي أسرف في عشقها، وأنه صاحب إيمان ودِين ركيك.

اقتباس: «ثم إن الخليفة أمر في الحال بإحضار الفقهاء والمقرئين، وقرؤوا الختمات على قبرها، وجلس بجانب القبر يبكي، إلى أن غشي عليه، ولم يزل قاعداً على قبرها شهراً كاملاً، فأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح».

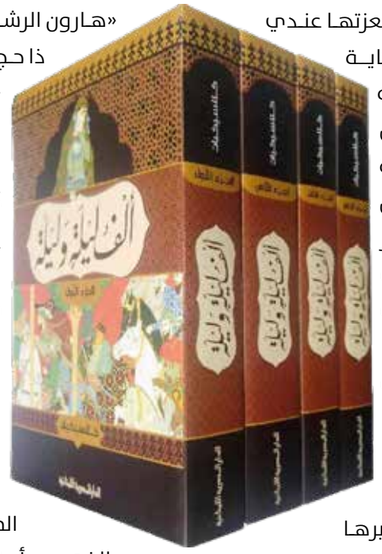

• سيرة الخليفة العباسي هارون الرشيد المتواترة في الكُتب العربية الموثوق بها وبمؤلفيها:

- قال عنه الإمام الذهبي في كتابه «سِير أعلام النبلاء»، المُجلّد 9: «قيل: إنه كان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، وكان يحب العلماء، ويعظم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لاسيما إذا وعظ. وقد دخل عليه مرة ابن السماك الواعظ، فبالغ في إجلاله، فقال: تواضعك في شرفك أشرف من شرفك، ثم وعظه، فأبكاه. ووعظه الفضيل بن عياض مرة حتى شهق في بكائه. ولما بلغه موت ابن المبارك، حزن عليه، وجلس للعزاء، فعزاه الأكابر».
- وفي كتاب «أعلام الخلفاء العباسيين»، لرجب محمود إبراهيم، ينقل عن الفضيل بن عياض أنه قال: «ما من نفس تموت أشد عليّ موتاً من أمير المؤمنين هارون، ولوددت أن الله زاد من عمري في عمره. قال: فكبر ذلك علينا، فلما مات هارون، وظهرت الفتن، وكان من المأمون ما حمل الناس على خلق القرآن، قلنا: الشيخ كان أعلم بما تكلم».
- وقال عنه ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان»: «هارون الرشيد من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي».
- وقال الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد»، عن الخليفة هارون الرشيد: «وحكى بعض أصحابه أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، إلا أن تعرض له علة، وكان يتصدق في كل يوم من صلب ماله بألف درهم، وكان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج في كل سنة ثلاثمئة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة».
- وذكرالإمام أبي الحسن بن علي المسعودي، في كتابه «مروج الذهب»، أن الخليفة هارون الرشيد حج بالناس في السنوات: «170، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 181، 186، 188هـ.
- وذكر عنه أبي حامد الغزالي، في كتابه «فضائح الباطنية»: «عن إبراهيم بن عبدالله الخراساني أنه قال: حججت مع أبي سنة حج الرشيد، فإذا نحن بالرشيد وهو واقف حاسرٌ حافٍ على الحصباء، وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكي، ويقول: يا رب أنت أنت، وأنا أنا، أنا العوّاد إلى الذنب، وأنت العوّاد إلى المغفرة، اغفر لي».
- وجاء في كتاب «تاريخ الخلفاء»، للإمام السيوطي: «روي أنّ السمّاك دخل على الرشيد يوماً، فاستسقى، فأتي بكوز، فلمّا أخذه قال: على رسلك يا أمير المؤمنين، لو مُنعت هذه الشربة، فبكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال: اشرب هناك الله تعالى، فلما شربها، قال: أسألك: لو مُنعت خروجها من بدنك، فبماذا كنت تشتري خروجها؟ قال: بجميع ملكي، قال: إنّ مُلكاً قيمته شربة ماء وبولة، لجدير ألاّ ينافس عليه، فبكى هارون بكاء شديداً.

في نهاية المقال، رحم الله أمير المؤمنين الخليفة العباسي هارون الرشيد، ورحم الله تعالى أيضاً كل من كان إنساناً ذا صورة مشرقة ظلمته الكُتب، وشوّه صورته المؤلفون الذين لا يخافون الله تعالى.

للمؤرخ يعقوب الحجي:

«نواخذة السفر الشراعي في الكويت»

مرجع لا غنى عنه للباحثين

طلال سعد الرميضي
كاتب - الكويت

الدكتور يعقوب عرف بأنه من أبرز المؤرخين الكويتيين الذين أثروا المكتبة العربية بكثير من المؤلفات التاريخية المهمة، حيث ألّف أكثر من عشرين كتاباً تاريخياً، منها: (صناعة السفن الشراعية في الكويت – الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرة حياته – الكويت القديمة – من الفولكلور البحري الكويتي - الكويت كما عرفتها – الشاعر الأديب حجي بن جاسم الحجي – من الأمثال الشعبية الكويتية – النشاطات البحرية القديمة في الكويت – رحلة الغزير)، معتمداً على الوثائق القديمة وروايات كبار السن، كما قام بتحقيق ودراسة العديد من الروزنامات البحرية لنواخذة كويتيين قدامى.

كما لم يكتفِ بتأليف الكتب، إنما قدم للتلفزيون العديد من الأعمال المصورة المهمة والناجحة حول السفر الشراعي ورجالاته، منها برنامج يتضمن مقابلاته مع كبار السن، من إعداده وتقديمه، واستمر البرنامج دورات عدة في تلفزيون الكويت.

كما أعد وقدم فيلماً تلفزيونياً من ثلاثة أجزاء، يحمل عنوان «المبحرون مع الرياح»، والذي يعدّ وثيقة تاريخية مهمة حول رحلات السفن الكويتية لموانئ الهند والسواحل الإفريقية، وبنظري يعدّ هذا العمل التلفزيوني أروع من تناول السفر الشراعي في منطقة الخليج العربي، وأعطى للمشاهدين صورة واضحة لجانب مهم من حياة الأجداد، وبرنامج «على خُطا بحارة الكويت».

وفاز الدكتور يعقوب الحجي بجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، عن كتابه «الشيخ عبدالعزيز الرشيد.. سيرة حياته» عام 1993م.

وكرّم أيضاً في ملتقى الشارقة الدولي للراوي في سبتمبر من عام 2017م، نظير ما قدمه من خدمات رائعة في حفظ التراث الخليجي، وتم تكريمه من قبل سمو الشيخ سلطان بن محمد بن سلطان القاسمي، ولي عهد إمارة الشارقة، كما حصل على جائزة الدولة

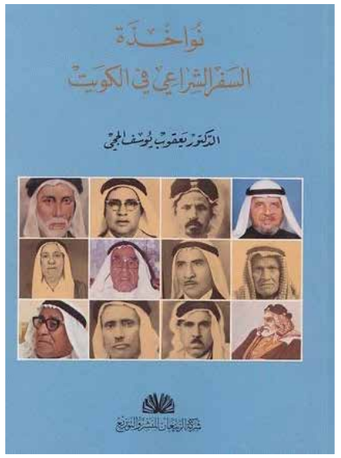

التقديرية في مجال العلوم الاجتماعية من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي عام 2021م.

وقد بدأت رحلته مع الرواة والبحث في عام 1976، تحديداً مع الأستاذ علي عبد الرسول القلاف، صانع السفن الشراعية المشهور بدولة الكويت، وارتبط الحجي معه بصداقة وطيدة، استمرت حتى وفاته. وسوف نتحدث في هذه الحلقة عن أبرز مؤلفات الباحث د. يعقوب الحجي، وهو كتاب «نواخذة السفر الشراعي في الكويت»، الذي صدرت عنه طبعات عدة، الأولى منها في سنة 1991م، ثم تبعتها الطبعة الثانية سنة 1993م، عن شركة الربيعان للنشر والتوزيع، لصاحبها الأستاذ يحيى الربيعان، يرحمه الله، مدير أول معرض دولي للكتاب العربي في الكويت عام 1975م.

وفي عام 2004م، صدرت الطبعة الثالثة عن مركز البحوث والدراسات الكويتية، التي أضاف عليها المؤلف د. يعقوب الحجي الكثير من المعلومات المهمة عن نواخذة السفر الشراعي بتاريخ الكويت، وعدد صفحاته 624 من الحجم الكبير.

ويقول أ.د. عبدالله يوسف الغنيم، رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية في تصديره الطبعة الثالثة من كتاب «نواخذة السفر الشراعي في الكويت»:

«هذا الكتاب يستعرض مجموعة غير قليلة من قادة النشاط البحري في مجال السفر الشراعي، الذي كان على رأس النشاطات الاقتصادية والاجتماعية في الكويت خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهؤلاء هم نواخذة الكويت الشراعيون، الذين نهض بهم ومعهم اقتصاد البلاد خلال فترة ما قبل النفط، وهم الرموز الذين دار حولهم محور الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة من تاريخ البلاد.

والكتاب بما يحتويه من معلومات وأحداث ومواقف وخبرات بشؤون البحر والملاحة والسفر الشراعي، وبما يتضمن من قصص النواخذة الكويتيين وكفاحهم ضد الأخطار التي تعرضوا لها، وبما كشف كذلك عن طبيعة البلاد والموانئ التي ارتادها هؤلاء النواخذة، يكشف بوضوح عما كان لنواخذة الكويت من عزم وثبات، كانا موضع الإعجاب والتقدير لكل من التقاهم أو خالطهم وتعامل معهم، كل ذلك مع تواضعهم وخبراتهم العلمية التي كانت تعز على كثير من أشباههم في العصر الذي عاشوه، ووسط المخاطر التي كانت تكتنفهم، والإمكانات المتواضعة التي تيسرت لهم آنذاك».

ولعل من الجميل أن نقرأ ماذا كتب المؤلف د. يعقوب الحجي في مقدمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب القيم سنة 1991م، بعد تحرير الكويت مباشرة، وعودة الحياة الطبيعية فيها:

«كنت أخشى دائماً أن ينتهي بي العمر قبل الانتهاء من كتابة هذا الكتاب عن نواخذة السفر البحري الشراعي الكويتيين، فأنا بالتأكيد مدين لهم ولتاريخ هذا البلد البحري، فلقد وفقني الله إلى الجلوس والتحدث مع كثير من نواخذة الكويت، وكانوا كرماء معي، وصبورين إلى أقصى الحدود، فإن نجح هذا الكتاب في تقديم نبذة جيدة عن أشخاصهم الكريمة، فذلك من فضل الله، وإن قصر عن بلوغ هذا الهدف، فليعذرني القارئ، وسيكيفني أجر الاجتهاد.

لقد عرفت هذه النخبة من رجال الكويت، وتشرفت بلقائهم، واستمعت إليهم وهم يقصون تاريخ شبابهم الذي أمضوه بين أمواج البحر وشواطئه، ولقد وجدتهم صنفاً من الرجال فريداً، لهم من المميزات ما لا تجده عند غيرهم من الرجال».

وتناول د. يعقوب الحجي في كتابه «نواخذة السفر الشراعي في الكويت» سير وتراجم عدد كبير من الذين تناخذوا على سفن خشبية تسافر إلى موانئ الهند وزنجبار، يطلق عليها السفار، مرفقاً لهم صورتهم الشخصية، وبعض الوثائق القديمة النادرة المتعلقة بشؤون السفر الشراعي، وسرد كثيراً من القصص

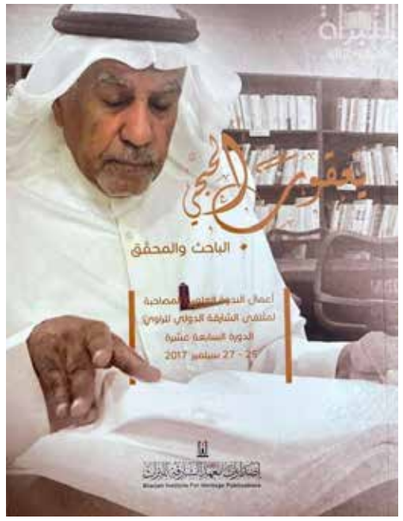

والوقائع التي جرت أثناء أسفارهم البحرية لموانئ إفريقيا والهند.

ومن أبرز النواخذة الذين ذكرهم في كتابه القيم، المرحوم أحمد المعتوق والمرحوم عبدالله الغيث والنوخذة مبارك عبدالعزيز بن ناصر والنوخذة علي عبدالمحسن الخميس والنوخذة عيسى عبدالوهاب القطامي والنوخذة علي ناصر النجدي والنوخذة عيسى العبدالجليل والنوخذة محمد بن عيسى العصفور والنوخذة عباس بن نخي والنوخذة موسى بن عبدالله العبيدان والنوخذة غانم القضيبي والنوخذة عيسى بشارة والنوخذة درباس محمد العمر والنوخذة أحمد محمد بن سلامة والنوخذة سليمان النصر الله... وآخرون.

والجميل أنه أضاف ملحقاً لكتابه ضم العديد من الخرائط والوثائق القديمة، والأخبار الصحفية، ليعطي للقارئ إلماماً بمهنة كانت وزالت في ذاكرة المجتمع الخليجي القديم.

كتاب «نواخذة السفر الشراعي في الكويت» للمؤرخ القدير الدكتور يعقوب الحجي، يعدّ مرجعاً مهماً في مجال السفر الشراعي؛ لأنه فريد في بابه، ولا غنى للباحثين في التراث البحري عنه.

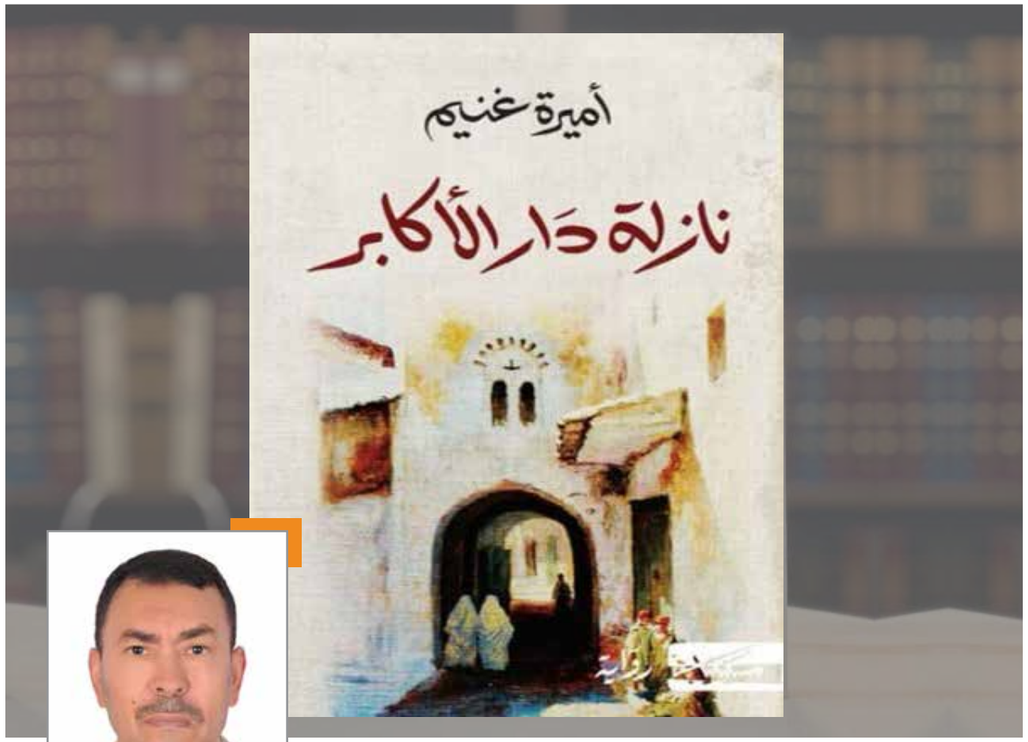

خالد عمر بن ققة
إعلامي - الجزائر

فيها تتقارب الأزْمنة.. وتتباعد

«نازلة دار الأكابر».. تناسُل حكايات بطلها «الطّاهر الحدّاد»

مراود

«للتراث حضور في النصوص الأدبيّة ـ شعراً ونثراً ـ يُجمّلها وجوداً، ويرْوي تجارب البشر، من خلال شخوصها، والتعبير عن العلاقات والأفعال والقيم، ويُشكل بُعْداً معرفيّاً تُطْوى فيه الأزمنة طيّاً، من حيث الرجعى والصدى، ويعيد تعمير الأماكن، سواء أكانت أطلالاً في الذاكرة وفي الواقع، أم كانت متواصلة في رحلة الحياة، حيث استحضار التأسيس في الرّاهن، وفي النهاية تعدُّ النصوص الأدبية موروثاً ثقافيّاً حيّاً، قد يُسْهم في متعة المطالعة، ويُضْفي ويضيفُ لنا مزيداً من المعرفة.. هنا قراءة في رواية «نازلة دار الأكابر».

هنـاك مـن الروايـات مـا يجمـع بـين المـرء وقلبـه تـارة، وبينـه وبـين عقلـه تـارة أخـرى، أو تجعلـه منفتحـاً عـلى أفـكار جديـدة، حتـى لـو كان غـير مسـتعدّ لتقبلهـا، طبقـاً لاختـلاف في الـرؤى والقناعـات، وفي الحالتـين تحركـه متعـة أحـداث الروايـة، سـواء أثـرت في مشـاعره، أو في جعْلـه يكتسـب المعرفـة، مـن خـلال قـراءة التاريـخ وحركـة المجتمـع، وبالتـالي توصلـه إلى إدراك الـتراث الإنسـاني، مـن حيـث هـو تجـارب معيشـة في أزمنـة متعاقبـة، لهـا بصماتهـا الخاصـة عـلى عمـر البشريـة، مـن خـلال تعاقـب حركـة الزمـن آنـاء الليـل وأطـراف النهـار، سـواء أكانـت فعـلاً خـيّراً جذّاباً، أم جروحـاً مـن البـشر في النهـار، أم في تغـير حياتهـم، حـين غـدت آيـة الليـل مبـصرة، نظـراً لظهـور الكهربـاء، وتطـور التقنيـة.

تلـك الحـال، إذا حـقّ لي ذكرهـا، جـاءت واضحـة، بـل صارخـة، في روايـة «نازلـة دار الأكابـر» للروائيـة التونسـية أمـيرة غنيـم، التـي حلّـت في القائمـة القصـيرة لجائـزة البوكـر لعـام 2021، مـن دون أن تحصـل عليهـا، فهـي تسْـحب القـارئ إلى عـوالم تتحـول فيهـا التوقعـات والظنـون إلى يقينيّـات، إذا نُظـر إليهـا مـن زاويـة تطـور المجتمـع التونـسي ـ في سـياقه المحـلي والعـربي والعالمـي ـ خـلال مـا يقـارب القـرن، حيـث يـرث كل جيـل سـابقه، ومنـه يتحمـل أوزار الأفعـال، حتـى إذا مـا حـاول التخلـص منهـا، وجـد الفاعلـين الغائبـين لـه بالمرصـاد، كأنهـم لايزالـون في «جـوف الـردى وهـو نائـم»، الأمـر الـذي يوصلـه إلى حالـة مـن الاسـتقطاب نحـو المـاضي، مـع أنـه قـد يكـون رافضـاً مـا جـاء فيـه.

في هـذه الروايـة تقـدم لنـا الكاتبـة أمـيرة غنيـم، الأسُـس المرجعيّـة والنظريـة والفكريـة التـي قامـت عليهـا حركـة التغـير الاجتماعـي في تونـس، خاصـة في مجـال تحريـر المـرأة، مـن منطلـق الـصراع الفكـري بـين المحافظـين والتنويريـين ـ إن جـاز التوصيـف ـ بطريقـة جديـدة مقارنـة بتلـك الـرؤى القائمـة عـلى التحليـل السوسـيولوجي أو الطـرح التاريخـي، لكـن دون أن تجعلهـما يغيبـان بشـكل مطلـق.

لقـد جعلـت غنيـم مـن حضورهـما مدخـلاً ـ في تصـوري ـ لخدمـة رؤيتهـا لجهـة تقديـم المُنظّـر والمصلـح ـ بالمعنـى الثـوري ـ الطاهـر الحـدّاد (1899 ـ 1935)، بصـورة جعلـت لبعـده الإنسـاني، باعتبـاره يتـوقُ إلى علاقـة مـع المـرأة تتعـدى الدعـوة النظريـة للحريـة، إلى تطبيقهـا، فكانـت الخيبـة، التـي اعتبرتهـا إضافـة إلى خيبـات مجتمعيـة أخـرى كثـيرة واجههـا منـذ أن أصبـح فاعـلاً عـلى المسـتوى الفكـري، غـدا فيـه مشـابهاً لـكل الذيـن دعـوا إلى التغيـير في دولنـا العربيـة خـلال بدايـات القـرن المـاضي.

لقـد حرّكـت أمـيرة غنيـم تراكمـات قراءتنـا لمـا كتبـه المفكـر الطاهـر الحـداد، أو مـا كتـب عنـه، فدفعتنـا إلى السـير معهـا إلى حيـث تـودُّ أن تقودنـا.. إلى الجانـب المتخيـل لديهـا عـن الحـداد، وأصبغتـه بلغـة جزلـة ظاهـرة وباطنـة، وإلى إبـداع قصـصي متنـوع، كاد في محليتـه التونسـية أن يعبـر عـن مجمـل تطـور الـتراث الإنسـاني في كل مـكان، حتـى وهـي تسْـحبُنا أحيانـاً إلى اللهجـة المحليـة، وإلى الأمثـال الشـعبية؛ لذلـك بـدا المتخيـل لديهـا عـن جانـب مـن حيـاة الحـداد، واقعـاً حـدث، وأصبـح حقيقـة وإن لم يـأت عـلى ذكـره السـابقون لهـا بالدراسـة والبحـث.

وعـبْر اختيـار واعٍ وجـاد في بحثـه، تناولـت أمـيرة غنيـم سـيرة الحـداد، مكملـة بُعـداً مهـماً ظـل ناقصـاً في تنـاول حياتـه جهـة علاقتـه بالنسـاء.. بُعْـداً يتحـدث عـن علاقـة الحـب لديـه تجاههـنّ، وليـس فقـط الدفـاع عـن حقوقهـن، وقـد نجحـت في ذلـك إلى حـدٍّ بعيـد، وعـن ذلـك يقـول الناقـد شـكري المبخـوت في تقديمـه الروايـة: «.. إن صاحبـة الروايـة تجـزم، بقـوة الخيـال، أنـه عشـق للّا زبيـدة، وراسـلها رسـالة كانـت سـبب النازلـة في عنـوان هـذه الروايـة، لذلـك لـن يـرى القـارئ سـيرة الحـداد، بعـد الاطـلاع عـلى تفاصيـل حكايتـه في هـذه الروايـة، مـن غـير أن يقرنهـا، كرهـاً أو طوعـاً، بحبيبتـه زبيـدة بنـت الرصّـاع، التـي صنعتهـا المؤلفـة».

مـا أبدعتـه المؤلفـة صناعـة شـائقة وجذابـة، حاولـت عـبْرهُ أن تُخْرجنـا ـ كـما أرى ـ مـن ذلـك الجـدل التّاريخـي حـول كتـاب الطاهـر حـداد (امرأتنـا في الشريعـة والمجتمـع).. ذلـك الجـدل الـذي عمّـر طويـلاً ولايـزال، وفي خروجنـا إثـراء لنقـاش عملـي حـول «أنسـنة الأفـكار»، وتلـك نعمـة لنـا، كونهـا تُصْبـغ التاريخـي المتـداول والشـائع بالتخيـلي المتوقـع والمنتظـر، وربمـا يكـون هـذا مـا قصـده شـكري

المبخوت بقوله: «.. هذا بعض سحر التخيل الروائي وآياته البينات، وعلى المؤرخين أن يكذبوا الروائيين، إن وجدوا إلى ذلك وثيقة أو شهادة.. وأنّى لهم ذلك؟».
وبتلك الشخصية المُتخيّلة الحاضرة من بداية الرواية إلى نهايتها، جاء التركيز على سرد الأحداث مصاحباً لها، في أحد عشر فصلاً، منها خمسة فصول هي حديث نساء، وخمسة أخرى منها حديث رجال، حملت جميعها أسماء شخصيات فاعلة داخل النص الروائي، مرفقة بتاريخ محدد، وحمل الفصل الأخير عنوان «حديث البدايات»، وجميعها في خدمة الفكرة الأساسية، الخاصة بـ«نازلة دار الأكابر»، والنازلة في النهاية هي رسالة بعث بها الطاهر الحداد إلى للا زبيدة، زوجة محسن النيفر، التي كان يحبها، وانكشف أمرها من صهرها امحمد النيفر، واتهامها بالخيانة، وهذه النازلة هي التي ستتمخض عنها حوادث الرواية وشخصياتها من العائلة الموسعة لـ«هند»، (حفيدة الحداد)، كما أبلغتها جدتها زبيدة.
لقد بدا تأثير الحداد من خلال حبيبته المتخيلة للا زبيدة واضحاً، كما ذكرت الكاتبة في مقدمة روايتها على لسان الحفيدة، وبمعناه الكبير أنهت فصول روايتها، فقد قالت هند: «كانت جدتي من الأب، زبيدة بنت عليّ الرّصاع، تقول لي أيام الصبا، وعيناها تضحكان ضحكاً أراه اليوم مُخاتلاً ماكراً:
ـ أنت يا هند حفيدة الطّاهر الحداد.
كيف كان سيخطر ببالي أنها كانت تعني أكثر ممّا تقول؟».
غير أن قولنا هذا لا يعني أن هذه الرواية تخصُّ الطّاهر الحداد بذاته، رغم تخيل الكاتبة علاقة حب بينه وبين زبيدة، وأيضاً رغم أن الخلاف أو بالأحرى النازلة التي وقعت بدار الأكابر، وأثّرت في علاقة المصاهرة مع عائلة هي الأقل طبقياً، إنما الرواية تشمل حركة البشر ومساراتهم في تونس، سواء أكانوا من سكانها الأصليين أم القادمين إليها بحكم التجارة.
وتلك العلاقات ــ التي تأتي على ذكرها الرواية ــ ذات امتداد صوب الخارج، وخاصة: الجزائر، إيطاليا، ألمانيا، فرنسا، المغرب، بل إنها تتخطّى ذلك حين تحضر ثقافات الشعوب العربية والأمم الأخرى باعتبارها رافداً، ثم فاعلاً داخل الثقافة التونسية، بما فيها تلك المتعلقة بالأكل، واللباس، وأسلوب العيش، والتفاعل مع الأفراح والأتراح، ناهيك عن العادات، حتى المرفوضة أو المكروهة أو القبيحة لدى التونسيين.
من ناحية أخرى، فإن حضور الحدّاد في هذه الرواية يجعلنا تحت تأثير علاقته المتخيلة، وكأن المؤلفة تود القول: إن تأثيره في تونس يفوق المجالين النظري والفكري إلى العلاقات بين أفراد وأسر المجتمع مدّاً وجزراً، في حقبة عاشها حُبلى بالتحديات التي واجهت المجتمعات العربية فكرياً وحضارياً وسياسياً.
لقد عاش الحدّاد ـ شأنه شأن آخرين ـ مهموماً بقضايا شعبه، سواء المتعلقة بالكفاح ضد المستعمر الفرنسي، أو رفع لواء إصلاح المجتمع من داخله، ورفع مستوى وعي الناس، لكن تلك لم تحسب له حين تعلق الأمر بمحاولة تعبيره عن حبه بشكل شرعي ومقبول ومنظم اجتماعيّاً، لذلك احتفت به الكاتبة في روايتها هذه، وعن ذلك كله تقول: «.. ظنّي أنّ مجرّد تقريب الطاهر الحدّاد من قرّاء هذا الجيل والأجيال اللاحقة هو بذاته نوع من الاحتفاء».
لقد أعادت رواية نازلة دار الأكابر طرح القضايا المتعلقة بالتطور الاجتماعي بأسلوب متفرد وجذاب، جعلنا نُطالع عدداً من التجارب ضمن قرن من الزمان تقريباً مترابطة بعيداً عن التوثيق، رغم تناولها أحداثاً تاريخية، وهي كما قال عنها شكري المبخوت: «كلما تقدمت ـ يقصد في قراءة الرواية ـ طوّحت بك الفصول المتعاقبة في أزمنة مهمشة، تتقارب أحياناً، وتتباعد بك أخرى، وجنحت بك في فضاءات بعيدة تتناسل، فتفترق طوراً وتتلاقى أطواراً، إلى أن تكتشف شيئاً فشيئاً أن تناسقها في حبل الزمان، وتكاملها فيما بين تفاصيلها تصنعهما، من جهة، مهارة الروائية في تركيب الأزمنة والتواريخ كلما تداعت الذكريات، ومن جهة أخرى، براعتها في التقاط منعرجات حكاية قادح هي النازلة، بل قل اللعنة التي حلت بالعائلتين..».

النقش على الجدران

أسماء الزرعوني
روائية إماراتية

عندما أعود بذاكرتي إلى مراتع طفولتي، وأتذكر الجدران الإسمنتية غير المصبوغة، وكيف كانت متعتي عندما كنت أمسك الفحم الأسود، وأدوّن بعض الخواطر أو بعض حكايات الحيّ على تلك الجدران؟! وكنت أمارس هوايتي أيضاً على شاطئ البحر بأناملي، وفي كثير من الأحيان يأخذ الموج حروفي، إلا أن الجدران كانت تحتفظ بها وقتاً أطول، وعندما كانت حبات المطر تتساقط على تلك الجدران ترحل الحروف في شقوق الأرض، وأنا أقف خلف نافذتي أسترق النظر، لكنني أهتف بداخلي، وفي جعبتي الكثير.

عندما كبرت قليلاً، اخترت الكراسة، لكن سعادتي كانت أكبر عندما كنت أخرج وقت القيلولة وفي يدي الفحم، أو «الصخام» بعرف أهل الإمارات.
تعوّد الناس القيلولة بعد وجبة الغداء، كما كان يقول والدي، رحمة الله عليه، «تغدَّ وتمدد، تعشَّ وتمشَّ»، وتعودت أنا أن أقف أمام الجدران الصماء لأنقش حروفي، وبعدها أصعد إلى غرفتي، وكم كانت سعادتي عندما كنت أشاهد من خلف نافذتي من يقف ليقرأ حروفي المدوّنة في وسط الجدار!
ثقافة الكتابة على الجدران كانت منتشرة، وهي «أدب الشوارع»، كما يسميها بعضهم، أو «الكتابة الجدارية»، وهي عبارة عن ثقافة مجتمع، وتعكس السيرة الذاتية للفرد الذي يكتبها، وكذلك سيرة المجتمع، ومنها تظهر ملامح التغيرات الاجتماعية اليومية، وما يحصل في المدن والقرى والتجمعات السكانية في أنحاء العالم.

جهود كثيرة بذلت لدراسة هذا الواقع، لاسيما في المدارس الأمريكية، كمدرسة نيويورك، وعالمها الشهير روبيرت راينسنير، الذي ألّف كتاباً حول الجدارية، رغم أنها كانت منتشرة أيضاً في عالمنا العربي، فعندما أزور بعض الأحياء القديمة في الشارقة، أجد هذه الكتابة منتشرة، وكذلك وجدت هذه الظاهرة في أحياء كثيرة من جمهورية مصر العربية، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل فكر أحد منا بأن يدرس هذه الظاهر، أو ما يسمى بـ«أدب الشوارع»، على الرغم من وجود الأجهزة الذكية، والرسائل النصية؟ حتى هذه اللحظة أنا أتابع الظاهرة في بعض الأحياء السكنية، ووجدت قبل فترة رسائل غرامية، أراد شخص ما أن يوصلها إلى حبيبته، فلم يجد سوى هذه الطريقة، فيا ترى هل وصلت رسالته، أو أنها كانت مجرد تفريغ لما يكنّه هذا الشخص في داخله؟!
جميل أن نتتبع الظاهرة، وأن تجرى حولها دراسة.

البغلة تقودها خطاها

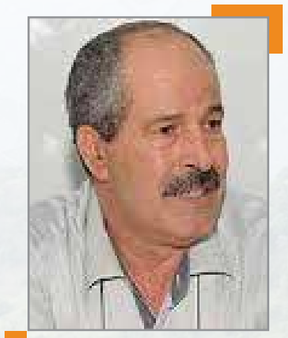

سعيد يقطين
كاتب - المغرب

مهمة القاضي في المجتمع الإسلامي جسيمة. إنه يقضي بين الناس في مختلف الأمور. ولما كان الظلم والفساد متفشين بين الناس كان موقع القاضي يعرضه لنزوة خيانة وظيفته، والانحياز إلى الجور على حساب العدل، وقليل من يقوم بعمله على الوجه المناسب. ولذلك قال النبي (ص): «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة. فأول القاضيين من يقضي بالهوى، وثانيهما يقضي بغير علم. أما القاضي الثالث فرجل علم يقضي بالحق».

تنبيه أول: القاضي والقاضيان:

1. أبو حسان القاضي:

هل يمكننا الآن تصور قاض عربي معاصر يعيش مثل موظف بسيط ينتظر آخر الشهر ليحصل على راتبه، ليس ليوسع على نفسه، ولكن ليقضي ما عليه من ديون كي يتمكن من قضاء الشهر القادم، وهو يحمل معه كناش تقييد البضائع التي يقتنيها ليؤدي ثمنها في آخر الشهر الموالي؟ لا أظن أن هناك من يجيب على هذا السؤال بالإيجاب. لكن قاضينا أبا حسان الزيادي، في العصر العباسي، يعيش مثل هذا الموظف التعيس. روى قصته قال: «أضقت إضاقة بلغت بهَا إلىَ الْغَايَة، حَتَّى ألح عَليّ الخباز، والقصاب، والبقال، وَسَائِر المعاملين، وَلم تبْق لي حِيلَة». أن تصل بالقاضي الضائقة إلى حد أن كل من يتعامل معهم يوميا للحصول على ما يقتات به يطاردونه لأنه تأخر في أداء ما عليه من ديون لا يعني إلا أننا أمام القاضي. أما القاضيان في زماننا فلا يكادان يعرفان أملاكهما وعقاراتهما وحساباتهما البنكية في الداخل والخارج، وبكل العملات المتداولة. ولكل زمان رجال، أو أشباههما.

2. لا يخيب القاضي:

سمعة القاضي النزيه تفرض نفسها. إنها رأسماله الرمزي القابل للتداول. وفي أحلك الظروف، وقد ضاقت به الحيل أمام كثرة المطالبين بما لهم عليه، يطرق بابه الحاج الخراساني: بعد تيقنه من أنه أبو حسان الزياني، يخبره أنه عازم على الحج، ومعه بدرة مال قيمتها عشرة آلاف درهم، وبسبب ثقته فيه، يود تركها لديه وديعة حتى يعود من الحج. وزن البدرة، وتركها للقاضي. حلت مشكلة الديون، وأديت الديون كلها، وانتهت الضائقة. وكان في ظن القاضي أن يرد الوديعة إلى صاحبها: «فَكنت فِي يومي ذَاك، فِي سَعَة، وَأَنا فَرح، لست أشك فِي خُرُوج الْخُرَاسَاني».

تنبيه ثان: لا أزمة بلا فرج:

تضيق السبل بالمرء في لحظات حرجة، فلا يتصور إمكان زوال الأزمة، أو توقع نهايتها. لكن التجربة الإنسانية تبرز أن العلاقة بين الشدة والفرج جدلية، وهو يتناوبان في الحياة، فلا يكون فرج بلا شدة، ولا شدة بلا فرج. إنه التناوب في الأحداث الذي يتحقق أيضا في أي سرد.

3. الحيلة وليلة ليلاء:

صار القاضي في سعة، وفرح بما ساقه الله إليه. لكن السرد يعود بنا إلى نقطة الصفر. في اليوم الموالي يحضر الخراساني نفسه في الصباح مطالبا باسترجاع البدرة لأنه ألغى فكرة الحج بسبب وصول خبر وفاة والده، وأنه سيعود إلى بلده؟ خبر غير متوقع. تجددت الأزمة. لقد قضى الديون التي كانت عليه، وجاء من يطالبه بما حل به مشكلة من يتعامل معهم. فماذا يفعل؟ « فورد عَليّ أمر عَظِيم، لم يرد عَليّ مثله قطّ، وتحيرت، وَلم أدر بِمَا أُجِيبهُ، ثمَّ فَكرت (...)، وقلت: إِن منزلي هَذَا لَيْسَ بالحريز، وَلما أخذت مِنْك البدرة، أنفذتها إِلىَ مَوضِع أحرز مِنْهُ، فتعود إِليّ غَدا، لأسلمها إِلَيْك».

حيلة مقبولة، وتأجيل مستحب. ولكن أنى له القضاء والسداد؟ أمر عظيم، وحيرة لا حد لها، وقلق وتوتر لا نهاية لهما، والموعد الصبح، وهو منه قريب. لا يمكن لليلته إلا أن تكون ليلاء. وبين فينة وأخرى يطلب من غلامه إسراج البغلة للخروج. والغلام يؤكد له أن الليل أليل، حتى طلع الفرج، ركب البغلة، وهو لا يدري إلى أين المسير؟

4. البغلة تعرف طريقها؟

يقول الراوي (الفاعل الذاتي): «وطلع الْفجْر، فأسرج الْغُلَام البغلة، فركبت، وَأَنا لَا أَدْرِي إِلىَ أَيْن أتوجه، فطرحت عنان البغلة، وَأَقْبَلت أفكر وَهِي تسير، حَتَّى بلغت الجسر فعدلت بِي إِلَيْهِ، فتركتها فعبرت. ثمَّ قلت: إِلىَ أَيْن أعبر، إِلىَ أَيْن أتوجه؟ وَلَكِن إِن رجعت، رَأَيْت الْخُرَاسَانِي على بَابي، وَلَكِن أدعها تمْضِي حَيْثُ شَاءَت. فمضت البغلة، فَلَمَّا عبرت البغلة الجسر، أخذت بِي يمنة، نَاحيَة دَار الْمَأْمُون، وتركتها، وَمَرَّتْ، فَلم أزل كَذَلِك إِلىَ أَن قربت من دار الْمَأْمُون، وَالدُّنْيَا بعد مظْلمَة».

تنبيه ثالث: شاءت الأقدار لا ما شاء القاضي:

تيهان القاضي وحيرته جعلته يترك الأمور تسير وفق مشيئتها. فهو لا يعرف ماذا يفعل. وكانت البغلة أداة تلك المشيئة، ومشيتها دالة عليها: تتجه نحو الجسر، تعبره، تتجه يمينا، تقترب من دار المأمون. ظلت تسير تقودها خطاها، وكأنها تعرف أين تتجه. هل كانت تعرف وضعية صاحبها وحالته النفسية؟ هل أدركت أن خروجه في هذا الوقت، لا يكون إلا لأمر جلل؟ وأن المقصود هو دار المأمون التي يمكن أن تكون الأمل والغاية؟

5. أَلَسْت أَبَا حسان الزيَادي؟

في حالة الديون جاء الخراساني وسأله: أنت أبو حسان؟ وترك عنده الوديعة. وعندما جاء صاحب الوديعة ليستردها، أوصلته البغلة قرب دار المأمون، فرآه فارس، فطرح عليه السؤال نفسه: «أَلَسْت أَبَا حسان الزيَادي؟» وعندما أجابه بالإيجاب. رد عليه: «إليك بعثت». لقد بعثه الأمير الحسن بن سهل. استقبله الأمير، وبعد أن سأله عن غيابه عن زيارة مجلسه، أخبره أنه رآه في المنام وعلم أنه في ورطة، وسأله عن قصته. فلما أخبره بها، قَالَ له الأمير: «لَا يغمك الله يَا أَبَا حسان، هَذِه بدرة للخراساني، مَكَان بدرته، وَهَذِه بدرة أُخْرَى تتسع بهَا، فَإِذا نفدت أعلمنَا».

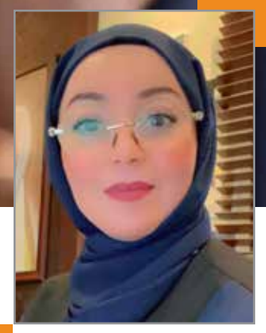

عائشة مصبح العاجل
كاتبة وإعلامية - الإمارات

تفاعلات متجددة في عوالم متغيرة

الإنسان معول التجديد

«مرود» الأمس الذي اكتحلت به أمي وجدتي وصويحباتهما، لم يعد رمزاً للجمال والتزين، ولا يدلل إلا على إرث مركون على طاولة الذكريات، قد يلتفت إليه بعض الجيل الجديد، ويغيب تعريفاً ورمزاً ودلالة عن المتبقين.

إن الرموز الدالة وتفاعلاتنا معها لم تعد تشكل ما كانت تشكله من دلالات ورموز في زمن سابق جميل، ليس لأن الزمن تحول فقط، وإنما إنسان المنطقة اعترته تحولات، وشكّلته تفاعلات عدة، مع مكونات عديدة وفي بعض الأحيان دخيلة.

إن الرموز الدالة وتفاعلاتنا معها لم تعد تشكل ما كانت تطورت نظرية التفاعلات الرمزية، والتي كان من روادها جورج ميد، آرفيغ غوفمان، هربرت بلومر، بتداخلاتها مع المنظور النفسي والفلسفي الذي هيمنت عليه تمثلات السلوك الإنساني وتأويلاتها، والتحليل النفسي للوصول لمقاربة العلاقة «المابينية»، والإنتاج المشترك للمعنى فكرياً، والذي يؤسس للعلاقة بين الدال والمدلول.

وترى نظرية التفاعلات الرمزية أن الاتصال اللفظي وغير اللفظي بين الأشخاص يحدد المعنى الذي يعطونه للعالم المحيط بهم، ولعلاقاتهم بالأشخاص ولأدوارهم، وعلاقتهم بالمحيط وما تنتجه الحاجة للتفاعل والترميز. وأن المعاني تُحوّر، وتُعدّل، ويتم تداولها عبر عملية التأويل؛ بمعنى أن إدراك معنى الظواهر الذاتية والموضوعية ينبع بالضرورة من التأويل، كما أن المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني محاطاً بما يعتري فكر البشر.

واهتمت النظرية بشكل جلي تعاظم مع تطور سياقات التشكل الإنساني، بالبحث عن كيفية كسب الناس المعاني المشتركة من أجل التخاطب والتخاطر والتواصل، وتحقيق المصالح المشتركة، من خلال ما يسمى بـ«الرمز الدال»، الذي يمنح البشر القدرة على التأمل والتنبؤ بردود الأفعال، والاستعداد لها في الخيال، إضافة إلى ما يتيحه من قدرة على النأي عن المحطات التي قد تسبب له تشوهاً في العلاقات، أو اضطراباً في المصالح، التي يمكنه من خلال التنبؤ والاستعداد خوض التجارب في فكره الإنساني الخاص، من أجل التجنب أو التعلم وتجاوز الخطأ بالتجربة والتكرار.

تطور العالم المحيط بنا بسرعة فاقت كل التصورات، بحيث أصبحت الرموز الدالة أكثر تشعباً وأكثر تعقيداً، واختلطت برموز ترتبط بثقافات أخرى، وتشكيلات ضمن سياقات مختلفة تماماً، وبعيدة عنا أيضاً، بغية التقارب والتواصل، حيث أصبح البشر يستحدثون تفاعلات ورموزاً دالة متجددة ومتطورة، ومتشكلة مع التشكلات التي يخضع لها البشر، من أجل التعايش والتكيّف مع المحيط، ومن أجل أن تؤول المصالح لنتاجات خادمة للبشرية، والتواصل الإنساني.

وعلى الرغم من أن نظرية التفاعلات الرمزية تتعارض مع المنظورات المهيمنة في علم الاجتماع، كالوظيفية والثقافوية، ذلك أن الأساس الفلسفي للتفاعلات الرمزية يستند إلى رفض الحتمية البيولوجية والاجتماعية للأشخاص، وكذلك اعتبار المجتمع كتلة هُلامية ولا تتدخل فيها الظواهر المحيطة، مثل: القوة والسيطرة والصراع والتغيير؛ إلا أنها سعت جاهدة من أجل التقارب الإنساني، والتواصل، وركّزت على الإنسان وتفاعلاته بمعزل عن تأويلات المحيط، وفي تخصصها بالرموز كان لابد من عتبة الوجود المجتمعي وإرهاصات تكوينه وتشكله التي لها بالغ الأثر والتأثير في التفاعلات الرمزية بين البشر، وفي تأويلاتها لربط العلاقات بشكل واضح يصير إلى تقارب رغم الاختلافات.

وما نعيشه اليوم من لوثة عالمية بات صورة من صور ضياع الرموز الدالة، والتي عاث فيها المشكلون فساداً؛ من كثرة التداخلات والتشعب والانزياحات نحو الفكر الغربي الذي لا يؤسس إلا لهجانة في التفاعلات الرمزية، والرموز الدالة غير عابث بالتشكلات الجديدة التي لا تنتمي لهوية، ولا تندمج بمجتمع، ولا تؤول إلا لضياع وتيه قادم لا محالة.

إن الارتباط بالإرث الثقافي والفكري والموروث المادي والمعنوي رمزاً دالاً على الأصالة، وتأويلاً مرسخاً للقيمة، وما «المرود الصدف» و«المكحلة» إلا رمزان تشكلا وشكلا معها نموذجاً لزينة المرأة في زمن مضى، وبقيت دلالاته راسخة في تأويلاتها.

آبار وعيون الماء

ـ 2 ـ

أ.د. مصطفى جاد

عميد المعهد العالي للفنون الشعبية بالقاهرة

ترتبط عيون الماء والمجاري المائية والآبار ارتباطاً وثيقاً بتراثنا الشعبي العربي، وعين الماء أو بئر الماء عبارة عن ماء يتدفق من فتحة طبيعية في باطن الأرض. وأشهرها «بئر زمزم» بالمسجد الحرام، وما تحمله من رمزية دينية، وارتباطها بالعديد من الممارسات الشعبية المصاحبة للحج، إذ يتهادى بها الحجاج، ومنهم من يقوم «بزمزمة كفنه» تبركاً بها. وفي سيرنا الشعبية تبرز عيون الماء كمسرح لبعض الأحداث الرئيسة، على نحو ما نجده في السيرة الهلالية في الجزء الخاص بمواليد الأبطال، حيث تذهب خضرة الشريفة مع صويحباتها إلى عين ماء، يستحم فيها الصبايا، وتشاهد خضرة الشريفة طيراً أسود اللون يهبط على العين، فتتمنى أن تلد طفلاً أسمر اللون قوياً مثل هذا الطير، فتتحقق لها الأمنية، وتنجب أبي زيد الهلالي بطل السيرة الشعبية.

وتنتشر عيون الماء في مناطق الواحات، وتمثل بيئة ثقافية لكثير من الاحتفالات، ففي واحة سيوة المصرية يقوم الأهالي في صباح يوم طهارة الطفل بحمله إلى عين «طموسى»، حيث يغسلونه ثم يعودون به إلى المنزل لطهارته. وفي ظهر يوم الزفاف تستحم العروس قبل العريس - الذي يستحم في عين أخرى عصراً - ويتم ذلك في زفة يصحبها النساء والجيران. وفي حالة الوفاة تذهب الأرملة بعد أشهر العدة للاستحمام في عين الماء، لتعود مرة أخرى امرأة عادية، بعد أن كان يطلق عليها «الغولة».

وهناك آبار وعيون ماء تحمل أسماء أعلام، مثل عيون السبيل التي يتم حفرها خصيصاً، وتكتب باسم صاحبها. وعُرفت آبار الماء بوظيفتها العلاجية للجسم، كما ارتبطت أضرحة الأولياء والكنائس بكثير من المعتقدات والتصورات حول الآبار المجاورة لها.

واشتهرت معظم البلدان بآبار وعيون الماء التي نسجت حولها كثير من الروايات منها «الكواكب»، وهي نبع ماء في قلب البحر في البحرين، تصل إلى بيوت المدن والقرى، ويقوم بتوصيلها السقاية. وفي الشام «البير القديم»، وهي بئر عميقة لجمع مياه الأمطار عن سطح البيت، عبارة عن فتحة مغطاة إما بالحجارة أو بغطاء معدني، وبعض الآبار تحتوي على سرداب على شكل درج ينحدر من وجه الأرض إلى أسفل البئر، حيث الماء.

وهناك بعض المعارف المرتبطة بالتعامل مع الآبار، على نحو ما نجده في تونس، حيث يبنى أنبوب صغير في جدار قرب البئر، يطلق عليه «مَصَّاصَة»، يُجهزه صاحب البئر ليرتوي منها عابر السبيل المترجل. وفي الجزائر هناك بئر في المناطق الصحراوية، تسمح لعبور الماء من مستويات عميقة إلى مستويات أقرب إلى سطح الأرض، تسمى «الْفُقَّارَة»، تُحْفَرُ مجموعة من الفقارات موصولة فيما بينها؛ بغرض دفع الماء تدريجياً نحو سطح الأرض. وفي الخليج العربي تعرف بئر الماء التي تُحفر داخل أحواش المنزل للاستفادة من المياه الجوفية باسم «الجليب». ويقوم أهل الشام بعمل نافورة ماء وسط حوض رخامي بحوش الدار بالبيت العربي القديم يسمى «البِرْكِة»، وكذا حفر ضخمة تتجمع فيها مياه الأمطار بالقرى، ويستخدمها أهل القرية لسقاية الدواب والمواشي وري المحاصيل، ولغسل الملابس وللاستحمام والسباحة.

ويتوارث أصحاب الآبار الكثير من المعارف المرتبطة بنقل الماء من البئر واستخدامه للشرب أو الزراعة، وتعد «الطُّرمبة» من أشهر آلات رفع المياه اليدوية من البئر بالضخ والضغط، ولها ذراع موصولة بمكبس في أسفل الجب. وفي سوريا نجد أيضاً «السربس» وهو وعاء يُستخدم في رفع الماء من البئر، وهو على شكل ثلاثي، قمته في الأعلى، وقاعدته تكون فوق الأرض، يُربط بحبل، ويتم إنزاله في البئر، إما باليد مباشرة، أو بوساطة بكرة حديدية، وتتخذ «الجابية» في شمال إفريقيا شكل حوض متّصل بالبئر لخزن الماء، مساحته نحو 400 متر مربع. وفي السعودية تشتهر حرفة «خِرَّازَة الرَّوِيّ»، وهي خياطة الروي، التي تُستخدم للماء باستخدام مقص ومخرز، وكذلك الدلو الذي يستخرجون به الماء من البئر. ومن أدوات رفع المياه من الآبار في الصومال نجد «الوَدَان» وهو وعاء مجوف مصنوع من جلد الماعز ومادة مطاطية، يُربط من ثلاث جهات بحبل طويل، حيث يُستخدم لرفع المياه من الآبار للسقي، وفي الخليج العربي تُعرف مهنة استخراج المياه من الآبار العميقة بالطريقة التقليدية القديمة باسم «سواني».

وتختلف المجاري المائية عن الآبار وعيون الماء، فالمجاري المائية هي القنوات التي تجري فيها كمية من الماء بشكل مستمر، مثل الترع والقنوات والجداول، وجميعها حافلة بكثير من الروايات والمعارف والتصورات الشعبية التي تختلف من بيئة لأخرى.

المدن الثقافية..
الشارقة نموذجاً

د. محمد فاتح صالح زغل
باحث رئيس في مركز زايد
للدراسات والبحوث - أبوظبي

رؤية صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي:

تعدّ رؤية صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، لتأسيس الشارقة مدينة ثقافية رؤية ثاقبة، كونها تتجه نحو الضِّلع الرابع من أضلاع التقدم والرقي، وهو الضلع المعرفي الثقافي. المعرفة والثقافة بشموليتها ونفاذيتها وقدرتها على إذابة الحدود، واختراق خطوط الخرائط الجغرافية، بما يؤهل الشارقة لمزيد من الانفتاح على العالم انطلاقاً من مقولته: «الثقافة هي الأساس في بناء الحوار الإنساني، وخلق التفاهم والوئام بين شعوب العالم كافّة، بِغَضّ النظر عن العرق أو الدّين أو الجغرافيا».

ويمكن الاستدلال على الحمولات الثقافيّة في هذه الكلمة المفتاحية بطرح الأسئلة الآتية:

- هل سيكون الباب مشرّعاً أمام خصوصيّتنا الثقافيّة للقاء الثّقافات الأخرى؟
- هل تتمكن خصوصيّتنا الثقافيّة من الاندماج مع الثّقافات الأخرى؟
- هل الثّقافة فرديّة أم جماعيّة، محليّة أم كونيّة؟
- هل هي روح الفرد والذّات، أم روح الجماعة والمجتمع؟
- أهي مادّيّات الإنسان، أم هي الفكر والمعنى، أم هي كلاهما معاً؟
- ما معايير التأهيل لتصبح المدينة ثقافية؟ وما الثقافة بالضبط؟
- هل هي طقوس؟ أزياء خاصة؟ هل هي الفنون والحرف اليدوية؟ وهل تُحدد بأهلها وتاريخها ومبانيها وهندستها المعمارية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، سنقف عند تعريف منظمة اليونسكو للثقافة، وهي: «مجمل السمات المميزة، الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، التي يتصف بها مجتمع أو مجموعة اجتماعية، وعلى أنها تشمل - إلى جانب الفنون والآداب - طرائق الحياة، وأساليب

العيش معاً، ونظم القيم، والتقاليد، والمعتقدات».

وفي دراسة لـ«اليونسكو» في عام 2016، أكدت أن الثقافة قادرة على جعل المدن أكثر ثراء وأماناً واستدامة. وكتبت «إيرينا بوكوفا»، المديرة العامة

السابقة لليونسكو، استناداً إلى هذه الدراسة: «إن الثقافة تكمن في قلب التجديد والابتكار الحضريين». وأضافت أن الدراسة قدمت أدلة ملموسة، تظهر قوة الثقافة كأصل استراتيجي لإنشاء مدن أكثر شمولاً وإبداعاً واستدامة.

وبحسب أفلاطون، فالمدينة الثقافية وفق ما عبر عنها في كتابه «الجمهورية الفاضلة» هي الاجتماع الحر والساحات المتنوعة ثقافية وفنية ورياضية، وتعتبر تمثيلاً عريضاً للجمهور بمعناه الثقافي المتماهي في آرائه وأفكاره ورغباته معها.

بهذا المعنى فالمدينة هي مدينة الجمهور، والجمهور هنا ليس كتلة صماء واحدة، بل هو مزيج من التيارات والعقائد والعواطف والآراء المختلفة والمتباينة، ونسيج منسجم من التراث المادي وغير المادي، فإن قلنا إنها مجموعة الحِرف والتقاليد والعادات وأنماط العيش والسلوك، فهذا يبدو ناقصاً ولا معنى له، دون أن نعرف طبيعة الممارسات الثقافية والعمرانية والاجتماعية لمجامع البشر التي تقوم بهذه الأنشطة، ومدى مصداقية تراكمها في الوجدان الجمعي، وقدرة الفرد داخل هذا النشاط الجماعي على ممارسة دوره المعرفي والثقافي.

هذه المعطيات هي ما تؤسس لمدينة عبقرية، مدينة تفكر بعقول أفرادها، وتقرر شكل عمارتها وهويتها الثقافية، لتنجز فيما بعد ديمقراطية العيش المشترك، بعيداً عن تهميش جماعة أو إلغائها، أو تغريب مثقفيها وعزلهم، فالمثقفون والفنانون هم على قائمة النخب الملقى على عاتقها تشكيل تصور الآخرين عن مدينتهم، دون أن تكون هذه الصورة شكلية أو مصنّعة.

هذا الوعي المستنير في المشروع الثقافي لسلطان القاسمي، وورد في مقولة مهمة له، إذ قال: «لا شك في أن التعطش للمعرفة، والرغبة في التعرف إلى تقاليد وتجارب إنسانية جديدة، يسهم في خلق روابط

عالمية، لها تأثير أكبر بكثير من المدن الجديدة أو القوى العسكرية؛ لأن المحرك الحقيقي للحضارة دائماً ما يستند إلى روح الشعب، الذي يصنع هذه الحضارة، وعلى مدى حبه وتمسكه بثقافته. في الماضي، كان القادة العسكريون يكتبون تاريخ العالم عبر نشر المزيد من الكراهية، وتراجع القيم الإنسانية، في حين كان الشعراء والكتاب يكتبون التاريخ بمشاعر إنسانية تعكس نقاء الفنان».

واستناداً إلى هذه الرؤية المتقدمة في مشروع بناء المدينة الثقافية، والشارقة نموذجها الأكيد؛ فقد عملت كل دوائر الإمارة وفق هذا المشروع الثقافي، ورسم بيئة جديدة لسد الفجوة بين الحفاظ على التراث الثقافي والقضايا الحضرية المعاصرة. ومن ثم إعادة الاستخدام التكيفي المستدام للتراث الثقافي، ونماذج الحوكمة الجديدة، إلى العلامة التجارية للمدينة، بحيث تأخذك المدينة في رحلة عبر التراث الثقافي الحضري متعدد الأوجه، بالعمل مع الثقافة والمثقفين والعلماء والمبدعين، من أجل مستقبل حضري أكثر إشراقاً.

ومنه وضعت خريطة التراث الثقافي التفاعلي للشارقة بكل مؤسساتها الثقافية والسياحية، عبر الوسائط المتعددة للمتاحف والملتقيات والمعارض والنوادي والجامعات ومعهد التراث والمجلات التراثية والثقافية، وتفعيلها، بحيث أصبحت مورداً رقمياً معيناً للسائح، فعبر هذه الوسائط يستكشف الزائر فعاليات المدينة الثقافية بأكملها، كما يمكنه العثور على نصوص وصور ومقاطع فيديو ونماذج ثلاثية الأبعاد، واستعراضات لجوانب من التراث الثقافي الملموس.

ثمة مدن تاريخية وثقافية في العالم، أصابها بعض التغيير، فتحولت من مدينة شاملة وثقافية وتاريخية وحضارية إلى بيئات مجزأة متنوعة، وتم طمس النمط التاريخي والتراثي فيها، وهذا ما أخذ بالاعتبار في المشروع الثقافي لصاحب السمو حاكم الشارقة، وذلك باعتماده استراتيجية الحفظ البنّاء لتعزيز سلامة المنطقة الحضرية الجديدة، ودمجها بالموروث الثقافي المجتمعي مع أصول التراث الثقافي، فضلاً عن المحافظة على نسيج المدينة القديمة وأسواقها وحرفها وصناعاتها اليدوية وآثارها وطعامها ولباسها ومناسباتها وكل أصول التراث الثقافي المادي وغير المادي، فظلت محافظة على شبابها وحضورها، وحققت فكرة المدن المستدامة.

لقد اعتمد صاحب السمو حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، موضوع المدينة الثقافية مشروعاً حضاريّاً، وهذا يظهر جليّاً في المؤسسات الثقافية التي جعلت من المدينة حاضرة دوماً كل أيام السنة عبر نشاطات مختلفة، كما هي الحال مع «معهد الشارقة للتراث»، في مهرجان «أيام الشارقة التراثيّة»، و«ملتقى الشارقة الدولي للراوي»، ونشاطات أخرى كثيرة.

إن أهم أعمدة هذا المشروع الثقافي لنموذج الشارقة مدينة ثقافية، قائم على التأكيد على الهوية

المتصالحة مع ثقافتها وذاتها وتاريخها ولغتها والهويات الأخرى المتعايشة معها، وعلى الانفتاح على بيئة العولمة والسماوات المفتوحة التي كانت بمثابة الترياق الحقيقي للهوية، وشروط التعايش المشترك، والذي لن يتحقق إلا بمبادئ الاحترام والحوار الذي ساد في دولة الإمارات عموماً منذ التأسيس، وفي مشروع المؤسس المغفور له، الشيخ زايد، طيّب الله ثراه، بحيث أصبحت نهجاً وأسلوب حياة من بعده، حيث التسامح والتعايش وقبول الآخر، ومنه انتفى أي ارتكاس لهذه الهويات في استنادها إلى تناظرية متباينة حدّ التناقض بين «الأنا» و«الآخر». بحيث تخضع «الأنا» الجمعية إلى منطق التقديس، والآخر إلى مقولة «التدنيس» حسب أمين معلوف، غير أنه في الإمارات سادت ثقافة التسامح، باعتبارها ركيزة أساسية في تعزيز السلم المجتمعي والاستقرار، حيث يعيش على أرضها أكثر من مائتي جنسية من مختلف أرجاء العالم. تظهر خصوصية الشارقة بأسلوب شديد الرقي، والحنكة القيادية والرؤية الثقافية الثاقبة لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وبوجود العديد من المؤسسات الثقافية والجامعات والمتاحف ودور النشر وساحات المبدعين والفن التشكيلي، والملتقيات العالمية والصناعات الثقافية، كل ذلك يجعلها جديرة بالتفوق على قوائم المدن الثقافية، وكما يقول عالم الاجتماع الأمريكي جوزيف ناي، في كتابه «القوة الناعمة» الذي أصدره عام 2004، إن: «القوة الناعمة هي القدرة على التأثير في الآخرين، بحيث يصبح ما تريده هو نفسه ما يريدونه، وبحيث تصبح قيمك وثقافتك ومبادئك وطريقتك في الحياة هي النموذج الذي يودون احتذاءه».

لقد جاءت دراسة جوزيف ناي متأخرة عن نهج الإمارات الذي اختطه منذ السبعينيات المغفور له الشيخ زايد، مؤسس دولة الإمارات، وهو النهج الذي سار عليه من بعده المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله ورعاه، وأصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد حكام الإمارات، وهو نهج القوة الناعمة، حيث أصبح للإمارات في كل بقاع العالم قصور من الحب والتضامن، وأصبحت بحق منارة عالية، وفيئاً وظلاً آمناً لكل القادمين من بلدان العالم.

وسنلقي نظرة سريعة على أهم المؤسسات الثقافية التي شكلت الأرضية الصلبة للمدينة الثقافية في إمارة الشارقة، على سبيل المثال لا الحصر؛ لأنه يطول الحديث عن حصرها، ومنها مثلاً:

- مسارح الشارقة، كمسرح المجاز الذي افتتح في احتفالات الشارقة عاصمة الثقافة الإسلامية في عام 2014، ومسرح الشارقة الوطني الذي بدأ مشواره الفني عام 1975، ومسرح القصباء المجهز بأفضل تقنيات الصوت والإضاءة، ويتسع لـ250 شخصاً. كما تم تأسيس الهيئة العربية للمسرح، وأهم أنشطتها مهرجان المسرح العربي، وجائزة الشيخ الدكتور سلطان القاسمي لأفضل عمل مسرحي عربي.
- كما تزخر إمارة الشارقة بعدد كبير من الكليات والجامعات المرموقة، التي توفر مختلف التخصصات العلمية والأدبية المعتمدة محلياً وعالمياً، مثل جامعة الشارقة وكلياتها وجامعة ويست فورد والجامعة الأمريكية وكلية الطب – الشارقة، وكلية الأفق الجامعية، وكلية لندن أمريكان سيتي، ومعهد الشارقة للعلوم والتكنولوجيا، وكلية الشارقة للطلاب، وكلية للطالبات، وجامعة لينكولن الشارقة، والجامعة القاسمية.
- كما تم إطلاق جائزة اليونسكو - الشارقة للثقافة العربية في عام 1998، واختيار منظمة اليونسكو إمارة الشارقة ضمن شبكة المدن المبدعة، التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) عام 2019.
- وجائزة الشارقة للإبداع العربي 1996، والجائزة موجهة للشباب العرب.
- وجائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي، كمظلة كبرى لرعاية وتشجيع البيئة التربوية الإماراتية المبدعة.
- وجائزة الشارقة لتكريم دور النشر كل عام في معرض الشارقة الدولي للكتاب.
- كما تأسست مؤسسة القلب الكبير برعاية سمو الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي، رئيسة المجلس الأعلى لشؤون الأسرة بالشارقة، المناصرة البارزة للأطفال اللاجئين.
- كما تشكل مجلس إرثي للحرف المعاصرة، الذي استطاع أن يبرز مكانة الحرف والفنون التراثية.
- وتأسست في الإمارة أول منطقة حرة من نوعها في الشرق الأوسط خاصة بدور النشر، وغيرها العديد من المؤسسات والملتقيات التي يصعب حصرها.

لا شك في أن أثر الثورة المعرفية على قيم المواطنة، ذات أهمية خاصة في عصر المعلومة، وأنه من الضرورة نشر القيم الإيجابية والثقافات المتنوعة، والمسارح والفنون والتعليم والجامعات والفولكلور والتراث المادّيّ وغير الماديّ، والفعاليّات والملتقيات الثقافية كآليّة من أهمّ آليّات القوة الناعمة، وهو نهج إماراتي أصيل.

ومسك الختام تلك المقولة الرائعة لصاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، لدى افتتاح معرض الشارقة الدولي للكتاب 2017م:

«مجابهة الظلام تكون بالنور، والنور هو الكلمة الصادقة والعلم النيّر والثقافة التي تستطيع أن تملأ العقول الخاوية».

إن المشروع الثقافي لصاحب السموّ حاكم الشارقة، بمثابة العين الثالثة لرؤية الجوهري والأصيل فيه، وتعني القبض على الماضي بروح العصر.

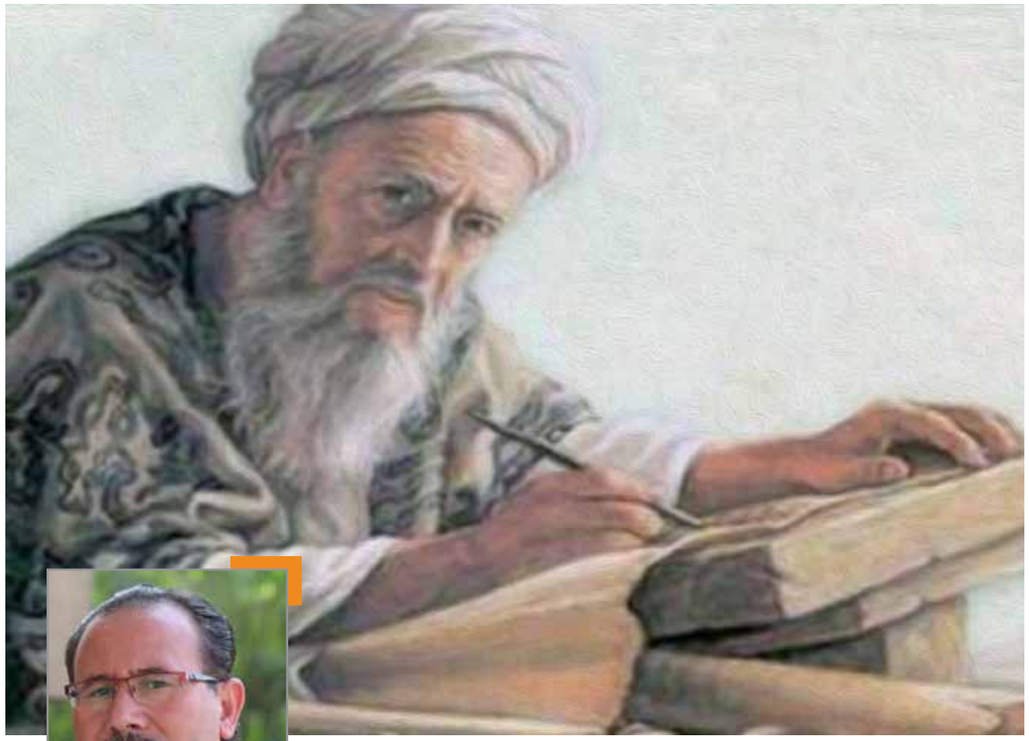

النويري..
وموسوعته الكُبرى
«نهاية الأرب في فنون الأدب»

حجاج سلامة
كاتب - مصر

يُعدّ كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب»، لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، من أكبر الموسوعات الأدبية التي جمعت بين تصنيفات شتى، حيث جمع فيه مؤلفه بين الأدب والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع، والعلوم الدينية، ونظم الحكم، والتراجم والفنون والعلوم التي لم يجمعها من قبل ولا من بعد كتاب في مجاله، وذكره أصحاب كتب التاريخ والتراجم باسم «تاريخ النويري».

وقد تميز أسلوب «النويري» في هذا الكتاب بالبساطة والوضوح والبعد عن التعقيد، والإغراق في التخصص العلمي والمصطلحات التي لا يعرفها إلا أهل العلم.

وفي ذلك يقول المستشرق الروسي أ. فازيليف، إن الموسوعة المسماة بـ«نهاية الأرب في فنون الأدب» لـ«النويري»، تحوي أخباراً عظيمة الأهمية... وفيها من دقائق الأخبار ما لا نجده فيما نعرف من مصادر.

ويصف فازيليف، صاحب «نهاية الأرب في فنون الأدب»، أبو العباس أحمد بن عبدالوهاب بن أحمد شهاب الدين النويري، بأنه «عالم جليل ومؤرخ وفقيه، كان ابن الأثير مرجعه الأساسي، بجانب مؤلفين قدامى لم تصلنا كتبهم مثل (ابن الرقيق)، و(ابن رشيق)، و(ابن شداد) وغيرهم.

وقد ذكر كمال الدين جعفر بن ثعلب الأُدفُوي، صاحب «الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد» النويري، وقال عنه: «إنه كان ذكي الفطرة، حسن الشكل، وفيه مكرمة وأريحية وود لأصحابه، وله نظم يسير، ونثر جيد». وبحسب باحثين وكُتّاب، فإنه يكفي «النويري» فخراً أنه صاحب مصنف «نهاية الأرب في فنون الأدب»، والذي يمثل دائرة معارف جامعة لكل ما وصل إليه العرب من علوم في ذلك العصر.

وتدلنا المصادر العربية، على أن «النويري» استغرق في تدوينه «نهاية الأرب في فنون الأدب» قرابة عقدين من الزمان، وقد جمع فيه بين شتى المعارف من آداب وفنون وعلوم وتاريخ وجغرافيا، وعلوم دينية، وحتى علوم الاقتصاد والاجتماع.

وذهب أصحاب كتب التاريخ، إلى التأكيد على أن ذلك المصنف الكبير - نهاية الأرب في فنون الأدب - الذي جاء في أكثر من 30 مجلداً، ووضعه النويري قبل عام 721 هجري، «تميّز أسلوبه بالبساطة والوضوح والبعد عن التعقيد، والإغراق في التخصص العلمي والمصطلحات التي لا يعرفها إلا أهل العلم»، وأن ذلك المصنف «أظهر براعة صاحبه شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري التاريخية، وقدرته على الرصد والتحليل والتأريخ».

واعتبر مهتمون بكتب التراث، أن كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب»، قد وضع ليؤكد أن «الثقافة العربية كان لها السبق في الربط بين أنساق معرفية مختلفة، ومحاولة صهرها في بنية ثقافية متكاملة».

يقول النويري في مقدمة «نهاية الأرب في فنون الأدب»:

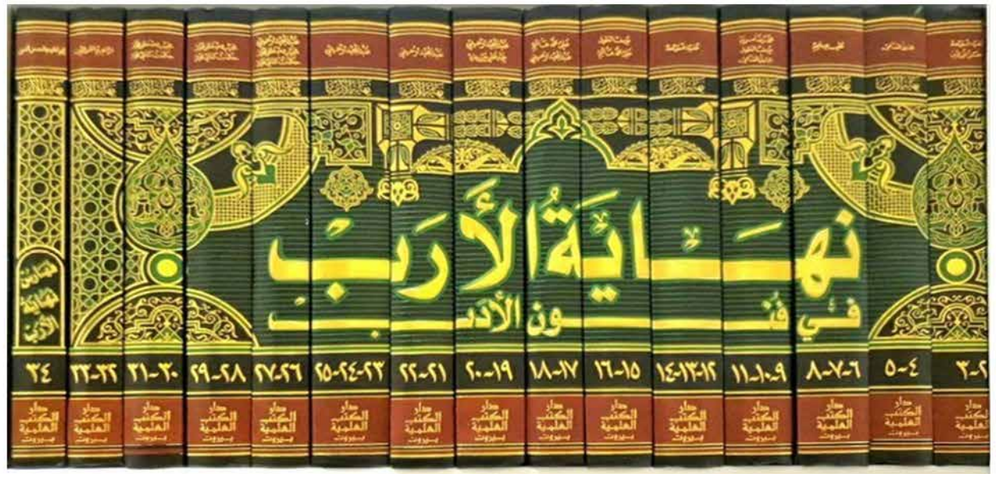

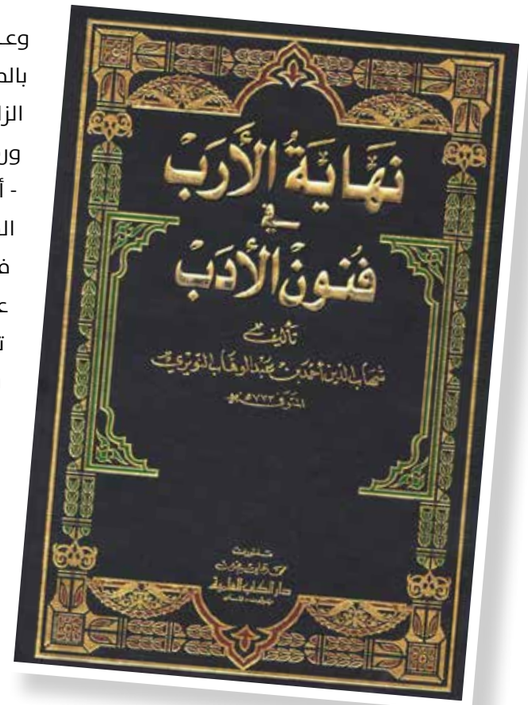

لقد رغبت في صناعة الآداب وتعلقت بأهدابها، وانتظمت في سلك أربابها، فرأيت غرضي لا يتم بتلقيها من أفواه الفضلاء شفاهاً، ومردي منها لا يصفو ما لم أجرد العزم سفاهاً - أي من السفه - فامتطيت جواد المطالعة، وركضت في ميدان المراجعة... وحيث ذلّ لي مَرْكَبُها، وصفا لي مشربها، آثرت أن أجرد منها كتاباً أستأنس به، وأرجع إليه، وأعوّل فيما يعرض لي من المهمات عليه، فاستخرت الله، سبحانه وتعالى، وأثبتّ منها خمسة فنون حسنة الترتيب، بينة التقسيم والتبويب، كل فن منها يحتوي على خمسة أقسام: الفن الأول في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية، والفن الثاني في الإنسان وما يتعلق به، والفن الثالث في الحيوان الصامت، والفن الرابع في النبات، والفن الخامس في التاريخ، وينطوي كل باب منها على فصول وأخبار، ويحتوي على وقائع وآثار، ونصوص وأشعار.

وعن محتويات الكتاب يقول «النويري»: «أتيت فيه بالمقصود والغرض، وأثبت الجوهر، ونفيت العرض - أي الزائل الذي لا يدوم - وطوقته بقلائد من مقولي، ورصعته بفرائد من منقولي. فكلامي فيه كالسارية - أي السحابة التي تأتي ليلاً - تلتها السحائب، أو السرية، ردفتها الكتائب - فما هو إلا مترجم عن فنونه، وحاجب لعيونه، وما أوردتُ فيه إلا ما غلب على ظني أن النفوس تميل إليه، وأن الخواطر تشتمل عليه. ولو علمت أن فيه خطأ لقبضتُ بناني - أي توقفت عن الكتابة - وغضضتُ طرفي، وثنيت عطفي - أي انصرفت عنه - لكني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي، وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبلي».

ومن بين الموضوعات والأبواب التي احتوى عليها كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» نقرأ: حقيقة المدح، وما قيل فيه، وما قيل في الجود والكرم، وأخبار الكرام، وما قبل في الإعطاء قبل السؤال، وما قيل في الشجاعة، والصبر، والإقدام. وما قيل في وفور العقل، وما قيل في الصدق، وما قيل في الوفاء، وما قيل في التواضع، وما قيل في القناعة، والنزاهة. وما قيل في الشكر، والثناء. ما قيل في الوعد، والإنجاز، وما قيل في الشفاعة، وما قيل في الاعتذار والاستعطاف.

وما قيل في الهجاء، وفيه أربعة عشر فصلاً: ما قيل في الهجاء، ومن يستحقه، وما قيل في الحسد، وما قيل في الغيبة والنميمة، وما قيل في البخل واللؤم، وأخبار البخلاء، واحتجاجهم، وما قيل في التطفل، وما قيل في الجبن، والفرار.

وما قيل في الحمق، والجهل، وما قيل في الكذب، وما قيل في الغدر، والخيانة، وما قيل في الكبر، والعجب، وما قيل في الحرص والطمع، وما قيل في الوعد والمطل، وما قيل في المجون، والنوادر، والفكاهات، والملح، وما قيل في الغناء، وما وصفت به آلات الطرب. وما قيل في ذكر الكُتّاب، والبلغاء، والكتابة، وما تفرّع عنها من الوظائف والكتابات، وهي: كتابة الإنشاء، وكتابة الديوان، والتصرف، وكتابة النسخ وغيرها. وكذلك ما قيل في الأرض، والجبال، والبحار، والجزائر، والأنهار، والعيون، وطبائع البلاد، وأخلاق سكانها، وخصائصها، والمباني القديمة، والمعاقل، والقصور، والمنازل.

وما قيل في الإنسان، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصف أعضائه، والغزل، والمحبة، والعشق، والهوى، والأنساب، بجانب ما جاء من أخبار ملوك الأمم من الأعاجم، مثل ملوك الإفرنجة والفرس واليونان، وملوك الهند والصين، وأخبار الدولة الأموية بالأندلس، وأخبار الأندلس بعد زوال الدولة الأموية، وأخبار الأفارقة، وبلاد المغرب، وأخبار ملوك الديار المصرية، وغير ذلك من الموضوعات، التي أجاد «النويري» جمعها وتدوينها وشرحها.

وأما شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، صاحب كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب»، فهو شهاب الدين النويري شهاب الدين أحمد بن عبدالوهّاب بن محمد النويري، نسبة إلى قرية نُوَيْرة بمحافظة بني سويف، في صعيد مصر.

وقد ولد سنة 677 هجرية، الموافقة لسنة 1278 ميلادية، ودرس في الأزهر الشريف بالعاصمة القاهرة، وقد تخصص في دراسة السير والتاريخ والحديث، وقد عمل في مطلع حياته بنسخ الكتب القيّمة، ويُقال إنه كان يقوم بكتابة النسخة من صحيح البخاري، ويبيعها بألف دينار.

وبجانب نسخ الكتب، فقد عمل «النويري» في بلاط السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومارس الكتابة والحسبة، ويروى أنه تولى جيش طرابلس، وقد أسهم كل ذلك في أن يكون مؤلفاً موسوعياً.

وقد توفي «النويري» وهو في الخامسة والستين من عمره، وقد ترك تراثاً ثرياً من المصنفات التي كان من أهمها موسوعته «نهاية الأرب في فنون الأدب».

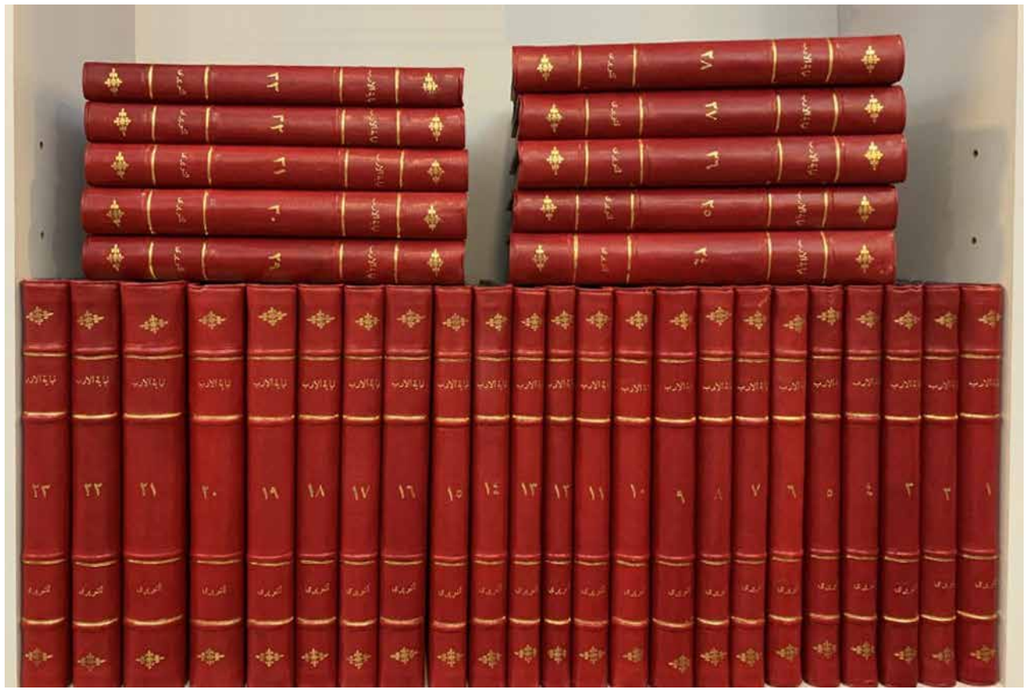

التراث المخطوط في موريتانيا

مدينة ولاتة التاريخية نموذجاً

محمد محمود سيدي محمد
كاتب - موريتانيا

يعدّ التراث من أهم مرتكزات الأمم التي بها تحفظ هويتها الدينية والثقافية، فلا يستقيم لأمة بناء حاضر، ولا استشراف مستقبل آمن دون المحافظة على تراثها، فالأمة التي لا تراث لها لا تاريخ لها.

وتستدعي المحافظة على تراث أي أمة استغلال ثروتها العلمية التي يتصدر المخطوط أساساتها الفكرية، وشواهد تميزها باعتبار المخطوطات التوثيق الأمين للتراث. وتمتلك موريتانيا مئات الآلاف من المخطوطات القيّمة التي تعجّ بها المكتبات الخاصة والعامة، في شتى صنوف العلم والمعرفة، وهذا ما حدانا إلى تخصيص هذه النافذة للتعريف بذلك التراث المخطوط وأهميته الثقافية.

1

بداية يعرّف الباحثون المختصون المخطوط بتعريفات عدة، إلا أن أغلبهم التزم إلحاق لفظ المخطوط بكلمة كتاب، فيقال: الكتاب المخطوط، إلا أنه ليس كل ما كتب باليد يسمى مخطوطاً، إذ يستثنى من ذلك الكتابة باليد على الألواح الطينية والجلود والنقش على الأحجار والصخور. والمخطوط من خط الرجل الخط بيده؛ أي كتبه، وجاء في القاموس المحيط: «الخط الكتابة بالقلم». ومن هنا يعرف المخطوط بأنه ذلك الكتاب المكتوب بخط اليد، سواء كان في شكل لفائف أو في شكل صحف ضم بعضها إلى بعض على شكل دفاتر أو كراريس، وبهذا المعنى تخرج الرسائل والنقوش والصكوك على حدود معنى المخطوط.

ولعل أشمل تعريف للمخطوط وأحدثه هو تعريفه بأنه: «كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، أو أخذت عنه صورة فوتوغرافية، أو أن يكون مصوراً بالمايكروفيلم عن مخطوط أصلي».

2

تعدّ مدينة ولاتة التاريخية إحدى الحواضر العلمية العريقة والعتيقة في موريتانيا، وبقيت طوال القرون الماضية مركزاً نشطاً للحركة الفكرية، وقد بذل أهلها جهوداً محمودة في تكوين حاضرة علمية متميزة، وقدموا في سبيل ذلك الغالي والنفيس، فأسسوا دور العلم وعمروها، وأعطوا العلماء مكانة مرموقة، ما شجع حركة التأليف في مختلف المعارف الإنسانية.

وكان المسجد في ولاته مركزاً للتعلم والتعليم احتضن في أروقته مجالس العلماء وطلبة العلم والوعظ والإرشاد، وازدهرت في رحابه حلقات الدرس في مختلف العلوم.

وقد ساعد اهتمام القوم بالعلم والتعليم على تكوين حركة علمية وأدبية زاهرة، عمرت المحاضر ووفرت المخطوطات، رغم قلة المصادر وشح المعلومات وغلائها، ورغم ذلك اتسع نطاق التدوين وانتظم التصنيف وازداد التأليف في مختلف موضوعات المعرفة، وكثرت الكتب، وحرص المهتمون على نسخها واقتنائها، فكوّنوا ثروة علمية كبيرة، ملأت مخطوطاتها ووثائقها الدور والصناديق. يمثل التراث المخطوط الولاتي جزءاً من الذاكرة الفردية والجماعية للمجتمع الموريتاني، وقد أسهم هذا التراث خلال فترة معينة من تاريخ المجتمع في الحفاظ على الهوية الثقافية، وعلى الرغم من أهميته، إلا أنه واجه أوضاعاً صعبة كانت السبب في إتلاف وضياع كثير من المخطوطات النفيسة والنادرة، وذات القيمة العلمية والتاريخية. ومن العوامل التي أدت إلى ضياع وإتلاف هذا التراث، نوعية الورق الذي يتأثر مع مرور الزمن بالحرارة والرطوبة وغيرهما، بالإضافة إلى عامل الفيضانات والحرائق التي ربما تصيب المكتبات، وكذلك الحروب الذي ينتج عنها إتلاف وحرق كثير من المكتبات، كما هي الحال بالنسبة لأوضاع كثير من أقطار العالم الإسلامي، بالإضافة إلى الإهمال الواقع من طرف أصحاب تلك المكتبات.

ونظراً للأهمية التي يكتسبها التراث المخطوط الولاتي، يتطلب الأمر التفكير في برنامج مناسب وطموح، يهدف إلى المحافظة على ما تبقى من هذه الثروة الثمينة، وذلك من خلال استخدام تقنيات متطورة لحفظ وصيانة ما تبقى منه.

وبما أن المخطوط يعدّ كائناً حياً، فهو كذلك مرآة للحياة التي عاصرته، بما يحمله من إشارات تاريخية وحضارية، وبالتالي فالمحافظة عليه من خلال (التحقيق، والحفظ، والصيانة).

3

مصادر المخطوطات وطرق استجلابها: اهتم الموريتانيون قديماً بالعلم، والحرص الشديد على اقتناء المخطوطات وشرائها بأغلى الأثمان، فقد ازدهرت سوق المخطوطات في هذه البلاد حتى بيع القاموس المحيط بعشرين بعيراً، والحطاب على مختصر خليل بفرس، ولذا جمعوا منها الكثير بشتى الطرق.

ـــ رحلات الحج: تعدّ فريضة الحج في الإسلام من أهم الدوافع الأساسية التي دفعت آلاف الحجاج الموريتانيين، والولاتيين على وجه الخصوص، للسفر إلى ديار الحجاز لتأدية هذه الفريضة، وكان أصحابها يقومون باقتناء الكتب وجلبها، ومن أبرز هؤلاء الفقيه سيدي محمد بن حبت، الذي جلب الكثير من المخطوطات، واستمر اهتمامه بجمعها حتى بلغ ما لديه 1400 مخطوط، وكذلك الشيخ سيدي المختار الكنتي الذي كانت تأتيه قوافل الكتب من جميع الأصقاع.

ـ النسخ: أولى الولاتيون اهتماماً بمهنة نسخ الكتب، فقد اشتهرت أسر وقبائل كثيرة بخط الكتب.

لقد اشتهر الولاتيون بشغفهم بالمخطوطات، إذ لا تخلو خيمة أو دار من مخطوط، ولهذا يعتقد بعض الباحثين والمهتمين بالمخطوطات، أنه يصعب تقدير عددها.

4

الاهتمام بالمخطوط الولاتي: لقد ظلت المخطوطات الولاتية إلى عهد قريب تحت رحمة ملاك أصحابها، والذين في أغلبهم عاشوا في البادية، ولا يملكون وسائل لحفظ وصيانة هذا التراث، ولا يملكون حتى تقنيات فنية تمكنهم من التعريف بتلك المخطوطات وتسهيلها للباحثين.

وبالتالي بقيت تلك المخطوطات رهينة المحبس الملكي الفردي، ما أدى إلى إتلاف كثير منها، وذلك دون إدراك ملاكها أنها قد تكون معرضة للسرقة الفكرية والمادية، أكثر من غيرها من المخطوطات المدونة في كتب التراجم والفهارس العمومية.

وبعد تعرض كثير من هذه المكتبات الأهلية التي يعود تأسيسها إلى القرون الثلاثة الأخيرة للضياع والتلف، حيث تم إحصاء 200 مكتبة خصوصية، اختيرت على أساس الندرة والقيمة التاريخية والعلمية، كما تم إعداد فهارس كاملة لنحو 60 مكتبة خصوصية، من بينها مكتبات المدن القديمة الأربع (ولاتة، تيشيت، وادان، شنقيط)، والتي تمثل مخطوطاتها مجتمعة نحو 351 مخطوطاً من المخطوطات الوطنية التي تمت فهرستها، والتشابه بين هذه المخطوطات يتجلى في الشكل والمضمون.

وتعدّ أول محاولة لجمع هذه المخطوطات ما قام به المؤرخ والباحث المختار ولد حامد، من إعداد قائمة لبعض المؤلفات الموريتانية دون ذكر الأماكن وحتى ملاكها، وقد نشر هذا العمل كملحق في كتاب الخليل النحوي «بلاد شنقيط المنارة والرباط» - تونس 1997.

وبعد تأسيس المعهد الموريتاني للبحث العلمي سنة 1974م، كان إنشاء الفهارس وجمع المخطوطات من الأولويات التي يسعى لتحقيقها، من خلال قسم المخطوطات المكلف هذه المهمة، التي ربما تكون صعبة لعدم التعاون من قبل ملاك تلك المكتبات، وهو ما انعكس سلباً على هذا العمل ذي الأهمية الكبيرة.

ومن بين الفهارس التي تم إنجازها:

فهرس مخطوطات ولاتة فهارس رقم2، المعهد الموريتاني للبحث العلمي 2014م.

وقد اشتهرت ولاتة بالفقه والتأليف على سيدي يحيى الكامل وبنيه من بعده، وقد أيد هذه الرواية المؤرخ المختار ولد حامد في إطار حديثه عن المدينة وبداية التأليف والنهضة العلمية التي عرفتها في الفترة الوسيطة.

ومن ناحية أخرى، فقد بلغ عطاء مدينة ولاتة في الجانب العلمي والثقافي أوجه مع القرن الثالث عشر الهجري، وأنجبت الكثير من الفقهاء الذين قدموا الكثير من المؤلفات، من خلال كثير من المعارف، ومن أبرز هؤلاء العلامة الفقيه محمد يحيى الولاتي.

كما يوجد لدى أعيان المدينة بعض المخطوطات، لكنها أصبحت في حالة تردّ يرثى لها، وذلك بحكم جهل كيفية الحفاظ عليها، وتركها دون حماية تذكر.

ومن أهم الأسباب التي أسهمت في تأخر حل مشكلة المخطوطات في هذه المدينة العتيقة، عدم وجود جدية بالغة من قبل المهتمين بهذا التراث، على الرغم من وجود قانون ينظم ويهتم بالتراث المخطوط.

إن الاهتمام بالمحافظة على التراث الموريتاني المحسوس بدأ حديثاً، خاصة أن أولى محاولاته كانت عام 2002م ــ رغم وجود القانون رقم (160/72) ــ من أجل جرد وفهرست المخطوطات الموريتانية التي تحتضنها المدن الأثرية.

وقد أسهمت تلك المحاولة في جرد عشرات المخطوطات الثمينة.

وقد أثار قانون الحفاظ على التراث الموريتاني المحسوس رقم (064/ 2005) بعض القضايا المهمة، ونص على جملة من التوصيات الهادفة إلى حفظ وصيانة التراث الموريتاني المحسوس من أهمها:

ــ تصنيف التراث الموريتاني المحسوس إلى ممتلكات ثقافية منقولة، والتي يقصد بها «الممتلكات التي يمكن نقلها دون تلف أو خسارة في ذاتها أو في البيئة المحيطة بها».

ــ جرد سنوي للتراث الثقافي المحسوس.

- تسجيل الممتلكات الثقافية المنقولة وغير المنقولة، ويعتمد جرد هذه الممتلكات الثقافية على المعطيات لدى الأشخاص المعنيين والسلطات المختصة.

تعدّ المخطوطات الموريتانية نادرة وذات قيمة تاريخية وعلمية وحضارية، وبالتالي تبقى في حاجة إلى رعاية جادة، فهي لا تتمتع بالحد الأدنى من الحماية والاهتمام، ما جعلها معرّضة للتلف والضياع، وتهددها مخاطر كثيرة، بالإضافة إلى استئثار العائلات بها، ووضعها في خزانات لا تحتوي على أدنى مقومات الصيانة، وبالتالي فعدم صيانتها والحفاظ عليها يشكل عائقاً أمام الباحثين والدارسين في هذا المجال.

وقد احتوت مدينة ولاتة التاريخية على معظم المخطوطات النفيسة، التي يعود أغلبها إلى نحو خمسة قرون، ولاتزال حبيسة ملاكها دون إخراجها حتى للنظر فيها، فبقيت تلك المخطوطات دون اهتمام يذكر، حتى تآكل بعضها بمرور الزمن.

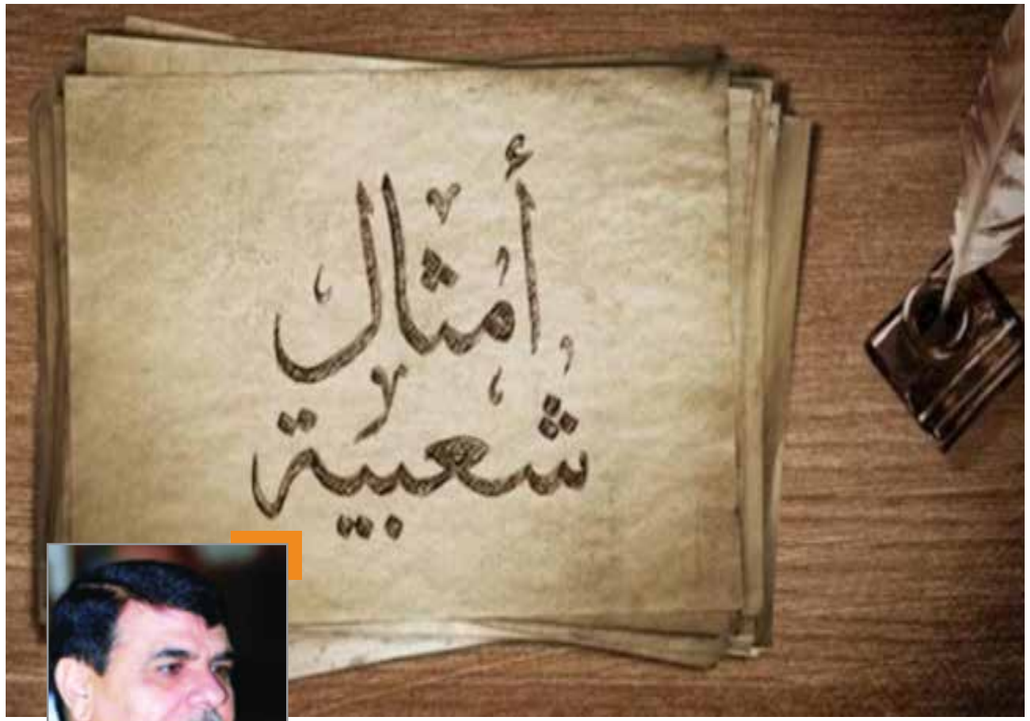

د. عبد الرّزاق الدّرباس
كاتب - سوريا

الأمثال الشعبية

تراث إنساني بلغات محليّة

تحتلّ الأمثال الشعبية مساحةً كبيرةً من التراث الثقافي للأمم والشعوب، يمكن اعتبارها مادة جماهيريّة شائعةً، لا تتطلب ذلك العمق المعرفيّ والتخصص الأكاديميّ، إلا إذا أراد المهتمّون دراساتها البحثية، ولكنّها في تداولها مشاعٌ لخاصة الناس وعامّتهم، كجزءٍ من الحديث اليوميّ للتدليل على اختصار الكلام وجودة الوصف، من خلال اقتران مناسبته بمثلٍ شعبيّ من التراث، فتكون الصورة أبلغ، واللغة أكثرّ تكثيفاً، والمعنى أقرب في التجسيد والوصول إلى إدراك السامعين.

ولا تخلـو أمـة مـن تلـك الأمثـال، كـما لا نجـد شـعباً مـن الشـعوب إلا ولـه ذخـره الخـاص منهـا، التـي يمكـن عدّهـا تراثـاً شـعبياً أصيـلاً، يعـبّر عـن ثقافـة هـذا الشـعب أو ذاك، مـن خـلال لغتـه المحليـة، وعاداتـه الاجتماعيـة، والمكوّنـات المؤثـرة في تشـكيل وعيـه، إضافـة لتأثّر تلـك الأمثـال بالمكونّـات الأساسـية للبيئـة الجغرافيـة، والتيـارات الفكريـة، والمعتقـدات الدينيّـة.

وإن اختلفـت اللغـات وتعـدّدت الأمصـار والبـلاد، يمكننـا تتبّـع خيـطٍ ظاهـرٍ يوحّـد تلـك الأمثـال، ويصـل بأهدافهـا للمـراد المنشـود، مـن خـلال حكايـةٍ أو شـخصٍ أو حالـةٍ اجتماعيـةٍ، جـرى نسـخها عـلى حـالاتٍ تاليـة مشـابهة، والباحـث الحصيـف، يسـتطيع إيجـاد ذلـك الرابـط الوجـدانيّ بـين أمثـال الشـعوب، مـن خـلال معرفـة تراثهـم الشـعبيّ وتفاصيـل الحيـاة الاجتماعيـة التـي تشـكّل بنيـةً تحتيّـةً للغـة واسـتخداماتها كوسـيلة تخاطـبٍ، تحمـل خصوصيـة المجتمـع وتشـكّل أحـد مظاهـر هويّتـه الثقافيّـة والبشريّـة.

وفي هـذه الدراسـة، سـنتقصّى مدلـول بعـض الأمثـال الشـعبيّة مـن تـراث دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، ومـا يقابلهـا مـن أمثـالٍ شـعبيّةٍ في تـراث إقليمـين عربيّـين مجاوريـن لمنطقـة الخليـج العـربيّ، هـما سـورية، ومصر، إضافـةً لما يقابـل تلـك الأمثـال في اللغـة العربيـة الفصيحـة، مـن أقـوالٍ مأثـورةٍ أو حكـمٍ خالـدةٍ، أو أمثـالٍ عربيّـة فصيحـة، اسـتخدمها أجدادنـا الأول في مواقفهـم الحياتيـة، لنصـل إلى حقيقـةٍ دامغـةٍ مفادهـا، الاشـتراك المتشـابه في القيـم المتوارثـة، وتشـابه المقاصـد السـلوكيّة، والوجـدان الإنسـانيّ، رغـم اختـلاف الأقاليـم، وتنـوّع اللهجـات المحليّـة الدّارجـة عـلى ألسـنة النـاس.

ونبدأ بمثلٍ شعبيّ من تراث الإمارات يقول:

«اللي زاد عمره نقص عمره»:

ودلالتـه المعنويـة، أنّ أيـام الإنسـان التـي تطـول، تجعـل ما بقـي مـن عمـره ينقـص، ذلـك أنّ العمـر مقـدارٌ زمنـيّ ثابـتٌ محـدود، والأيـام تـأكل منـه تباعـاً، فيعـروه النقصـان، كلـما طـال عمـر الإنسـان، ويقابـل هـذا المثـل ومعنـاه في بـلاد الشـام قولهـم: (اللـيّ مـا ينبـع يخلـص)، وفي مصـر التـي تشـتهر بانسـيابيّة لهجتهـا الدّارجـة، يقولـون في مثـل هـذا المقـام: (خـود مـن التـلّ يختـلّ)، في دلالـةٍ مشـتركةٍ عـلى عـدم الاسـتهانة بالقليـل المكـرّر، وإفنائـه القليـل الـذي لا يـزداد ويتكاثـر، مهـما كان كبـير الحجـم، ويتوافـق ذلـك مـع قـول الشـاعر الجاهـليّ طرفـة بـن العبـد البكـري:

أرى العيـش كنـزاً ناقصـاً كلّ ليلـةٍ ومـا تنقـص الأيّـام والعمْـر ينفـد

وفي مثـل شـعبيّ إمـاراتيٍّ آخـر يقـال «سـيل مـا يبلّـك مـا يهمّـك»:

في صياغتـه جنـاسٌ بديعـيٌّ جميـل نابعٌ مـن بيئـة الصحـراء ونـدرة أمطارهـا، لكنهـا حـين تنهمـر بغـزارةٍ تمتلـئ الشّـعاب، وتجـري الأوديـة وتجـرف السـيول مـا تجـده في طريقهـا، نجـد دعـوةً لعـدم الفضـول السـلبيّ، والابتعـاد عـمّا لا يهـمّ الإنسـان مـن قضايـا، تاركـاً إيّاهـا لأهلهـا، حيـث يقـول السـوريّون في هـذا الموقـف بصيغـة النهـي عـن ذلـك الفضـول غـير المجـدي: (لا تحـشر عصّـك في الـليّ مـا يخصّـك)، وللهـدف نفسـه في النصـح والإرشـاد يـأتي المثـل الشـعبيّ المـصريّ عـلى شـكل حكايـة عامـلٍ أو موظـف، يحسـب أيّـام الشـهر، رغـم أنـه ليـس مـن أهـل الراتـب والأجـر في نهايتـه، فيقـال: (الشـهر الـليّ مـا لكـش فيـه ماهيّـة لا تحسـب أيامـه)، وكأنّ الأمثـال الثلاثـة تترجـم لحديـث رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم -:

عـن أبي هريـرة - رضي الله عنـه - قـال: قـال رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم -: (مـن حسْـن إسـلام المـرء تركـه مـا لا يعنيـه). رواه الترمـذي.

وفي مقـامٍ آخـر يـدلّ عـلى تمكّـن الطبـع في النفـس وصعوبـة تغيـير النواميـس المعتـادة، نـرى في الأمثـال الشـعبيّة الإماراتيـة ثلاثـة أمثـالٍ تجسّـد المعنـى، ويسـتخدمها النـاس بكـثرةٍ في أقوالهـم وجلسـاتهم التراثيـة، للطـف معناهـا، ولفـظ مفرداتهـا التراثيّـة المحليّـة:

«تمـوت الدّايـة وعينهـا في السّـبوس، بـو طبيـع مـا يّـوز عـن طبعـه، طبيعـي طبيعـي لـو قصّـوا اصبيعـي»:

والدايـة في لفـظ أهـل الإمـارات هـي الدّجاجـة، مـع اسـتخدام (العجْعجـة)، وهـي قلـب الجيـم يـاءً خفيفـة في لهجـة بعـض القبائـل العربيـة القديمـة، أمـا السّـبوس فهـو العلـف أو مـا يأكلـه الدجـاج، أمّـا لفظـة مـا يّـوز فأصلهـا لا يجـوز؛ أي لا يـترك ولا يتخطّـى ولا يتجـاوز،

وكلمـة طبيعـي إنمّـا تـدلّ عـلى الطبـع والصفّـة المتأصّلـة في النفـس أو السـلوك المكتسـب الـذي يسـتحيل تغيـيره، وبالانتقـال لمـا يقابـل هـذا الـتراث الخصـب مـن الأمثـال في المعنـى ذاتـه يقـول أهـل الشـام (أبـو زيـد مـا يعـوف الحـركات للـمات)، (رجعـت حليمـة لعادتهـا القديمـة)، أمـا في مصـر المعروفـة بحفـلات الموسـيقى الشـعبيّة التـي يعـزف بعضهـم فيهـا عـلى المزمـار بمهـارةٍ، فيقولـون في هـذا الصّـدد (يمـوت الزّمـار واصبعـه بيلعـب)، وكلّ تلـك الأمثـال مـع تنـوّع لهجاتهـا تقودنـا إلى حكمـة عربيّـة مأثـورة تقـول: مـن شـبّ عـلى شيءٍ شـاب عليـه.

وفي مثـلٍ شـعبيّ آخـر لا يخلـو مـن الطرافـة والمـرح في تـراث الإمـارات، مـا يعلّمنـا الرّضـا والقناعـة حتّـى لـو كان واقعنـا أقـلّ مـن طموحنـا، فقـد يـأتي التغيـير بالحالـة الأسـوأ، وقـد تقودنـا المغامـرة إلى نتائـج معاكسـةٍ لمـا نرجـوه، فننـدم سـاعة لا ينفـع النـدم، يقـول المثـل:

«يوّدْ على مينونك، لا تلاقي الأيّنّ منه»:

وفي تبسـيط ألفـاظ المثـل نقـول: يـوّد تعنـي تمسّـك، أمـا المعنـى العـام فواضـحٌ يحـذّرك مـن اسـتبدال مجنونـك الـذي يزعجـك طمعـاً بعاقـلٍ يريحـك، فقـد يأتيـك بالاسـتبدال من هو أكـثر جنونـاً وخطـراً عليـك، وهـذه الحالـة الاجتماعيـة موجـودةٌ في كل المجتمعـات، ولا نعـدم وجـود أمثـالٍ شـعبيّةٍ مقارنـةً بهـذا المثـل، بـل تشـابهه في طرافتهـا أيضـاً، مـع خصوصيّـة اللهجـة والبيئـة، ففـي بـلاد الشـام يقولـون في ذلـك:

(جبنـا الأقـرع ليونّسـنا، كشّـف عـن قرعتـه وخوّفنـا)، ومثـل ذلـك المعنـى يقصـد المصريـون في قولهـم (جبتـك يـا عبـد المعـين لتعـين، لقيتـك محتـاج تتعـان)، وفي تراثنـا الشـعريّ بيـتٌ مشـهورٌ للشـاعر دعبـل الخزاعـي، ذهـب شـطره الثـاني مثـلاً سـائراً يـدلّ عـلى المعنـى ذاتـه، وللبيـت قصّتـه المشـهورة التـي ليـس مجـال تفصيلهـا الآن:

المسـتجير بعمْـروٍ عنـد كربتـه كالمسـتجير مـن الرّمضـاء بالنّـار

ويقول المثل الإماراتيّ المتضمّن جناساً وسجعاً واضحين، ويتطلّب شيئاً من (الدّبلوماسيّة) لتحقيق الغرض، والظهور بمظهر اللّين في القول والفعل ريثما يحقّق الشخص أهدافه، من خلال استحضار جلسة الخطوبة، إذ يتحلّى الخاطبون بكل ما يجعلهم مقبولين في عيون أهل الفتاة، وتلك جلسةٌ لها طقوسها ومتحدّثوها المجرّبون:

«عند الخطبة تكون الألسن رطبة»:

ورطوبة اللسان هنا كناية عن لطيف القول والتجمّل في الطلب، خلال خطبة الفتاة من ذويها، وفي المعنى ذاته، يأتي المثل الشاميّ ليدلّ على ذلك السلوك المؤقّت، لتحقيق مصلحةٍ ما، وعندها لابدّ من إظهار المسكنة واللطف المثير للشفقة فيقال (تمسكن حتّى يتمكّن)، ومن المعنى نفسه يغرف المثل الشعبيّ المصريّ، إذ يعبّر بصراحةٍ عن زيف المصالح والتهذيب المصطنع، لتحقيق الهدف، وبعدها لا يهمّ، فيقولون (لما انتهت المصالح بقا الحلو مالح)، ولم يبتعدْ أبو الطيب المتنبي كثيراً حين حذّرنا من تلك الشريحة، في صورةٍ مشهورةٍ يعرفها من تعرّض لخطورة الاقتراب من سباع البرّ، فخدع بها:

إذا رأيت نيوب اللّيث بارزةً فلا تظنّنّ أنّ اللّيث يبتسم

ومن أمثال هذه المقارنة ما كان في عدم معاندة الأقدار، والسير في اتجاه التيّار لا عكسه، لإراحة النفس من تعب العناد والسّخط؛ لأن قدرة الإنسان محدودةٌ أمام إرادة الله الخالق المدبّر، وهذا المثل ليس مدعاةً للكسل والسلبيّة وترك الطموح والسعي، كما يتوهّم بعضهم:

«إذا ما طاعك الزمن طيعه»:

وهنا يجسّد المثل الشعبيّ السوريّ المعنى نفسه حين يقولون (على هوى السوق سوق)، ولفظة سوق الثانية معناها امشِ، ليكون الجناس ملمحاً آخر من ملامح الجمال في الأمثال، أما في مصر فيعبّرون عن المعنى بقولهم (حطّ راسك بين الرّوس) أو (عود وسط حزمة)، وهنا يلتقي المعنى مع ما أراده شاعر

الفلاسفة أبو العلاء المعري الذي قال بيته المشهور من القصيدة الدّاليّة الشهيرة:

ولمّا أنْ تجهّمني مرادي جريْت مع الزّمان كما أرادا

ونغوص أكثر في القيم السلوكيّة الإيجابيّة التي تحضّ على العمل وغنى النفس عن سؤال الناس،

نرى مثلاً شعبيّاً من تراث الإمارات نابعاً من بيئتها الصحراوية التي يشكّل الجمل فيها ركيزةً أساسية للركوب والتنقل والارتحال والعمل الحرّ الشريف، مع استخدام السجع اللفظيّ، فيقولون:

«اللّي ما عنده عمل يكاري له يمل»:

ولفظة يكاري جاءت من الكروة؛ أي الأجرة والمال المقابل لتنفيذ مهمة عمل، والمقصود، من قلّت حيلته في تحصيل الرزق، فليستأجر جملاً ويعمل عليه في النقل، فذلك خير له من البطالة وذلّ المسألة، وتلك خصلةٌ إيجابيّة وسلوكٌ رجوليّ فيه من كبرياء النفس وعزّتها ما يحفظ ماء الوجه، ويقابل هذا المعنى الرائع قول المثل الشعبيّ السوريّ (احلق لحيتك بفاس ولا تحتاج للناس)، ويقول المثل الشعبي المصريّ (ما ينفعك إلا دراعك)، وكلاهما له الدّلالة نفسها في المعنى، في وجوب الاعتماد على النفس، وترك الكسل وانتظار صدقات الآخرين، ولعلّ خير من علّمنا هذا الدرس هو الحديث النبويّ الشريف: عن الزّبير بن العوام - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلّم -: (لأن يأخذ أحدكمْ حبله على ظهره فيأتي بحزمةٍ من الحطب، فيبيعها، فيكفّ الله بها وجهه، خيرٌ له من أنْ يسأل الناس أعطوه أو منعوه). أخرجه البخاري.

يطول الكلام ولا تنتهي الأمثال الشعبيّة المتقاربة بين الشعوب، ما يؤكّد من جديدٍ، فطرة البشر في حبّهم للخير، ونفورهم من الشرّ، وتطابقاً في مجالات اهتمامهم، وتأقلمهم مع مستجدّات الحياة واستفادتهم من تجارب الماضي، وإرث السّالفين، ولو تطرّقنا لمحتوى الأمثال الشعبيّة لدى أممٍ أخرى من غير أقاليم وطننا العربيّ، لوجدنا الكثير ممّا يشبه أحوالنا ومحاور اهتمام تفكيرنا، وتلك محطةٌ مضيئةٌ من خبرة أجدادنا الذين حفظوا لنا تلك الأمثال، لتكون إرثاً إنسانيّاً عابراً لحدود المكان وقرون الزمان، يجب أن نعتني بها ونعلّمها للأجيال الجديدة لتكون وتداً نثبّت به تراثنا وهويّتنا، وخيطاً نلتقي به مع وجدان الشعوب الأخرى، رغم تعدّد الأمصار واختلاف البلدان.

مصادر الدراسة:

- الأمثال الشعبيّة الشّاميّة/ نزار الأسود، مكتبة التراث الشعبي، دمشق 2008.
- الأمثال العامية/ أحمد تيمور باشا، دار الشروق، القاهرة 2012.
- المتوصّف/ عبدالله بن دلموك، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، دبي 2014.
- محاسن القصائد/ د. نايف معروف، دار المقتبس، دمشق 1992.
- مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمّدية/ السيد أحمد الهاشمي، دار ابن حزم، بيروت 2008.
- شبكة المعلومات الرقمية Google.

أنواع المباني الإغريقية

وفاء داغستاني
كاتبة - سوريا

كانت المسارح تقام في الهواء الطلق، وكانت تبنى في فجوة في التل، وكانت صفوف المقاعد المحفورة في الصخر مقسّمة إلى أقسام يفصل بينها ممر متسع، وأما المقاعد فكان لبعضها مساند خلفية من الحجر، بينما الآخر ليس له مسند، كما كان يوضع مقعد مميز في وسط الصف الأول، يُخصص لأكبر شخصية تحضر الحفل، كان له مسند خلفي، ومتكآن جانبيان، ومزين بالزخارف والنقوش، وعلى جانبيه مقاعد مخصصة للشخصيات البارزة التي ترافق الشخصية الكبرى.

وكان المسقط الأفقي للمسرح على شكل حدوة حصان، أما مكان وقوف فرقة التمثيل والموسيقى فكان على شكل دائرة. ويحتوي المسرح على أحد طرز الأعمدة الإغريقية.

قسم المسرح إلى مناطق متميزة، فقد كانت الأوركسترا، وهي مساحة الرقص، دائرية الشكل، وتنتشر المقاعد حول الأوركسترا حتى يتمكن الجمهور من رؤية الممثلين في الأسفل.

وللمسرح أبواب عدة للممثلين والجمهور، ومن أهم المسارح الإغريقية مسرح الإبيدوري Epidaurus ويتسع لـ14 ألف متفرج، بني عام 350 قبل الميلاد.

تنقسم الدرجات حلقياً إلى قطاعين؛ علوي وسفلي، يفصل بينهما ممر وسطي حلقي، القسم السفلي مؤلف من 12 قطاعاً، و13 درجاً، أما العلوي فيقسم إلى 22 قطاعاً و23 درجاً، أما منصة المسرح فهي دائرية الشكل بقطر 20 متراً، محاطة بقناة صغيرة لتصريف مياه الأمطار، وإلى جانبي المنصة سلالم تؤدي إلى الكواليس التي يزيد ارتفاعها على 4 أمتار، وبعمق 3 أمتار.

ومن أهم قواعد تصميم المسرح دراسة جيدة للرؤية والصوت، بحيث يتمكن الجمهور من السماع الجيد والرؤية الجيدة.

ويعتبر الإغريق أول من أوجد هذا النوع من البناء، وتم الاعتماد عليه في العمارة الرومانية، وحتى في العمارة الحديثة.

ثانياً- المعابد الإغريقية:

كان الإغريق يصنعون تماثيل الآلهة التي يعبدونها، والتي كانت لها قداسة عندهم، وللحفاظ عليها أقاموا لها المعابد.

وتعتبر هذه المعابد تراثاً خالداً للعمارة، وثروة معمارية مهمة، حيث تم إنشاؤها بدقة تامة، ومهارة فائقة، واعتنوا بمظهرها الخارجي، ونقش على جدرانها أدق الآثار وأبدعها، والمستوحاة من أساطير الآلهة التي شيدت لها.

شيدت على قاعدة تتكون من ثلاث درجات، والمعبد عبارة عن قاعدة مستطيلة الشكل، تحتوي على حجرة داخلية تسمى الهيكل، فيها تمثال الآلهة، كما احتوت

بعض المعابد الكبيرة على حجرتين أو ثلاث، ويحيط بالقاعدة رواق خارجي على جوانب مدخل المعبد الذي يكون عادة نحو الشرق، بحيث تتجه أشعة الشمس على تمثال الآلهة، ومدخل آخر مقابل المدخل الأول في الغرب.

تتميز المعابد الإغريقية بالبساطة، وكثرة الأعمدة الخارجية التي يحيط بها فضاء فسيح، حيث تمكن رؤيتها من جميع الجهات بالروعة والدقة والجمال نفسها، ومعظم هذه المعابد خالية من النوافذ، معتمدة على أشعة الشمس التي تدخل من الباب الشرقي.

استخدموا في بنائها الحجر الجيري أو الرملي، مع تغطية الجدران بطبقة من البياض، مكونة من مسحوق الرخام والجير، أما الأسقف فهي مائلة، ومصنوعة من الخشب، ومغطاة بالقرميد أو الرخام، ومن أقدم هذه المعابد معبد الآلهة هيرا Hira ملكة الآلهة في أولمبيا، ويرجع بناؤه إلى عام 600 قبل الميلاد على الطراز الدوري.

وقد اهتموا بتصميم واجهاته، كون طقوسهم الدينية كانت تقام أمام المعبد.

معبد البارثينون Parthinon:

يعتبر من أروع المعابد الإغريقية ذات الطراز الدوري قديماً وحديثاً، وأنشئ لعبادة الآلهة العذراء أثينا، عام 447 قبل الميلاد، زينت جدرانه بمناظر حفلات تاريخية.

بني على هضبة الأكروبولس في مدينة أثينا، على قاعدة مكونة من ثلاث درجات، ارتفاع كل منها 50 سنتيمتراً، وأعمدته رخامية ارتفاعها 10.5، وقطرها 1.99، ويتكون البناء الداخلي للمعبد من قاعدتين، تسمى القاعدة الأولى ناوس Naos وهي بيت الآلهة، والثانية صغيرة تحتوي على أربعة أعمدة أيونية، تحمل السقف، واستخدم هذا المعبد لأربع ديانات، هي الآلهة أثينا، وكنيسة، ثم كاتدرائية كاثوليكية، ثم مسجد تحت الحكم العثماني.

وأشهر المعابد على الطراز الأيوني معبد الأركيزون.

شيّد في الفترة ما بين 420 و393 قبل الميلاد، ويقع على هضبة الأكروبولس في أثينا شمال البارثينون، ويعتبر من الأمثلة الجميلة على الطراز الأيوني سداسي الأعمدة، ارتفاع كل منها 6.57 متر، وقطره 0.71 متر، وارتفاع الواجهة نحو 10 أمتار.

ومن أشهر المعابد على الطراز الكورنثي معبد ثولوس Tholos لم يستعمل الإغريق هذا النظام في المعابد إلا نادراً.

ثالثاً- المساكن الإغريقية:

كانت مساكن الإغريق تشبه القصور في ترتيبها العام، ويظهر ذلك في المخلفات والأطلال التي مازالت متبقية حتى الآن، وهي مكونة من طابق واحد، وتجتمع مرافقها حول الفناء الداخلي المقفول (وبه فتحة في السقف ليتسرب منها الدخان) من جهاته الثلاث، ويحتوي على أبهاء مكونة من أعمدة وغرف خاصة بالسكن واللوازم المنزلية، تم توجيه المسكن بحيث يستفيد في الشتاء لتوفير أكبر كمية من الشمس، وفي الصيف يتم حجب أشعة الشمس.

لم تكن هناك فروق واضحة بين مساكن الفقراء ومساكن الأغنياء، وكانت جنباً إلى جنب في المدينة، وأشهر هذه المساكن قصر الملك مينوس، كان مبنياً من الحجر، ومغطى بطبقة من الملاط الملون والمزخرف بأشكال أسطورية، أما الأعمدة فكانت على

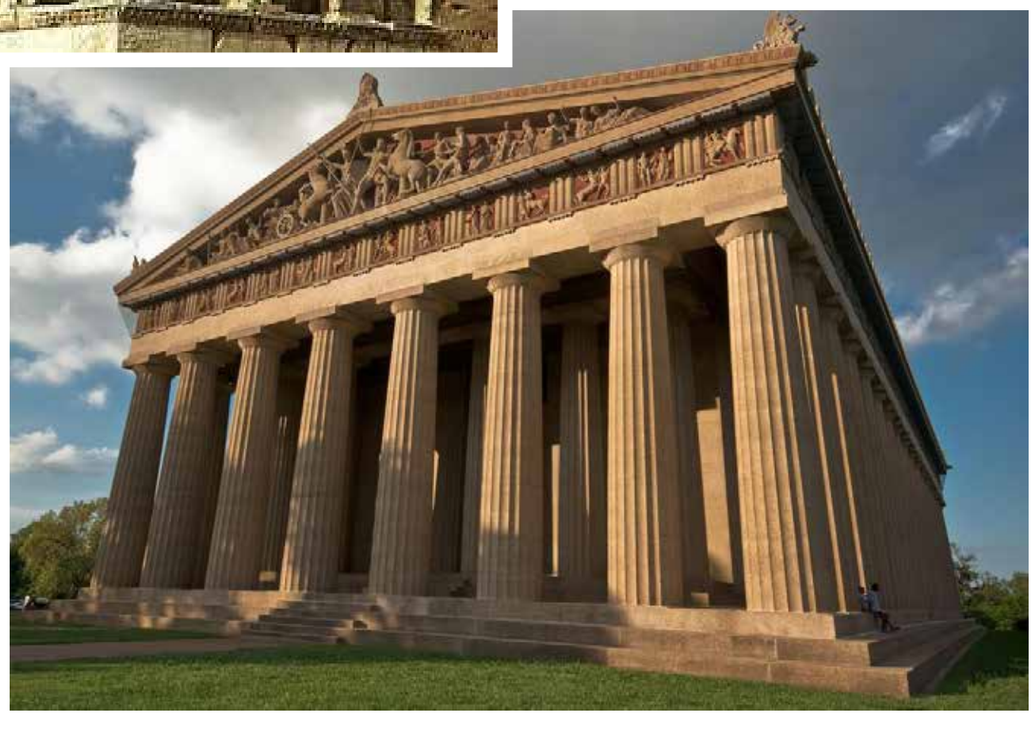

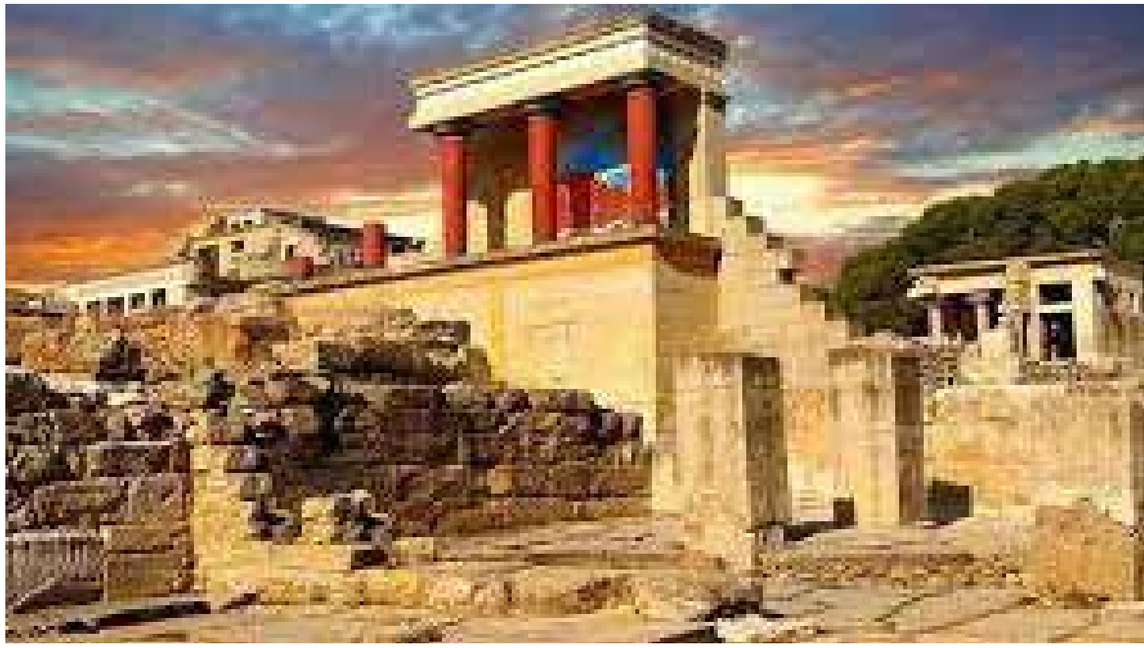

الطـراز الـدوري، والجـدران سـميكة، والمدخـل في جهـة الشـمال يحتـوي عـلى فـراغ مسـقوف تحملـه أعمـدة.

تصميم الواجهة الإغريقية:

تتكوّن بشكل عام من الأجزاء الآتية:

- القاعدة Crepidoma: وتتكون من ثلاث درجات أو أكثر
- العمود
- البدن.
- التـاج: ويتكـون مـن جزأيـن، القسـم العلـوي والقسـم السـفلي.
- السـقف المسـتوي: ويتكـون مـن الجـزء المسـتوي والإفريـز.
- الجملون العلوي.

رابعاً- المقابر والنصب التذكارية والبوابات وأبراج الرياح:

بنيـت عـلى الطـراز الكورنثـي، بالإضافـة إلى بنـاء القـلاع مثـل قلعـة تـيران مـن 1500 إلى 1300 قبـل الميـلاد، بناهـا الملـك مينـوس كمركـز حـربي للدفـاع عـن جزيـرة كريـت مـن القراصنـة، يحيـط بهـا سـور سـميك، ولهـا ثـلاث بوابـات مبنيـة

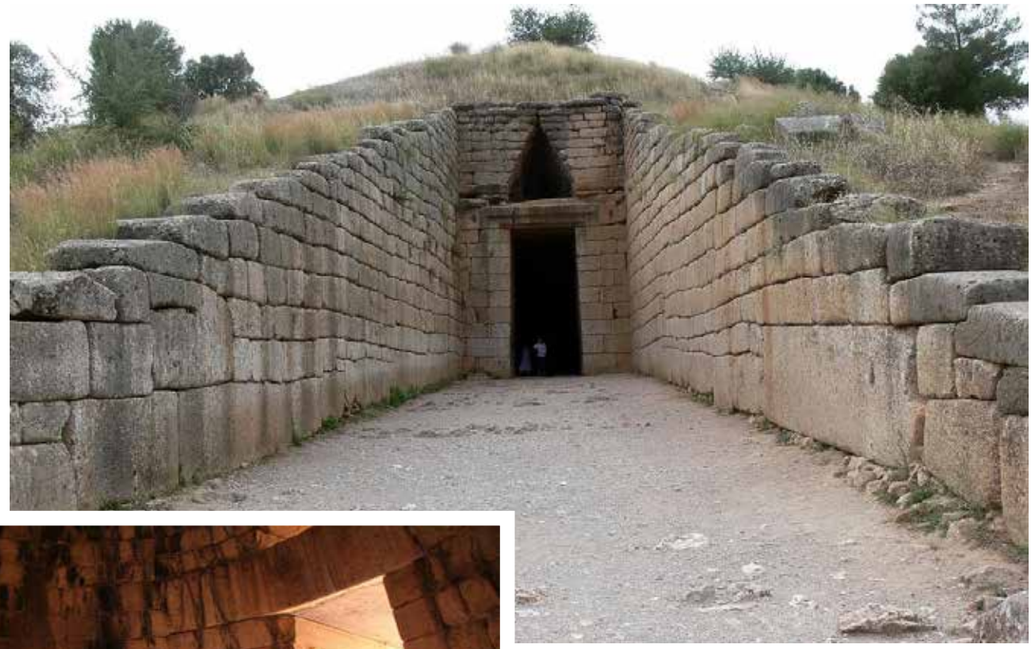

مـن الحجـر، ومجموعـة مـن الأعمـدة تحمـل سـقفاً جملونيـاً. قبـة خزنـة الملـك أنريـوس: تحتـوي عـلى بوابتـين ذات شـكل مسـتطيل شـاقولي، يعلـوه عنبـة وحفـر للتهويـة، أما الفـراغ الدائـري فتعلـوه قبـة مزخرفـة، والغرفـة محفـورة في الصخـر.

ميزات العمارة الإغريقية:

تأثرت بعمارة الشرق، وتستند إلى أصول مصرية قديمة، وفارسية وإيجية، كما تقوم على نظام هندسي دقيق في حساب الأبعاد والنسبة والتناسب، والإحساس بالتوازن، وقد استخدموا النسبة الذهبية، التي تعتبر أدق عمارة عرفها التاريخ بتصحيح خداع البصر في العمارة.

المساقط الأفقية بسيطة، والجدران سميكة، ومن دون مونة، وندرة في استعمال النوافذ، وقد احتفظت المعابد بشكل متطور بالبناء بالخشب، كما كانت صغيرة لا تزيد على غرفة أو أكثر، وزينتها من الخارج، أما الأسقف فمائلة بكمرات خشبية مغطاة ببلاطات من الرخام، مع استعمال الأعمدة باستمرار في الطرز الثلاثة، وكثرة استعمال الزخارف والتماثيل، وتلوين المباني بالبياض والدهان.

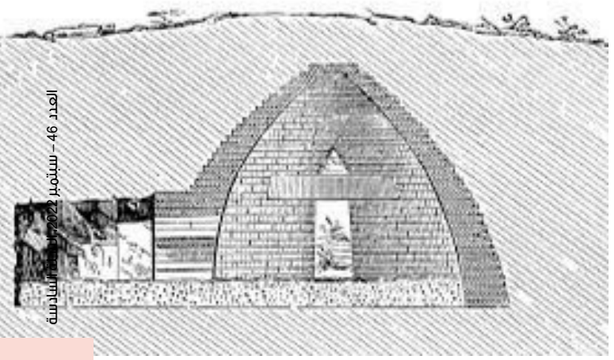

حفريات لغوية

في تراث الإمام ابن جني

د. هويدا صالح
كاتبة – مصر

إن من أعزّ ما يفخر به العرب ـ ضمن مواد فخارِهم ـ ذلك التراث الفكري العظيم الذي خلّفه السلف من مفكري وعلماء الأمة الأوائل، لكن مما يحزن أي باحث مهموم بالاطلاع على هذا التراث ومراجعته، وتبيان أوجه التميز فيه، أن جزءاً كبيراً من هذا التراث إما مفقود بسبب الأحداث التاريخية المؤلمة التي مرّت بها أمتنا العربية، كالغزو التتري الغاشم الذي قضى فيه التتر على نفائس الكتب والمخطوطات في مكتبات بغداد، وإما مفقود لأن كثيراً من مخطوطات تراثنا الجليل قابعة في بطون مكتبات العالم شرقه وغربه، أو لعدم العناية ببعض مخطوطاتنا التراثية عناية لائقة في بعض مكتباتنا العربية، التي تعاني إهمالاً فكرياً من قبل مسؤوليها قبل إهمالهم الحسّي لها.

هكذا يرى الباحث المصري عصام فاروق، وهو يقدم لكتابه «حفريات لغوية في تراث الإمام ابن جني»، الذي صدر مؤخراً عن دار رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة. يحاول الباحث أن يكشف فيه عن جانب مشرق من تراثنا العظيم، من خلال الكشف عن تراث واحد من أهم اللغويين، ليس على مستوى عالمنا العربي فقط، بل على مستوى العالم كله، فالإمام ابن جني (392 هـ) من كبار اللغويين العرب، الذي تردد اسمه في ثنايا مؤلفات كثير من العلماء ـ من نهاية القرن الرابع الهجري إلى اليوم، تكراراً واضحاً لا تخطئه عين، وتظل كلماته وآثاره وآراؤه أطراً تطبيقية لكثير من الدراسات المعاصرة والرسائل الجامعية، التي قد لا يحصيها العد، ولا يوقفها مرور الزمن.

يرى الباحث عصام فاروق أن اعتماد الباحثين على المناهج النقدية الحديثة في مقاربة تراثنا العظيم مقبول ومشروع، فهو ليس ممن ينكر ضرورة الإفادة من مستجدات العصر، والنظريات التي تعمل على الارتقاء بالدرس اللغوي العربي الحديث، بشرط ألا يصرفنا ذلك عما في تراثنا من نظريات تكاد تكون سباقة وفريدة، لكنها تحتاج إلى من يجلي معدنها الأصيل، ويسبر أغوارها، مستعيناً بما يراه مناسباً من مناهج وآليات غربية كانت أو عربية، قديمة كانت أو حديثة.

ومع ذلك يرى الباحث أنه يفضل مقاربة تراثنا من خلال تلك النظريات اللغوية المطمورة في ثنايا مؤلفات علمائنا على اختلاف مجالاتهم المعرفية، والتي من الممكن أن تكون في حاجة إلى إكمال أو استدراك. فهو لا يرى ذلك عائقاً أمام تلك المهمة، ولا يعد نقصاً فيما قدمه القدماء، بل هي الحركة الدائبة للتطور العلمي عبر العصور؛ فالنظريات الحديثة نفسها يُستدرك عليها، كما تترك كلية أحياناً؛ لاستحداث ما هو أفضل منها.

ومما يدل على عظمة تراثنا الفكري أنه كان ملهماً لكثير من الأمم الأخرى، ونبراساً يضيء الدرب لركب الحضارة، حيث يشهد المنصفون من المستشرقين بسبق العرب في كثير من المجالات، ومنهم الفرنسي جوستاف لوبون، الذي يرى في كتابه «حضارة العرب»، الفضل العظيم للتراث العربي، وتأثيراته الكبيرة في الحضارة الأوروبية الحديثة، حيث يقول في معرض حديثه عن تأثير العرب في الغرب علمياً وأدبياً: «نثبت

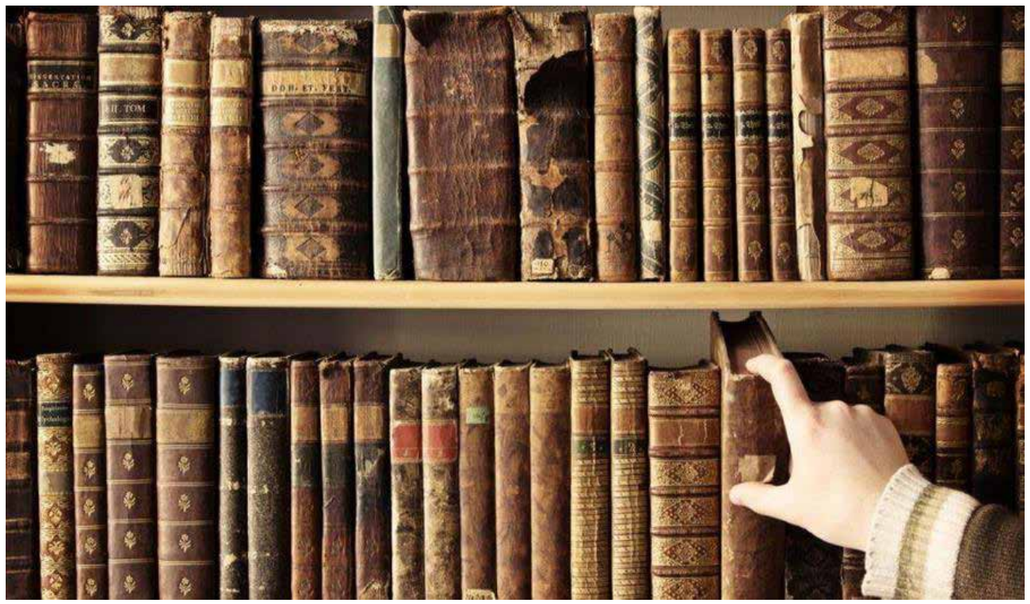

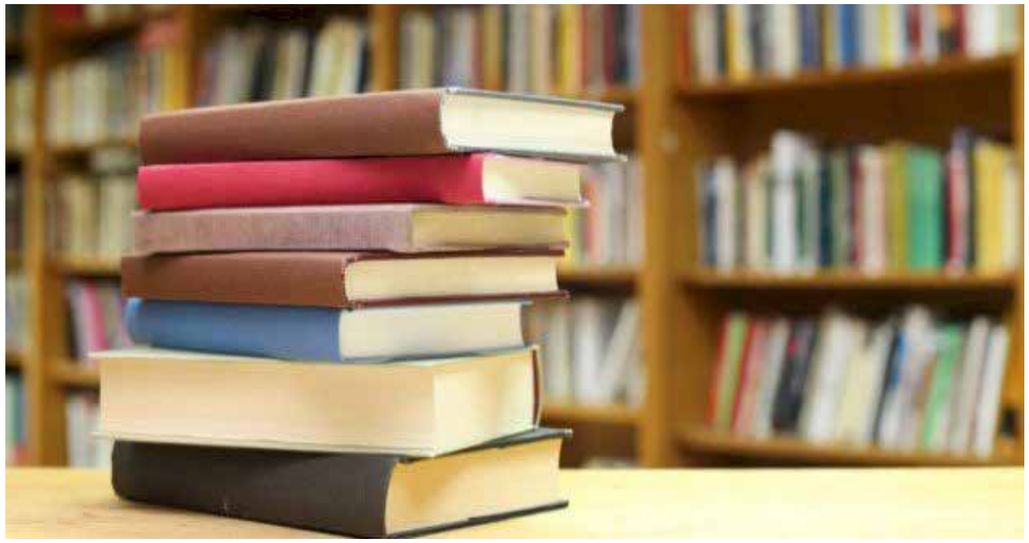

الآن أن تأثير العرب في الغرب عظيم أيضاً، وأن أوروبا مدينة إلى العرب بحضارتها».

كما ينقل لوبون رأي مسيو ليبري: «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ، لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب قروناً عدة».

ولأن الكاتب آثر أن يعنون كتابه بـ«حفريات»، بما للكلمة من مدلول الحفر والتنقيب والتمحيص، وكأنه يحاول أن يخرج أثراً مادياً نفيساً طمر تحت تراب الأرض، فيخبرنا أنه أفاد في تشكيل بنية العنوان من الباحث والمفكر المغربي محمد عابد الجابري، في بحثه «حفريات في المصطلح ـ مقاربة أولية»؛ لأنه وحسبما يقول الباحث «أعتقد أن السبب في هذا الانطباع الغرابة التي أخذتني عند قراءته للمرة الأولى، ولتصويره العناء الحسي المصاحب للكلمة في مجال البحث العلمي، حينما يكون موضوع البحث صعباً، واستخراج نتائجه اكتشافاً مميزاً».

قسّم الباحث كتابه إلى خمسة أبحاث، جاء القسم الأول تحت عنوان «حد اللغة عند ابن جني، عمقه التراثي، وامتداداته المعرفية»، وفيه ناقش تأثيرات هذا الحد الذي وضعه ابن جني للغة في الفكر العربي، من خلال ترديده في كثير من المصنفات المعرفية ـ اللغوية والشرعية بوجه خاص، وعبر أزمنة عديدة وبيئات مختلفة.

وبحث فيه فاروق عن أسباب هذا التأثير الواضح لهذا الحد، فخرج «بعد أسباب قد يضاف إليها أخرى إن أردنا التوسع». كما بين الباحث مظاهر توظيف هذا الحد، في المجالات المتعددة التي قد يبدو بعضها بعيداً عن مجال اللغة، ما بين اختياره وحده تعريفاً للغة، خالياً من شرح أو تفصيل، واختياره ضمن تعريفات أخرى للغة دون تفضيل أحدها، أو مع تفضيله، واستعماله مدخلاً لقضية ذات صلة باللغة، أو استشهاداً على مسألة ما أو لهدف تأصيلي يرتبط بعناية علماء العربية بفلسفة اللغة، أو لهدف نقدي، يعمل أصحابه على الانتقاص من أهمية هذا التعريف ومكوناته.

أما في القسم الثاني، وقد منحه عنوان «من قوانين التطور الصوتي في التراث اللغوي لابن جني ـ دراسة وصفية»، وقد ناقش فيه مدى توافر الإحساس بأن ثمة وجوداً لما أطلق عليه المحدثون (التطور الصوتي)، وقوانينه: (قانون المماثلة، وقانون المخالفة، وقانون السهولة والتيسير، وقانون المبالغة في التفصح، وقانون الأصوات الحنكية)، والألفاظ والتعابير المستعملة في تراث ابن جني للدلالة على تلك القوانين.

كما ناقش مدى توظيف هذه القوانين في تفسير الظاهرة اللغوية العربية في مستواها الصوتي، تأصيلاً، أو تفسيراً، أو تدليلاً.

أما في القسم الثالث، وهو بعنوان «آثار ابن جني اللغوية في كتب التفسير، دراسة في أهميتها وامتدادها وتوظيفها»، وقد ناقش فيه الباحث أهمية آثار ابن جني اللغوية في كتب التفسير، ومدى امتدادها ووجودها في مجال تتنوع فيه المؤلفات، بحسب عقدة المُفسّر من جانب، والمدرسة التفسيرية التي ينتمي إليها من جانب آخر، ويبحر البحث بين أمواج التفاسير في القرون الهجرية المتلاحقة؛ سعياً للإجابة عن جملة من الأسئلة منها:

متى بدأ نقل المفسرين لآثار ابن جني اللغوية، وهل لهذه الآثار حدود في التفاسير الحديثة، وما أهمية تلك الآثار، وكيف وظفها المفسرون على اختلاف توجهاتهم؟

ثم يأتي القسم الرابع «آثار ابن جني في المعجمات العربية، دراسة في امتدادها وتوظيفها»، حيث سعى فيه الباحث إلى الوقوف على آثار ابن جني اللغوية، لكن في مجال المعجمات العربية التي تلت عصره، ساعياً إلى رصد مدى هذا التأثير، وأسبابه، وكيفية توظيف هذه الآثار لابن جني في الصناعة المعجمية العربية؛ لينهض دليلاً ضمن أدلة كثيرة على ريادة هذا العالم الفذ، ومدى تأثيره في الأجيال التالية، ومؤلفاتهم، وبما يعزز الحديث عن مركزيته في الدرس اللغوي العربي متقيداً في هذه الدراسة بما ورد منسوباً إليه من أقوال واستشهادات في المعاجم العربية المتنوعة.

في القسم الخامس «لماذا لم يُصنف ابن جني معجماً؟ قراءة تأملية»، سؤال طرحه الباحث معتمداً على تركيب الشواهد والأسباب لمحاولة الإجابة عن هذا السؤال المحيّر، فمن المعتاد أن يسأل الباحثون عن مقاصد تأليف الكتب، قائلين: لماذا ألّف فلان كتاب كذا؟ وما أهدافه ومبرراته؟ لكن الباحث سأل السؤال بطريقة عكسية: لماذا لم يصنّف ابن جني كتاباً، خاصة وهو يستجلي الحركة المعجمية في القرون الخمسة الأولى من الهجرة المباركة، وإلى خلو المكتبة العربية من معجم يحمل اسم ابن جني وهو أحد أعلام الفكر العربي بوجه عام؟

ويرى الباحث أن من الأسباب التي منعت ابن جني من تأليف معجم، رغبته في أن يتمايز ولا يقلد الآخرين، حتى ولو كانوا أساتذته أنفسهم ـ وهو ما ظهر بوضوح في تفرد (خصائصه) ـ على سبيل المثال ـ عن التأليف اللغوي في هذا العصر، الذي كان يعتمد على الجمع والترتيب؛ وحتى لا يكون عمله تكراراً لأعمال سابقيه، فأحجم عنه. كذلك الاشتغال بجوانب أخرى، لعله اعتقد أهميتها مقارنة بالتأليف المعجمي، ومن هذه الجوانب التقعيد اللغوي، وبيان فلسفة اللغة وخصائصها وسماتها، وشرح الدواوين. والكشف عن علاقة اللفظ بالمعنى، وهو ما يفسر نتاجه المتعدد في هذه الشروح وغيرها.

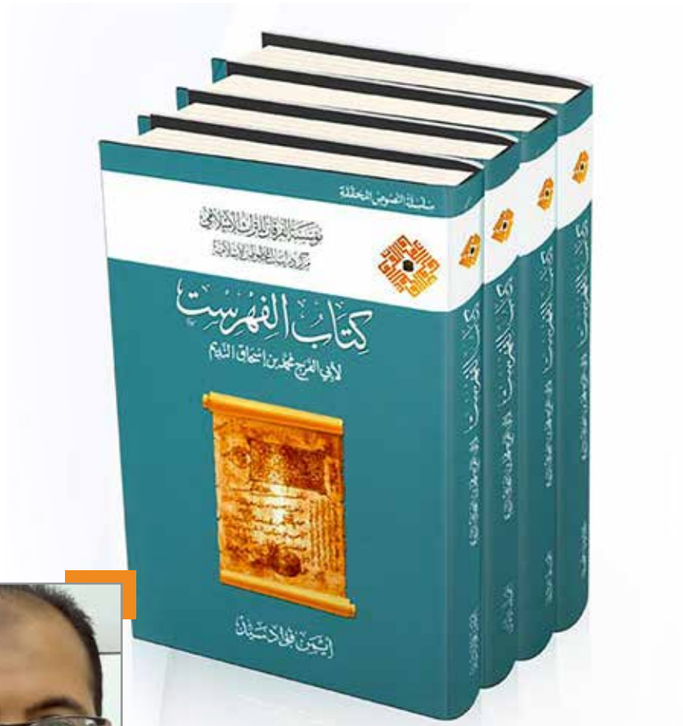

المراجع البيبليوغرافية للتراث العربي الإسلامي

أحمد سليم عوض
كاتب - مصر

يعد التنظيم البيبليوغرافي للمؤلفات من الأعمال القديمة العهد. وقد أعطى العرب المسلمون هذا الموضوع جلّ رعايتهم واهتماماتهم. ويعد «فهرست» ابن النديم، هو أول عمل ببليوغرافي كامل في اللغة العربية.

ويكاد ينصرف اهتمامهم في دراسة تاريخ هذا العلم وتطوره على أيدي المسلمين إلى أعمال بعينها، تمثل علامات بارزة على الطريق الطويل الذي قطعه التجميع البيبليوغرافي عبر عشرة قرون كاملة، ابتداء من «فهرست» ابن النديم، ومروراً بـ«مفتاح السعادة» لطاشكبري زادة، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة، ووصولاً إلى «إيضاح المكنون» و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي، وانتهاءً بـ«معجم المطبوعات العربية والمعربة» ليوسف سركيس.

ولكن نقطة البدء في تاريخ هذا العلم تحتاج إلى وقفة متأنية، فكتاب «الفهرست» بصورته التي وصلت إلينا يتضمن حصراً لكل ما ألّف في العربية، وكل ما ترجم إليها في مختلف فروع المعرفة حتى عام 377 للهجرة. ومن جانب آخر، تؤكد مصادر التراث العربي أن ثمة أعمالاً ببليوغرافية فردية فتحت الطريق منذ وقت مبكر، إلى التجميع الببليوغرافي الشامل الذي تمثل في كتاب «الفهرست». وعلى رغم أن تلك المحاولات السابقة كانت واضحة الأهداف والغايات، إلا أنها لم تتم بالقدر نفسه من الوضوح في مناهجها وطرق تجميعها وترتيبها، فمعظمها كان يكتفي بذكر عناوين الكتب، كما في قوائم مؤلفات الشافعي، وجابر بن حيان، وابن مسعود العياشي، وبعضها كان يحصي عدد أوراق الكتب، كما هي الحال في قائمة مؤلفات داود بن علي، بينما كان البعض الآخر ينص على عدد الفصول أو المقالات في كل كتاب، كما في مؤلفات أبي بكر الرازي. ومما لا شك فيه أن ابن النديم أفاد من هذه البواكير البيبليوغرافية، وبخاصة فهرست جابر بن حيان، المتوفى سنة 200 هـ، الذي جمع فيه قائمتين ببليوغرافيتين، إحداهما بمؤلفاته عموماً، والأخرى

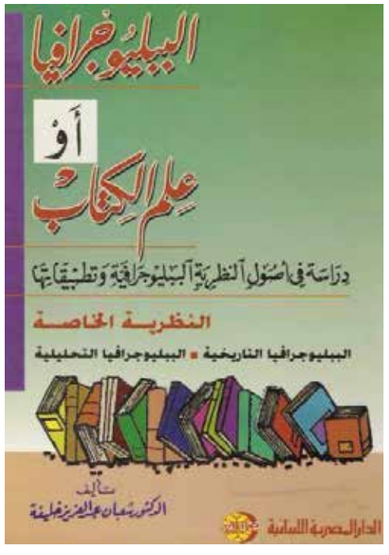

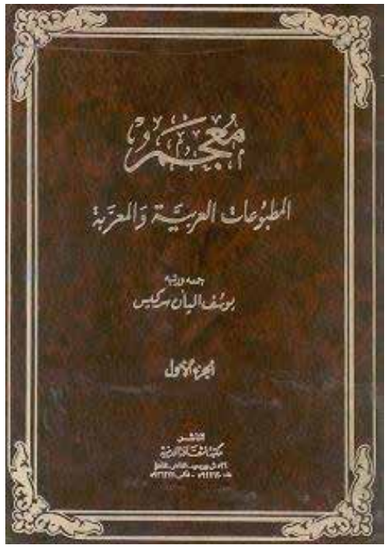

بمؤلفاته في الكيمياء بصفة خاصة، وكأنما أحس جابر، في ذلك التاريخ البعيد، بأن نوعية قرّاء مؤلفاته الكيميائية تختلف عن نوعية قراء مؤلفاته في العلوم الأخرى، فجمع قائمة بمؤلفاته على إطلاقها، وبجانبها قائمة أخرى متخصصة، وذلك سبق ببليوغرافي ينبغي أن يسجل لصاحبه بكل تقدير وإعجاب. والطريقة التي أورد بها ابن النديم مؤلفات جابر، والنص الذي نقله عن فهرسته، يؤكد أنه ذكر مصنفات جابر بترتيبها نفسه في ذلك الفهرست. ونستطيع أن نلاحظ على ببليوغرافيات تلك الفترة أنها كانت تعالج أفراداً لا موضوعات، وأن المؤلفين كانوا هم الذين يقومون بجميع قوائم مؤلفاتهم في بعض الأحيان، وكان تلاميذهم يتولون هذا العمل في معظم الأحيان. ومن الأعمال التي أفاد منها ابن النديم كذلك، فهرست مؤلفات الجاحظ، التي أوردها في أول كتابه «الحيوان»، كما أفاد من كتب التراجم المختلفة مثل كتاب «مراتب التموين» لأبي الطيب اللغوي، الذي أورد فيه مصنفات النحاة واللغويين الذين ترجم لهم، وكتاب «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جلجل، الذي حشد فيه ترجمات مؤلفات كل من ترجم لهم من الأطباء، وألّفه في

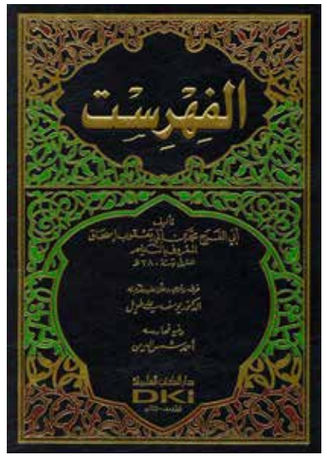

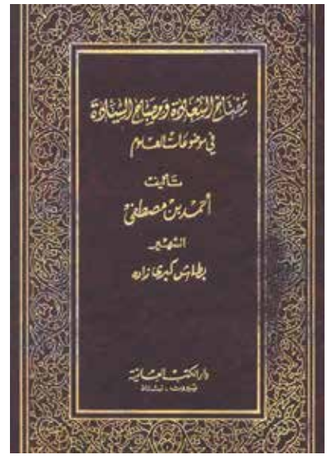

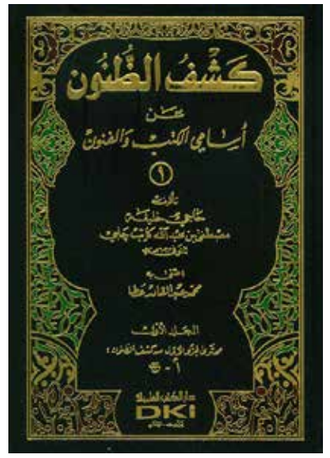

السنة نفسها، التي ألّف فيها ابن النديم كتابه. وهكذا كان كتاب «الفهرست» تتويجاً لهذه المرحلة الأولى في مراحل تاريخ علم الببليوغرافيا عند المسلمين، بعد أن تجاوزت المؤلفات الببليوغرافية حدودها القديمة، وخضعت فيه للتنظيم والتبويب العلمي والمنهجي. وعلى حد وصف الدكتور عبدالستار الحلوجي، أستاذ علم المكتبات في جامعة القاهرة في بحثه القيّم عن كتاب فهرست ابن النديم، «إنه إذا كانت الأعمال الببليوغرافية السابقة بمثابة الفصل التمهيدي لقصة الببليوغرافيا عند المسلمين، فإن فهرست ابن النديم كان بحث هو الفصل الأول من فصول هذه القصة الطويلة التي امتدت وقائعها على مدى زمن يجاوز الألف عام». والآن يبقى لنا الحديث عن كتاب «الفهرست» ذاته الذي احتل هذه الشهرة الواسعة بين أوساط الباحثين والمهتمين بالتراث العربي. يبدأ الكتاب بمقدمة موجزة يحدد فيها المؤلف مجال بحثه، فيقول: «هذا فهرست جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب، وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابها، وتاريخ مولدهم ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم ومنافعهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا». وبعد تحديد الإطار العام للكتاب، يقدم ابن النديم قائمة محتويات من عشر مقالات تختص كل منها بموضوع معين، فهناك مقالة للنحويين واللغويين، وأخرى للشعر والشعراء، وثالثة للكلام والمتكلمين، ورابعة للفقهاء والمحدثين، وخامسة للفلسفة والعلوم... وهكذا. تتفرع المقالات العشر الرئيسة بدورها إلى فنون يتفاوت عددها من مقالة إلى أخرى، وفي كل فن يذكر ابن النديم أصحاب المؤلفات فيه، وتحت كل مؤلف يكتب ما صنّفه من الكتب من دون أن يخضع المؤلفين أو المؤلفات لأي نوع من الترتيب هجائياً كان أو زمنياً، فكان المبدأ العام الذي يحكم هذا الترتيب هو الشهرة، فنراه يبدأ بالأشهر فالأقل شهرة. وتتجلى الرؤية الببليوغرافية عند ابن النديم في مظاهر عدة، منها حرصه على تحرير الكتب التي رآها بنفسه، والكتب التي سمع، أو قرأ عنها. وكان ابن النديم يحدد أحجام الكتب التي رآها، مع إعطاء أوصافها وملامحها البارزة، ويضيف إليها أحياناً تقويماً موضوعياً، ويحدد أصيلها من منحولها. وفضلاً عن ذلك كان يستعمل ما يعرف الآن بالإحالات، فهو حين يذكر كتاباً أو شخصاً ما في موضعين من الكتاب، يشير في أحد الموضعين إلى

أن ذكره ورد في موضع سابق أو لاحق تجنباً للحشو والتكرار.

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لم يصلنا كاملاً، إلا أنه يظل عملاً ببليوغرافياً عملاقاً ورائداً في تراثنا العربي، وحسبه أنه أول منارة تلقانا على طريق الأعمال الببليوغرافية في اللغة العربية، وأشمل وثيقة تبين لنا ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العلمية في عصر من أزهى عصور حضارتهم، ولولاه لضاعت منا أسماء الكتب وأوصافها، كما ضاعت الكتب نفسها.

وتعد كلمة ببليوغرافيا في الوقت الحاضر من الكلمات الواسعة الانتشار، حيث تستخدم من قبل المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات في معظم دول العالم. كما أصبحت كلمة ببليوغرافيا مصطلحاً معرباً راسخ الاستخدام من قبل كل المؤتمرات والمنظمات المتخصصة والباحثين في مجال المكتبات والمعلومات في الوطن العربي. وتستخدم طرق عديدة في ترتيب الببليوغرافيا؛ أي ترتيب المواد داخل العمل الببليوغرافي، وهي (الترتيب الهجائي الترتيب الزمني، الترتيب الجغرافي، الترتيب الشكلي، الترتيب وفقاً لمؤسسات النشر).

وقد جاءت أصلاً من اللغة اليونانية، وهي مركبة من كلمتين هما: Biblion كتيب، وهي صورة التصغير للمصطلح Biblio بمعنى كتابة، وكلمة Graphia وهي اسم الفعل المأخوذ من Grapheia بمعنى ينسخ أو يكتب، وقد أخذتها اللغة اللاتينية، ومنها إلى اللغات الأوروبية الحديثة، كما هي دون تغيير المصنف. وتتميز الببليوغرافيا باتساع التغطية وباشتمالها على مصادر المعلومات الرئيسة، ويفيد علم الببليوغرافيا في معرفة النصوص المطبوعة لكل زمان ومكان، وتوفير المعلومات في كل نواحي المعرفة الإنسانية. وتهيئة المادة وتيسير طرق للوصول إليها، والتعريف بأماكن المطبوعات ومضامينها. وتوفير المادة الأساسية للقيام بدراسات، وحفظ الإنتاج الفكري وتصنيفه وتوثيقه وتعريفه. والتمكن من التعرف إلى مظاهر تطور ثقافة مجتمع ما؛ لأن الثقافة مرآة المجتمع، ونشر الإنتاج الفكري على أوسع نطاق. تدل الباحث على مصادر خاصة بموضوع بحثه عبر كل الامتدادات التي يرغب فيها زمانياً ومكانياً ولغوياً وموضوعياً. وتساعد الباحث على الاختيار والانتقاء المصادر التي يرغب فيها، كما ترشده إلى مصادر لم تخطر بباله. وتمكن الباحث من التحقق من معلومات معينة، والعمل على استكمالها أو تصحيحها، كما تعدّ الببليوغرافيا مصادر المعلومات، وهي توفر الجهد والوقت والتكاليف، ومن ثم يمكن للدارس إنجاز بحثه بشكل أسرع وأشمل، وأكثر دقة وكفاءة.

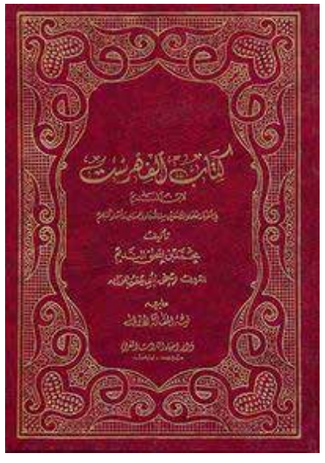

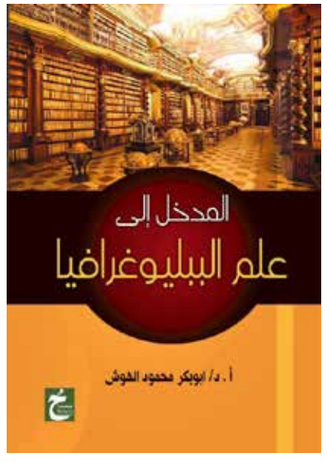

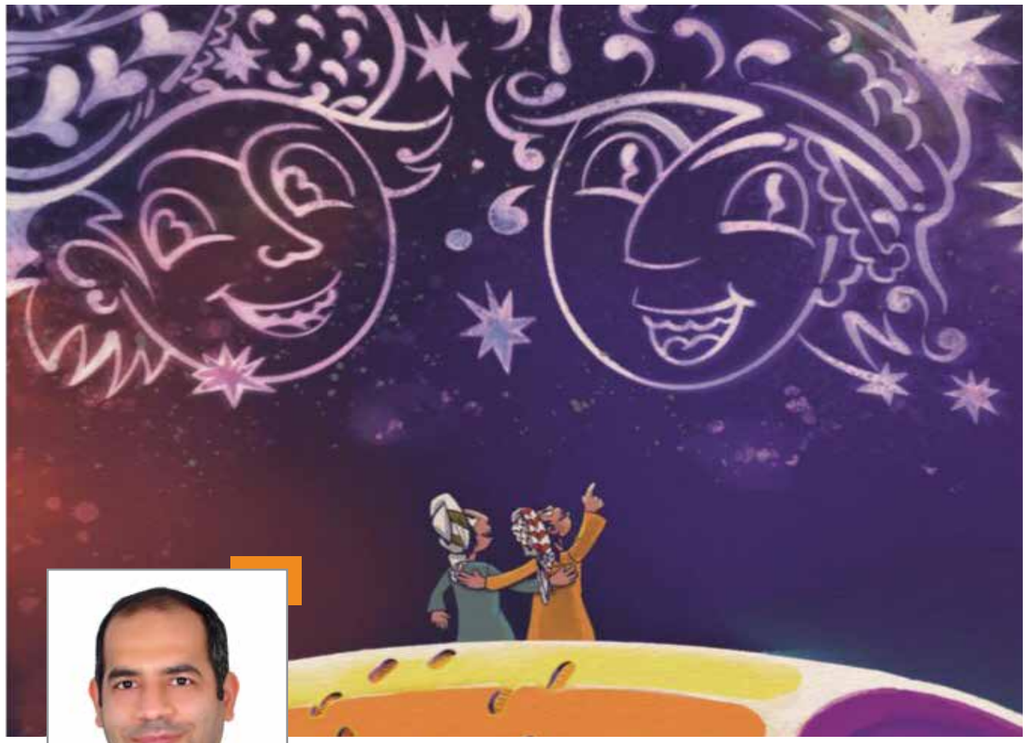

رحلة الصعود من عتبة العلم إلى روح الفلسفة

قراءة في قصة «درب مليحة» للكاتب إبراهيم سند

حسين خليل نصيف
كاتب - البحرين

في فترة الإغلاق التي رافقت تفشي فايروس كورونا، لم نكن نستطيع أخذ الأطفال إلى الحدائق، ولم يكن أمامنا إلا سطح المنزل، فكنت آخذ طفلتيَّ إلى السطح، ونبدأ بمشاهدة القمر، حتى تعرفت ابنتي الصغرى إلى أطوار القمر بشكل مباشر، ثم نلعب لعبة من يجد «الثريا» أولاً، وكم هي رائعة تلك اللحظة التي يصرخ فيها أحدنا: (وجدتها)!

إبراهيم سند

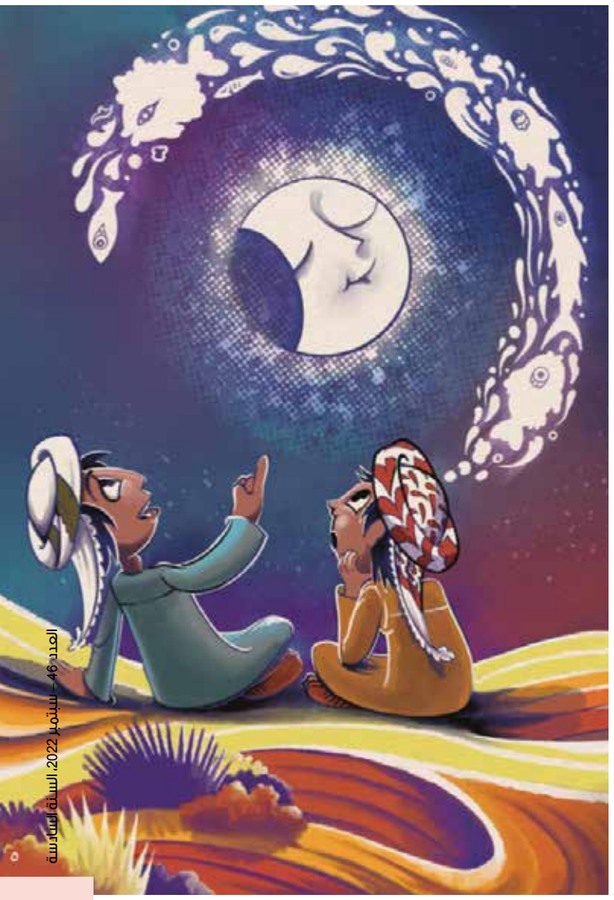

في بعض الليالي تكون مهمة البحث عن النجوم أكثر صعوبة، خصوصاً مع تسلل ضوء الشارع المحاذي لبيتنا، وهو ما يدعو إلى التفكير في مدى تأثير التلوث الضوئي في حياتنا، حتى بتنا نسمع هذا السؤال تكراراً: متى آخر مرة نظرت فيها إلى السماء؟

تأتي قصة «درب مليحة» للكاتب البحريني إبراهيم سند، كقصة ليلية، حتى وأنت تلاحظ لوحات القصة ستجد أنها ترتدي اللون البنفسجي الغامق. إذاً، القصة هي دعوة لاكتشاف ما في الليل من سحر، وأفضل مكان لتجلي هذا السحر هو الصحراء.

القصة تجري في صحراء مليحة، وهي إحدى المناطق الأثرية في إمارة الشارقة، وهي مدينة يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وتم ترشيحها كموقع للتراث العالمي من قبل منظمة اليونسكو.

كل ذلك دعا المسؤولين في مبادرة «1001 عنوان»، وبالتعاون مع «الشارقة عاصمة عالمية للكتاب»، لاختيار هذه المنطقة الصحراوية لتكون مكاناً مناسباً لخلوة إبداعية في العام 2020، يشارك فيها عدد من الكتّاب والروائيين والفنانين، ليخرج كل واحد منهم بنتاج خاص من وحي المكان.

وكما في القصص التاريخية، فإن الناس ينتظرون بفارغ الصبر متى يخرج الحكيم من مغارته وخلوته، لينطق بحكمته التي انكشفت له.

وهذه القصة هي ما خرج به كاتبنا من خلوته في صحراء مليحة.

العنوان المتكون من كلمتين «درب مليحة» يحيل مباشرة إلى اسم مجرتنا (درب التبانة) من جهة، وإلى اسم المنطقة الأثرية، وهي (مليحة).

وهنا يمكن الإحساس بلمسة إبداعية، بمزج ما هو أرضي بما هو سماوي، أو رسم هذا الارتباط اللامرئي بين العالمين المختلفين.

يمكن تصنيف القصة على أنها من القصص العلمية، التي تتناول موضوع القمر والنجوم والأبراج السماوية، وفي سبيل توضيح ذلك، تم توظيف الأساطير القديمة التي دارت حول النجوم.

وظلت النجوم، على مرّ تاريخ البشرية، مادة ثرية

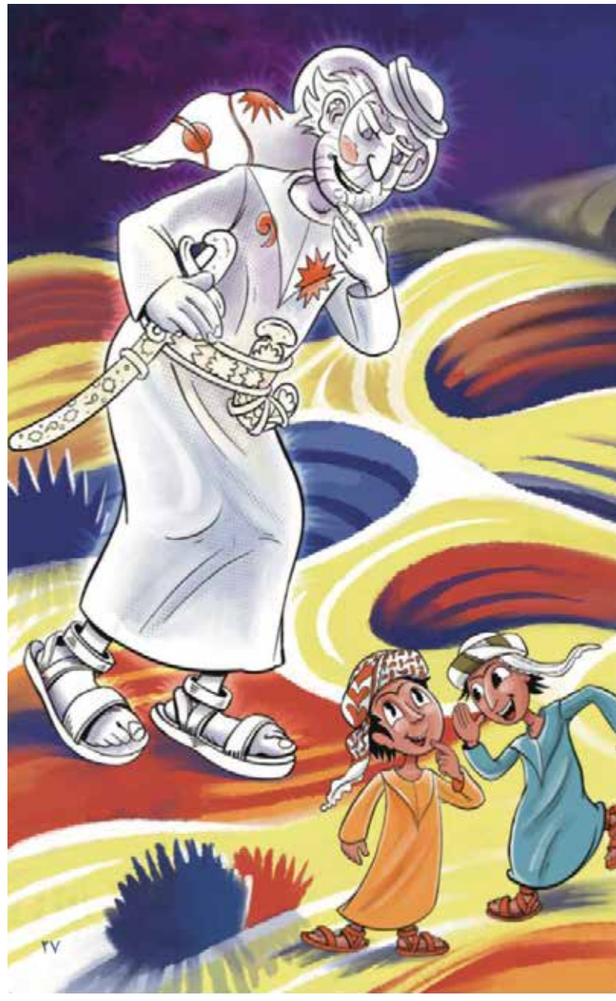

مجموعتا الكلب الأصغر والكلب الأكبر)، وأثناء تجواله في الغابة، يصادف الشقيقات السبع، (هي النجوم السبع المتجاورات المعروفة باسم الثريا)، وقد أُخذ بجمالهن، فصار يلاحقهن في الغابة، وعندما كاد يدنو منهن، قام زيوس (ملك الآلهة وفق الأسطورة اليونانية القديمة) بتحويلهن إلى سرب من الحمام، حيث تمكنَّ من الهرب من الجبّار والطيران إلى السماء ليصبحن نجوماً.

واللافت في قصة «درب مليحة» أن الكاتب قام بإعادة تخيل هذا البطل الأسطوري (الجبار)، وصبغه بصبغة محلية خليجية، في عملية إعادة تخييل جديدة؛ لذلك نجده في القصة بطلاً يرتدي الزي الخليجي من ثوب وغترة وعقال، ويمتشق سيفاً، ويلف حول خصره حزاماً مجللاً بخنجر.

وبما أن الأسطورة هي خيال، وإن كانت من وحي بيئة خاصة، كأن تكون إغريقية أو يونانية، إلا أن إعادة تخيلها من جديد، وفقاً لبيئة مختلفة، يمكن النظر إليه كإبداع جديد.

وكذلك فعل بنجمات الثريا التي صورها كفتيات جميلات يرتدين لباساً أقرب إلى الزي النسائي الخليجي.

القصة تدور حول ولدين هما سيف وصقر، يتنزهان في صحراء مليحة، وما إن يهبط الظلام حتى يبدأا في رحلة من نوع آخر، رحلة التأمل، وفي هذه الرحلة تهبط عليهما المجموعات النجمية على شكل كائنات حية، لتدور أحداث مشوقة بين جميع هذه الأطراف.

وهنا أود أن أقرأ القصة من زاوية رحلة الصعود؛ أي اعتماد الكاتب على الجانب العلمي كعتبة للصعود إلى عوالم فلسفية واجتماعية.

وكما أنه عند الصعود على السلم تكون النتيجة النهائية هي الهدف، إلا أن الرحلة ذاتها هي هدف أيضاً.

فلنضرب أمثلة من القصة على هذه الرحلة.

عندما يسأل سيف وهو ينظر إلى القمر: «ماذا لو فقدتِ الأرضُ قمرها؟»،

في هذا السؤال نحن نقف على العتبة العلمية، واللافت أن الكاتب يصيغ الأفكار العلمية بأسلوب أدبي محبب، فهو استخدام الفعل (فقدت) المملوء بالمشاعر والأحاسيس، وأضاف الضمير المتصل (ها) إلى القمر، وكأننا أمام حالة شاعرية في الوقت ذاته الذي نكون فيه أمام حالة فيزيائية.

صديقه صقر سيجيب عن سؤاله بطريقة علمية: «سوف تتوقف حركة المد والجزر، وتهاجر الأسماك بعيداً عن السواحل».

بعدها تبدأ رحلة الصعود إلى الأعلى، والانتقال من العلمي إلى النفسي، ثم إلى الفلسفي، لنجد أن الحوار بين الصديقين يأخذ شيئاً فشيئاً صبغة مختلفة: «عندما تفقد الأرض قمرها، ستصبح السماء شديدة السواد.. وسيفقد الناس الحب والحنان.. وتتجمد أحاسيسهم ومشاعرهم.. وسيصاب الناس بالاكتئاب، وستمتلئ المستشفيات بالمرضى، وستنتاب الناس حالة من الخوف والفزع، وستصل بهم الأمور إلى التفكير في الهجرة إلى كواكب أخرى..».

هذا الأسلوب في الكتابة يحمل مقولة مهمة، وهي أنه علينا أن ندرب أذهاننا على محاولة فهم الصورة العميقة لأي حالة، من خلال رصد سلسلة الأسباب والمسببات، فأي ظاهرة اجتماعية أو نفسية أو سياسية، لها أسبابها المتعددة، ولها نتائجها على أكثر من صعيد. إلقاء اللوم على سبب وحيد، وتحديد النتائج في إطار واحد، هو طريقة تفكير غير مجدية.

وفي مقطع آخر، عندما يدور الحوار عن المجموعات النجمية يقول الرجل الجبار: «كل مجموعة منا تمثل فرقة موسيقية كاملة.. إن استبعدتَ عازفاً واحداً لا تكتمل المقطوعة الموسيقية». ولك أن تتساءل: كيف انتقل الكاتب من مستوى الفكرة الفيزيائية حول المجموعات النجمية، وانسجامها وعدم تصادمها، إلى مستوى الفكر والثقافة وعلم الاجتماع، بحيث يدعو وبشكل غير مباشر إلى أن المجتمعات لا يمكن أن تتكامل عند استبعاد أحد أطرافها، وأن كل طرف له دور مهم يؤديه، ولا يمكن الاستغناء عنه.

ليقول «الميزان» الذي يمثل الحكمة والعقلانية: «كل نجم وكوكب يختلف عن الآخر، لكننا نشكل عائلة كبيرة..».

كلمة «عائلة» في النص، أعادتني إلى نصوص سابقة قرأتها للكاتب وتكررت فيها هذه الكلمة، ففي إحدى قصصه هناك «عائلة النجوم»، وفي أخرى «عائلة الأسماك» أو «عائلة الطيور».. وكأن الكاتب ومن دون تخطيط لاستعمال هذه المفردة، يعيش مشاعر خاصة تجاه المجتمع البشري، وينظر إلى البشرية جمعاء كعائلة واحدة، تجمع كل المختلفين، من دون طمس الهويات، ولا تغليب هوية على أخرى، كلنا عائلة واحدة تعيش على كوكب واحد.

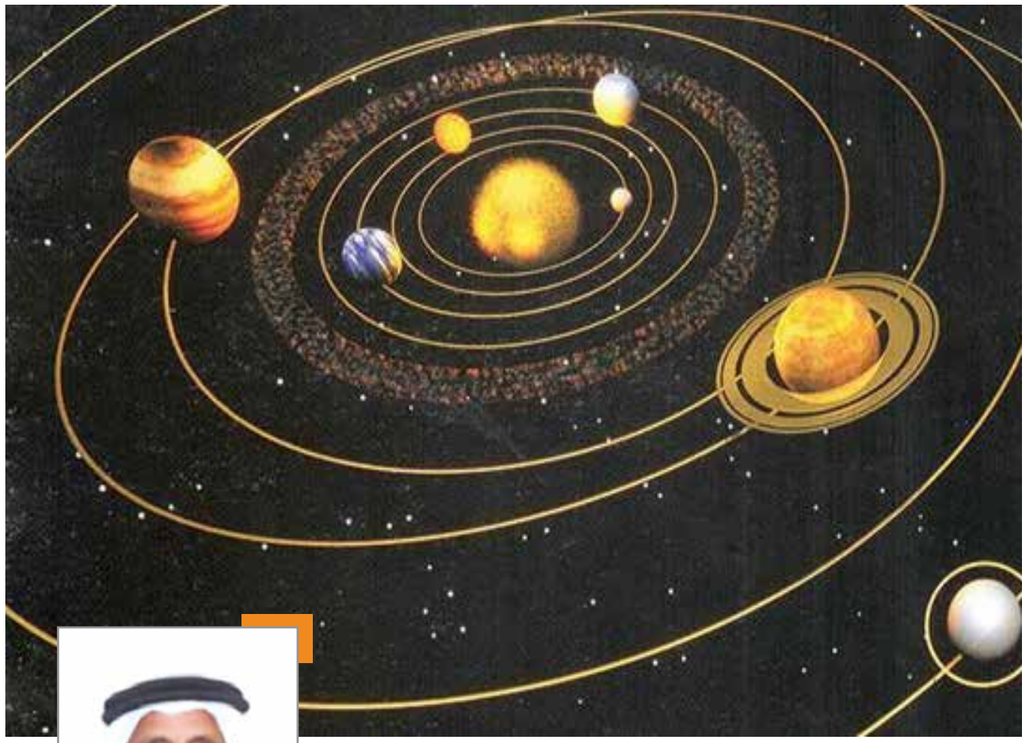

حساب الدرور (النيروز)

حميد علي ناصر الزعابي
كاتب – الإمارات

اعتمد أهل الإمارات منذ أمد بعيد على حسابات الدرور، لمعرفة أحوال الطقس، وكل ما هو متوقع حدوثه من رياح وأمطار وتقلبات البحر، ومواسم الصيد والزراعة على مدار العام، ومنها حساب الدرور (النيروز).

1- تعريف الدر:

الـدرور، والمفـرد: در، ودر، دَرَّ يَـدِرُّ، إذا تتابـع، قـال ابـن بـري: وهـذا القـول حسـن، إلا أنـه كان يجـب أن تفتـح الـدال مـن دُرَّيـن؛ لأنـه جعلـه مـن دَرَّ يَـدِرُّ إذا تتابـع، قـال: وقـد يمكـن أن يقـول إن الـدال ضمـت للاتبـاع اتباعـاً لضمـة الـدال مـن دُهْ،[1] والـدر هـو 10 أيـام، وعـدد أيـام كل دورة مـن حسـاب الـدرور النـيروز هـي (365) يومـاً، مقسـمة إلى 3 مِئـات، وكل مِئـة يـوم مقسـمة إلى عـشر عـشرات، ومجمـوع كل مئـة هـو (100 يـوم. 3 أشـهر و10 أيـام)، ومجمـوع الثـلاث مِئات هـو عـشرة شـهور (300 يـوم)، ثـم تليهـا 60 يومـاً (شـهران) لتصبـح 12 شـهراً كاملـة، وعـدد أيامهـا هـو (360 يومـاً)، ثـم تتبعهـا 5 أيـام توافقيـة، هـي (الخمـس المسـاريح)، والجـذر سرج، وسَرَّجَـه: وفَّقَـه.[2] وهـي الأيـام التـي تـأتي في نهايـة كل دورة مـن دورات السـنة الدريـة النيروزيـة، ولا تحسـب مـن در، ليصبـح مجمـوع عـدد أيـام السـنة الدريـة النيروزيـة هـو (365 يومـاً)، والسـنة الدريـة هـي سـنة تتابعيـة، ولا تحمـل أرقامـاً للسـنوات مثـل غيرهـا مـن السـنوات المعلومـة، مثـل الهجريـة أو الميلاديـة، كـما أنهـا لا ترتبـط بـأي سـنة مـن السـنوات، سـواء كانـت السـنة الهجريـة والمؤرخـة مـن هجـرة النبـي محمـد، صـلى اللـه عليـه وسـلم، مـن مكـة المكرمـة إلى المدينـة المنـورة، فالسـنة الهجريـة البسـيطة عـدد أيامهـا هـو (354 يومـاً) والكبيسـة عـدد أيامهـا (355 يومـاً)، لنلاحـظ أن عـدد أيـام السـنة الهجريـة أقـل مـن عـدد أيـام السـنة الدريـة مـن 10 إلى 11 يومـاً، أو السـنة الميلاديـة والمؤرخـة مـن ميـلاد النبـي عيـسى، عليـه السـلام، وإن كان عـدد أيـام السـنة الميلاديـة البسـيطة، وهـو (365 يومـاً) مثـل مـا هـو عـدد أيـام السـنة الدريـة، إلا أن الميلاديـة تبـدأ مـع اليـوم الأول مـن شـهر ينايـر، واليـوم التاسـع في السـبعين مـن المئـة الثالثـة، كـما أن عـدد أيـام السـنة الميلاديـة الكبيسـة (366 يومـاً) بزيـادة يـوم واحـد في كل 4 سـنوات، بينـما عـدد أيـام السـنة الدريـة ثابتـة، وهـي (365)، ولا توجـد فيهـا سـنة بسـيطة وسـنة كبيسـة، كذلـك أن شـهر فبرايـر في توافـق حسـاب الـدرور يحسـب 30 يومـاً، وليـس 28 أو 29 يومـاً، كـما هـو في السـنة الميلاديـة البسـيطة والكبيسـة إلى جانـب أن أهـل الإمـارات قديمـاً كانـوا لا يعتمـدون

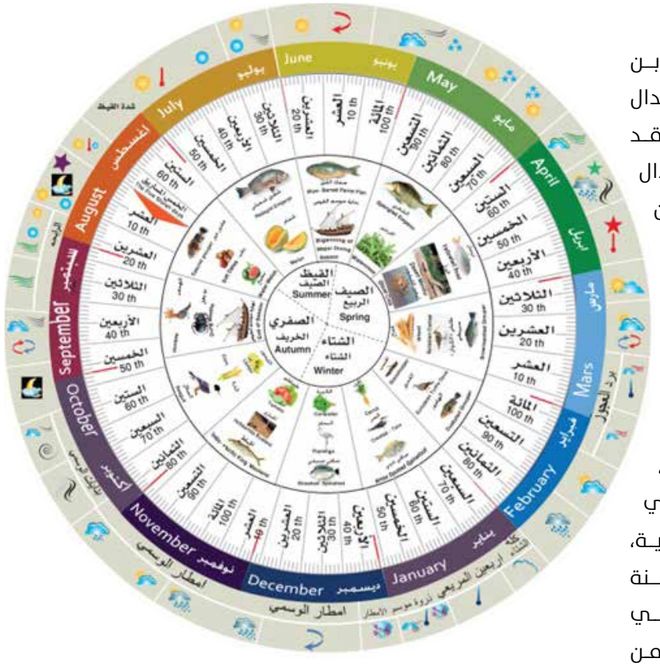

على السـنة الميلاديـة لمعرفـة الشـهور وعـدد السـنين حتـى عهـد قريـب، مثلـما كانـوا يعتمـدون عـلى شـهور السـنة الهجريـة بعـد الإسـلام لمعرفـة عـدد السـنين، مـا يؤكـد أن حسـاب الـدرور النـيروز القائـم عنـد أهـل السـاحل الشرقـي للإمـارات منـذ آلاف السـنين عـلى العـد العـشري، هـو حسـاب مسـتقل بذاتـه، وليسـت لـه أي صلـة بالسـنة الهجريـة أو الميلاديـة، وإنمـا جـدول عـلى شـهور السـنة الميلاديـة لمعرفـة دخـول كل در وخروجـه فقـط.

2- تعريف النيروز:

النـيروز، النَّـيْرُوزُ، والنَّـوْرُوزُ: أصلـه بالفارسـية (* قولـه «أصلـه بالفارسـية إلـخ» كـذا بالأصـل، وقـد عرضنـاه عـلى متقـن مـن علـماء اللغـة الفارسـية فلـم يعرفـه، وعبـارة القامـوس: والنـيروز أول يـوم مـن السـنة معـرّب نـوروز) نيـع روز، وتفسـيره جديـد يـوم.[3]

إلا أن النـيروز عنـد أهـل السـاحل الشرقـي للإمـارات يحـل مـع دخـول أول يـوم مـن العـشر الأولى مـن المئـة الثانيـة تصاعـدي، والـذي يوافـق 17 يوليـو، ويطلـق عليهـا عـشر النـاروز، وهـو اليـوم الـذي كان قديمـاً يوافـق نهايـة الحصـاد عنـد أهـل السـاحل الشرقـي للإمـارات، وكان يقـام

فيه ناطح الثيران العاملة في ري النخيل والزرع والحرث ولا يصاحبه أي احتفال كان بعده أو قبله، وليس في تاريخ 20 أو 21 مارس عند اكتمال القمر، كما هو في السنة الفارسية.

3- دورة حساب النيروز عند أهل الساحل الشرقي للإمارات

تبدأ دورة حساب الدرور (النيروز) عند أهل الساحل الشرقي للإمارات بغياب الثريا، الثُّرَيَّا من الكواكب، سميت لغزارة نَوْئها، وقيل: سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مَرْآتها، فكأنها كثيرة العدد، بالإضافة إلى ضيق المحل، لا يتكلم به إلا مصغراً، وهو تصغير على جهة التكبير. وفي الحديث: أنه قال للعباس يمّلِك من ولدك بعدد الثُّرَيَّا؛ الثُّريا: النجم المعروف. ويقال: إنه خلال أنجم الثُّريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد والثَّرْوة: ليلة يلتقي القمر والثُّرَيَّا،[4] الذي يوافق 8 إبريل من كل عام ليكون اليوم الأول من المئة الأولى (غيوب نكس) الذي يأتي بانتهاء اليوم الخامس والأخير من الأيام الخمسة التوافقية (5 المساريج).

وتبدأ دورة حساب الدرور (النيروز) المرتبط بغياب الثريا في 8 إبريل من كل عام، عند أهل الساحل الشرقي للإمارات، بالعد التنازلي بدءاً من المئة ثم التسعين، الثمانين، وهكذا إلى العشر، ويطلقونه عليه نكس، شمر: النَكْس في الأشياء معنى يرجع إلى قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله، ومقدمه مؤخره،[5] وذلك لأهمية المئة الأولى (نكس) من حساب الدرور النيروز عند أهل الساحل الشرقي للإمارات لما يشهد من عدم استقرار في الأحوال الجوية والبحر بفعل غياب الثريا وساج الثريا والميزان وساج الميزان لمدة 40 يوماً من (1/100) 8 إبريل حتى (10/40) 17 مايو، وطلوع الثريا وساج[6] الثريا والميزان وساج الميزان لمدة 40 يوماً من (1/60) 18 مايو، وحتى (10/30) 26 يونيو بمجموع 80 يوماً، وهي أشد ما تشهده من ضربات (رياح/ أمطار) ثم يليها در العشرين والعشر المتممات للمئة الأولى (غيوب نكس) ليبدأ الحساب بالعد التصاعدي، بدءاً من العشر الأولى (النارز) من المئة الثانية إلى آخر يوم من أيام الخمس المساريج، وهو يوم 7 إبريل عند أهل الساحل الشرقي للإمارات.

طلوع نجم سهيل في حساب الدرور النيروز

يطلع نجم سهيل في حساب الدرور النيروز في السبعين من المئة الثانية 15 - 24 سبتمبر، والذي يوافق طلوع ثالث منازل نجوم سهيل، وهي (الزبرة) في 20 سبتمبر، ودر السبعين، هو بداية انطلاق موسم الصيد، والفسل (الزرع قديماً).

1 - المئة الأولى نكس (تنازلي)

الدر	التاريخ	الملاحظات
المئة	17-8 إبريل	غياب نجم الثريا/ الصيف
التسعين	27-18 إبريل	غياب ساج الثريا
الثمانين	28 إبريل 7 مايو	غياب الميزان
السبعين	17-8 مايو	غياب ساج الميزان
الستين	27 -18 مايو	طلوع الثريا، تطلع الثريا عراس جارينة، تباشير الرطب
الخمسين	28/ مايو - 6 يونيو	طلوع ساج الثريا قيظ
الأربعين	16-7 يونيو	طلوع الميزان
الثلاثين	26 -17 يونيو	طلوع ساج الميزان
العشرين	27 يونيو 6 يوليو	
العشر	16 – 7 يوليو	البجير

2- المئة الثانية (تصاعدي)

الدر	تاريخ الدر	الملاحظات
العشر	26-17 يوليو	النارز
العشرين	27 مايو 5 أغسطس	
الثلاثين	15-6 أغسطس	
الأربعين	25-16 أغسطس	
الخمسين	26 أغسطس 4 سبتمبر	
الستين	14-5 سبتمبر	
السبعين	24-15 سبتمبر	طلوع سهيل - انكسار الحر
الثمانين	25 سبتمبر 4 أكتوبر	
التسعين	14 -5 أكتوبر	
المئة	24-15 أكتوبر	

1- ابن منظور، لسان العرب، مج 5، دار لسان العرب – بيروت، ص 244.
2- ابن منظور، لسان العرب، مج 7، دار صادر - بيروت، ص 162.
3- ابن منظور، لسان العرب، مج، 14، دار صادر - بيروت، ص 231.
4- ابن منظور، لسان العرب مج 3، دار صادر – بيروت ص 18.
5- المصدر السابق، مج 14، ص 13.
6- ساج: الدر الذي يشهد طلوع وغياب ما يلي الثريا والميزان من نجوم.

3- المئة الثالثة (تصاعدي)

الدر	التاريخ	الملاحظات
العشر	25 أكتوبر – 3 نوفمبر	
العشرين	13-4 نوفمبر	
الثلاثين	23-14 نوفمبر	
الأربعين	26 نوفمبر3 ديسمبر	
الخمسين	5 – 13 ديسمبر	
الستين	15 - 23 ديسمبر	
السبعين	25 ديسمبر2 يناير	دخول الشتاء وفيها يبين الخصب من المحل
الثمانين	4 - 12 يناير	أشد الدرور برد وتعرف بثمانين العوا
التسعين	22-14 يناير	
المئة	يناير- 1 فبراير	

4- الستين

الدر	تاريخ الدر	ملاحظات
العشر	11-3 فبراير	انكسار شدة البرد
العشرين	21-13 فبراير	
الثلاثين	23 فبراير – 3 مارس	
الأربعين	4 مارس - 13 مارس	
الخمسين	14 – 23 مارس	
الستين	مارس – 2 إبريل	

5- الخمس المساريج

اليوم الأول	3 - إبريل	دخول الخمس المساريج
اليوم الخامس	7 – إبربل	آخر يوم في السنة الدرية. (النيروز)

صناعة سروج الخيل في تونس

تراث الماضي المتجدد

د. محمد الجزيراوي
كاتب - تونس

السرج في لسان العرب هو رحل الدابة، معروف، وجمعه سروج، والسرّاج بائع السّروج وصانعها وحرفته السِّراجة، وقد تميزت مختلف بلدان العالم التي تحذق فن الفروسية، وتصنع سروجها بنفسها بخصوصيات محلية دقيقة؛ لذلك نجد مثلاً في بلاد المغرب السرج الطرابلسي والسرج التونسي، ويكتسب هذا الأخير عمقاً تاريخياً وحضارياً.

تعدّ صناعة السّروج في البلاد التونسية حرفة حضرية، حيث اشتهرت بها مدينة القيروان منذ القرن الحادي عشر ميلادي، وقد أشار إلى ذلك المرحوم حسن حسني عبدالوهاب، الذي كتب في مخطوطه «بساط العقيق» أن السروج القيروانية كانت مشهورة في جميع الآفاق، حتى في أوروبا، لجودة الجلود التي تدبغ على أحسن أسلوب، يأخذها السرّاج، فيطرز عليها بأسلاك الفضة أو الخز الأشكال العجيبة.

كانت هذه الحرفة تحتل في مدينة القيروان مكانة مميزة في السوق المرتب والمنظم بحسب الاختصاصات الحرفية، وكان يسمى سوق السراجين، والتسمية نفسها سيطلقها الحفصيون فيما بعد على سوق صناعة السرج في مدينة تونس. فاقت شهرة هذه السوق أيضاً حدود البلاد، فقد كان لها صيت ثابت من المغرب إلى الأندلس، وهي مقر لعدد كبير من الحرفيين، ويجاوره سوق آخر متمم له، وهو سوق السكاجين الذي أصبح اليوم مقراً لما بقي من السرّاجين المتشبثين بحرفة الأجداد في محال تحاول حفظ الذاكرة الحرفية، رغم توجههم أحياناً لصنع قطع أخرى غير السروج، في محاولة منهم للتأقلم مع التطور الحاصل في السوق الاستهلاكية المحلية، وتوجه الحرفة لإنتاج ما يطلبه السائح أكثر مما يطلبه الفارس.

رغـم تراجـع أهميـة صناعـة الـسرج، فـإن السـوق لاتـزال محتفظـة باسـمها، وبـشيء مـن عبـق المـاضي، فهـي مـكان للذاكـرة الشـعبية الجماعيـة بخصوصياتها العمرانيـة والمعماريـة المختلفـة، ولعـل أهـم تفاصيـل ذلـك تكمـن في الأزقـة الضيقـة والملتويـة والمغطـاة بسـقوف معقـودة، ومحالـه الصغـيرة ذات الدكّانَـةِ التـي يجلـس عليهـا المعَلـم ليبـدع سرجـاً، وفي الوقـت نفسـه ينقـل أصـول الحرفـة للصبـي الصغـير، ويسـمى قَلْفَـةْ، الراغـب في اكتسـاب المعـارف والمهـارات المرتبطـة بهـا، ولعـل هـذا الأخـير بعـد اكتسـابه الخـبرة المطلوبـة، سـيضيف لهـا مـن عنـده إبداعـات جديـدة.

يتدخـل في صناعـة السرج التقليـدي التونـسي العديـد من الحرفيـين، ابتـداء بالنجاريـن، ووصـولاً إلى السراجـين، مـروراً بالدباغـين والحدادين والمطرزيـن والصائغـين والسـكّاجين، كل يعطـي مـن عنـده الكثـير، ليخـرج لنـا السـرج في أبهـى حلـة مـوشى بأجمـل الزخـارف والنقـوش.

يتكـوّن السـرج التقليـدي التونـسي مـن أجـزاء عـدة ذات المـواد المختلفـة والتقنيـات المتعـددة، لعـل أهمهـا القَرْبُـوسْ الـذي يحـذق صنعـه النجـار، وهـو بمثابـة القالـب والهيـكل العـام للـسرج، يصنـع مـن خشـب متـين وخفيـف الـوزن؛ لذلـك عـادة مـا يختـار لـه خشـب شـجرة التـوت، ويتخـذ القربـوس الأمامـي حجمـاً أصغـر مـن الخلفـي؛ لأن هـذا الأخـير سـيتحمل ثقـل اسـتناد ظهـر الفـارس عليـه أثنـاء الركـوب. كـما نجـد السّـتَارَة وهـي قطعـة مـن الجلـد تخـاط بدقـة متناهيـة، وتمـر بمراحـل عديـدة، لـكي تلبـس القربـوس الخشـبي، وتلتصـق بـه جيـداً لـكي تمنـع الخشـب مـن الكـسر أو النتـوء، فيصيـب الخيـل بـأذى.

أمـا البِشْـتْ أو البِشْـطْ، فهـو أيضـاً قطعـة مـن الجلـد في شـكل بسـاط توضـع فـوق القربـوس، وتكـون الجـزء الظاهـر مـن السـرج؛ لذلـك تـوشى بزخـارف ونقـوش متعـددة تُقـدُّ عـلى الجلـد مباشـرة في أشـكال نباتيـة وهندسـية، أو في زوايـا البِشْـتْ بالذهـب أو الفضـة، ويطلـق عليهـا حسـبما هـو متعـارف في جميـع الجهـات تسـمية ضَرْبْ مِطَرْقَـة. يوجـد أيضـاً اللِبِـدْ وهـو أولى القطـع التـي توضـع عـلى ظهـر الفـرس لحمايتـه مـن كل أذى؛ لذلـك يتكـون مـن طبقـات عـدة مـن الجلـد. يضـاف لمختلـف هـذه القطـع الحِـزَام، وهـو مـن الجلـد الخالـص ومهمتـه شـد السـرج إلى بطـن الفـرس، والدِّيـرْ وهـو اللِبَـبْ الـذي يشـد السـرج إلى صـدر الفـرس، وعـادة مـا يحتـوي عـلى زخـارف مختلفـة، تُقـدّ بمـواد مختلفـة بحسـب المقـدرة الماليـة لصاحبـه، فـإن كان ميسـوراً جعلهـا مـن خيـوط الذهـب أو الفضـة أو الحريـر، وإن كان متوسـط الحـال، فيطلـب مـن السـراج الاكتفـاء بخيـوط مـن الجلـد.

يمثـل اللجـام، وهـو قطعـة مـن حديـد توضـع في فـم الفـرس لتسـهل قيادتـه، مـن متممـات السـرج التونـسي، ويتكـون بالإضافـة إلى هـذه القطعـة الحديديـة مـن الغَمَّضَـاتْ والمَنْطَـخْ والعِـذَارْ والجِدِيـدَةْ، وخاصـة الخُـدُودْ وهـما قطعتـان مـن الجلـد، ومهمتهـا الوصـل بـين اللجـام والغماضـات، يكونـان في شـكل مسـتطيلين مشـدودين مـن أحـد طرفيهـما بخيـط جلـدي يمـر مـن فـوق سـبيب الفـرس، لتنحـدر عـلى جانبـي وجهـه، أمـا الطَّرَاعَـاتْ فهـي العنـان في الفصحـى، وتقـد عـادة مـن الجلـد؛ كي لا تـؤذي يـدي الفـارس أثنـاء مسـكها.

يضـع الفـارس رجليـه عـلى الـركاب الـذي يتكـوّن مـن قطعتـين مصنوعتـين مـن الحديـد أو النحـاس أو الزنـك، وتُقَـدُّ أيضـاً مـن الفضـة، وتحتـوي عـلى أشـكال وزخـارف عديـدة، قـد تكـون هندسـية أو نباتيـة، وهـو يحتـوي في أعـلاه عـلى حلقـة يشـد إليهـا خيـط مـن الجلـد، يقـع ربطـه في القربـوس، لتخلـق التـوازن المطلـوب للفـارس.

يضـاف للـسرج قطعـة مـن الحريـن، تسـمى الاسْـتِكْفَالْ أو التِكْفَـالِ، وهـو عـادة في شـكل شريطـين يمتـدان طوليـاً يحمـل كل منهـا لـون، ويشـدان إلى قطعـة أخـرى، تمتـد عـرض الأشرطـة السـابقة، وهـي التـي سـتتكفل بشـد الاسـتكفال إلى بقيـة مكونـات السـرج، ومـن المتعـارف عليـه أن هـذه الألـوان ترتبـط ارتباطـاً شـديداً بألـوان رايـات أشـهر الأوليـاء الصالحـين في المنطقـة التـي ينتمـي إليهـا الفـارس. إضافـة لبعـده العقائـدي يُعـد الاسـتكفال مـن بـين أهـم مكونـات السـرج الأنيـق المعـد للاسـتعراضات والاحتفـالات المختلفـة.

يضـع الفـارس في رقبـة حصانـه قـلادة، عـادة مـا تكـون في شـكل سـيور مـن القطـن أو الحريـر أو مـن الجلـد، وإن كانـت مـن هـذه المـادة الأخـيرة، يجـب أن يكـون مـن النـوع الرفيـع، وهـو الفِيـلّالي نسـبة لمصـدره وهـي منطقـة تَفِيلَّالْـتِ بالمغـرب الأقـصى. يشـد في أسـفل القـلادة ظـرف جلـدي مثلـث الشـكل، يحتـوي عـلى رُقْيَـة لحمايـة الفـرس مـن العـين الشريـرة ارتباطـاً بالمعتقـد الشـعبي السـائد في البـلاد التونسـية وغيرهـا مـن بلـدان الـشرق والغـرب.

لا يمكـن لصناعـة السروج أن تنقـرض مـا دام الفرسـان يتوارثـون فنـون ركـوب الخيـل واللعـب مـن فـوق ظهورهـا، وهـي تمخـر عبـاب المضـمار، بـل انتـشرت اليـوم الحرفـة في مناطـق عـدة ليـس لأهلهـا أدنى تقاليـد فيهـا، وقـد جـدد الحرفيـون في مـواد صنعهـا ونمقوهـا بألـوان زاهيـة، فـازدادت متانـةً وأناقـةً وجـمالاً.

راشد عبدالله المحيان الكتبي

سيرة عطرة وشخصية تتسم بالأصالة

بكر المحاسنة
كاتب - الأردن

حين نعتز بأصالتنا وبقيمنا الاجتماعية، فذلكم هو الفخر والأنفة، ورفعة المكانة، وحين يكون الماضي مفتاح الحاضر، وطريقنا للمستقبل، فإن الخط المستقيم الذي نرسمه لمسيرتنا هو عنوان نجاحنا.

وهكذا هي الحال مع اللواء المتقاعد راشد عبدالله المحيان الكتبي (ابن الصحراء)، الذي ولد في «بيت شَعْر»، وبدأ حياته الاجتماعية طفلاً في كنف والدته، يرتحل من مكان إلى مكان، ويلتحق بالعمل في القوات المسلحة خادماً لوطنه، ثم يدخل باب العمل العام، وكان قد تعلم من العسكرية، ومن بيئته وأسرته، كل ما من شأنه أن يجعله قيادياً، ومثلاً أعلى لجيل قادم.

للحديث أكثر عن هذه الشخصية العربية الأصيلة، وسيرته الحياتية كان «لمجلة مراود» أن تتعرف أكثر من خلال صفحاتها إلى هذا الرجل العريق، إذ عند جلوسك معه تشعر بأنك أمام شخصية مميزة، تؤمن بمجموعة من المبادئ والأخلاق الحميدة، كالأمانة والتواضع وفعل الخير، والصدق وقول الحق حتى في أحلك الظروف، بل حتى في حال تعارض قول الحق مع مصلحته الخاصة، تبقى المبادئ والأخلاق في المرتبة الأولى بالنسبة إليه.

البداية

يقول راشد عبدالله المحيان الكتبي: ولدت عام 1945 في «بيت شعر» وسط صحراء مناطق الذيد، ونشأت في كنف والدتي وإخواني، إذ توفي والدي وأنا في عمر 8 سنوات، ونشأت في مجتمع بدوي عربي أصيل، محافظ على عادات وتقاليد المجتمع البدوي، وهي العادات والتقاليد العربية الأصيلة، وترعرعت بين أحضان والدتي، وكنت ملازماً لها في كل جوانب الحياة وأساعدها على جلب المياه من «الطوى».

ويضيف: تعلمت من والدتي وإخواني (السنع) والشجاعة وأصول إكرام الضيف، واحترام وحب الآخرين.

ويؤكد الكتبي: اعتمدنا في حياتنا على تربية «البوش» والأغنام، وعشت في خيام الشعر في مواسم الشتاء، وبيوت العريش المبنية من جريد وسعف النخيل في مواسم الصيف، وفي موسم القيظ «الصيف»، كنا «نقيظ» في أماكن وجود «طوى» المياه في المنطقة، أو في واحات الذيد الخضراء.

من الترحال إلى الانضباط

مضيفاً: كنا نرحل من مكان لآخر في المنطقة نفسها بحثاً عن الماء والربيع في مواسم الشتاء والربيع، وبقيت الحياة على هذا النمط حتى قيام الاتحاد، إذ تغيرت الحياة من الجوانب كافة.

ويضيف المحيان الكتبي قائلاً: توجهت إلى العمل في القوات المسلحة عام 1962، وبقيت فيها مدة 37 عاماً حتى تقاعدت برتبة لواء عام 2000، وكان انضمامي للعمل في القوات المسلحة حباً نابعاً من قلبي في خدمة الوطن والانتماء للأرض، وخلال عملي في القوات المسلحة تعلمت الكتابة والقراءة، وتأثرت كثيراً بالحياة

العسكرية، وخدمت في مناطق الدولة كافة، وتعلمت منها الجرأة والانضباط والصبر، وتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس، والكثير من الأمور، كما ملكت تجربة واستفادة كبيرة.

مرحلة جديدة

ويقول الكتبي: وبعد تقاعدي تم تعييني من قبل صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، بمنصب نائب رئيس المجلس البلدي في مدينة الذيد، لمدة أربع سنوات، بعدها أصبحت عضواً في المجلس الاستشاري لإمارة الشارقة، وكنت منذ عام 1983 بمنصب رئيس مجلس أولياء أمور الطلبة بمدينة الذيد حتى الآن، وهذا المنصب عملت فيه متطوعاً من نفسي، ولم يكن هذا العمل وظيفة، وهذه المهمة كانت لمتابعة أمور الطلبة في المدارس، وكنت بمثابة حلقة الوصل بين البيت والمدرسة، وحل مشكلات الطلبة، والقيام بدور ولي الأمر للطلبة الأيتام، بالإضافة إلى تأكيد وتأصيل المفاهيم والقيم السلوكية، وروح الانتماء والولاء للوطن لدى الطلبة، وتقديم النصائح والإرشادات التي تعود بالنفع على الطلبة.

ويؤكد المحيان الكتبي: بفضل قيادتنا الرشيدة، ورغم تغير ظروف العالم العربي، والأحوال المربكة التي تحيط بنا، فإني أرى دولتي الحبيبة، من أقوى وأشد الدول صلابة في مواجهة جميع الظروف، فهي كما كانت ملحمة مترابطة، بقيادة زايد، رحمه الله، وسنبقى على العهد مخلصين لها، وسنفديها بالأرواح، ليست نشيداً يمثل الدولة، ولا هتاف شعب، بل قولاً وفعلاً، إذ إن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، بنى الوطن على أساس العدل والمساواة، وصاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وضع اللبنة الأولى لنهضة إمارة الشارقة وتطورها، ومواكبتها العصر.

تربية الإبل هوية الإنسان العربي

يقول المحيان: منذ أن فتحنا أعيننا على الدنيا، وكانت الإبل ملازمة لنا في كل وقت، لم تفرقنا متغيرات الزمن عنها، ومنذ صغري تعلمت كيفية الاهتمام بالإبل وتربيتها، وورثت هذه المهنة عن والدي، فتربية الإبل هوية الإنسان العربي الأصيل، وتعمل على تعميق جذوره وانتمائه لهذه الأرض. فهي تتطلب مهارة وخبرة عالية؛ لأن الإبل من الحيوانات الصعبة التي تصبر، بل إننا نتعلم منها الصبر، وهي تتحمل العطش والجوع، وهي ثروة كبيرة بالنسبة لنا، سواء في الماضي أو الحاضر.

ويشير إلى أن علاقته بالإبل علاقة تاريخية، وتربيتها تتطلب من الشخص أن يمتاز بالرجولة، لأن ركوب الإبل (البوش) يحتاج إلى الرجل القوي.

مضيفاً: أجد في تربية الإبل متنفساً ومصدراً للراحة، وعشقي للإبل ليس وليد اليوم، بل هو منذ الصغر، وأعلمه لأبنائي، وسأوصيهم بأن يعلموه لأبنائهم مستقبلاً.

عادات وتقاليد

يقول راشد عبدالله المحيان الكتبي: إنه في الماضي كانت لنا عادات وتقاليد عربية أصيلة نعتز بها، وكل مناسبة كانت لها عاداتها وتقاليدها الخاصة، حيث كوننا نعيش في منطقة صحراوية وبيئة بدوية، فإنه كان لنا عادات وتقاليد كبقية أهالي البادية في الدولة، إذ كنا في الماضي نصوم شهر رمضان من دون كهرباء أو مكيفات، كحالنا اليوم، وكان الناس لا يتعطلون عن أعمالهم، رغم العناء والتعب الذي كنا نشعر به، بسبب عدم وجود منازل حديثة أو مكيفة، وعدم وجود طرق ممهدة للوصول إلى المزارع أو المناطق الأخرى، وكنا في الماضي عند رصد هلال رمضان، ومن خلال عدد من الأشخاص الذين كانوا يذهبون إلى الشارقة للاستفسار عن دخول الشهر الكريم، أو يأتي رجل من أهالي الشارقة لإبلاغ أهالي الذيد عن دخول الشهر الفضيل، كنا نقوم بإطلاق العيارات النارية في السماء، للإعلان عن قدوم شهر رمضان الفضيل؛ لكي يستعد الأهالي لصومه.

ويضيف الكتبي: كان سكان البيوت القريبة، يفطرون جماعة، ويصلون التراويح معاً، ووقت السحور يتجمعون لتناول بعض الأطعمة الخفيفة والتمور، وبعدها يصلون

الفجر، وكل واحد يذهب إما إلى بيته أو إلى عمله أو رعي البوش والمواشي، أو جمع الحطب.

نصيحة لأبناء الوطن

وفي معرض حديثه توجه المحيان الكتبي بالعديد من النصائح لأبناء الإمارات وبناتها من الجيل الجديد، أهمها أن يكون لديهم الانتماء لهذا الوطن الغالي، والذود عنه بكل غال ونفيس، والولاء للقيادة الحكيمة، والالتفاف حولها، والالتزام بتوجيهاتها، والتمسك بالقيم والمبادئ والسلوك القويم، وإتقان العمل.

مضيفاً: كما أدعو أبناء الوطن إلى التسليح بالعلم والمعرفة، والشجاعة والإقدام، للإسهام في حماية الوطن وخدمته، والوقوف ضد أي أفكار سلبية تدعو إلى المساس بالوطن. كما أدعو شباب الوطن من أبناء الجيل الجديد إلى التمسك بالعادات والتقاليد العربية الأصيلة، والمحافظة على تراث الآباء والأجداد، والمحافظة على الهوية الوطنية، وأن يكونوا قدوة لمن بعدهم من الأجيال.

الطَّائر الأزْرَق

شهرزاد العربي

يُحكى أنه في قديم الزمان، كانت هناك أرملة تعيش مع صغارها الثلاثة في بلدة صغيرة، وكانوا يقتاتون على ما تنتجه العنزة من حليب وزبدة.

كانت المرأة الأرملة تتجه كل يوم أربعاء إلى المدينة لتبيع الزبدة هناك، ولكي تختصر الطريق كانت تمرّ عبر الغابة، وفي كل مرة كانت تلاحظ وجود طائر أزرق جميل يرافقها طوال وجودها في الغابة، وهو يغني لها، ويقترب منها كأنها صاحبته، ويؤنسها في تلك الغابة إلى أن تصل إلى مقصدها.

وكلما عادت الأم إلى البيت، تحكي لصغارها الثلاثة عنه، فتسألها ابنتها:

ـ هل غناؤه جميل؟

ويسألها ابنها البكر:

ـ كم يبلغ حجمه؟ أصغير هو أم كبير؟

أما أصغر أولادها، فقد كان يسألها:

ـ هل حقّاً تستطيعين الإمساك به دون أن يتململ منك؟

مثل هذه الأسئلة وغيرها كثير، كانت تطرح على الأم كلما عادت من السوق؛ لأنها لم تكن تكف عن الحديث عنه.

وذات يوم طلب الأطفال الثلاثة من الأم أن تحمل الطائر الأزرق معها عندما تعود إلى البيت.

لبت الأم طلب أولادها، وفي طريق عودتها إلى البيت مدّت يدها إلى الطائر، فحطّ عليها، ورافقها دون خوف أو وجل.

عندما شاهد الأطفال الطائر الأزرق أعجبوا به، واعتنوا به كما يجب، ووضعوه داخل القفص، وظلوا يستمعون لشدوه العذب.

وذات يوم كان ابن الملك في رحلة داخل الغابة، وقادته رجلاه إلى بيت الأرملة، فسمع غناء ذلك الطائر، الذي شدّ انتباهه.

اقترب الأمير من الطائر، فلاحظ ما لم يلاحظ غيره، لقد كان مكتوباً على جناحه بلون ذهبي:

ـ من يأكل رأسي يصبح ملكاً، وأما من يأكل قلبي فسيجد الذهب تحت وسادته ما بقيَ حيّاً.

عندما قرأ الأمير هذا الكلام أراد شراء الطائر، لكن الأرملة وأولادها رفضوا بيْعه رغم الأموال المبذولة فيه.

بعد أن يئس الأمير من الحصول على الطائر الأزرق، طلب الفتاة (ابنة الأرملة) للزواج، لكنه اشترط أن يقدَّمَ له الطائر الأزرق وجبةً على مائدة العشاء ليلة زفافه.

رفض الجميع طلبه هذا، لكن الفتاة التي تعلق قلبها بالأمير ظلت تبكي لأيام، متهمة أخويها بأنهما منعاها من أن تكون أميرة.

بعدها رقّت قلوب أمها وأخويها، ووافقوا على ذبح الطائر المسكين.

في ليلة العرس ذُبح الطائر كما أراد الأميرالعريس، واستغرب الأخوان إلحاح الأمير على أكل هذا الطائر، الذي لحمه ليس بكثير، وتساءلوا:

ـ هل الأمير بحاجة إلى لحم هذا الطائر؟

دفع الفضول الأخوين إلى دخول المطبخ، والجميع منشغل بالتحضير للعرس، فأكل الولد الكبير قلب الطائر، وأكل أخوه الصغير رأسه، ووضعا مكان الطائر الأزرق طائراً آخر مثله في الحجم، ورغم هذا فقد كانا خائفَيْن أن يعرف الأمير ما فعلا، ولهذا آثرا الابتعاد عن البيت.

مشى الاثنان في الغابة حتى أدركهما العياء، فناما ليلتهما هناك، وفي الصباح، عندما استيقظ الأخ الأكبر وجد بين أوراق الأشجار التي توسّدها نقوداً، لم يعرف

ما هي، فملأ جيوبه منها، وانطلق الاثنان، وهما لا يعرفان مقصدهما.

بعد مدة من سيرهما جاعا، فطلبا أكلاً من امرأة فأطعمتهما، وأخرج الابن البكر كل ما معه من النقود، وقدّمها للمرأة نظير طعامها، لكن المرأة عندما رأت الذهب أمامها، قالت لهما:

ـ إن نصف قطعة من هذه القطع هو أكثر مما تُدينان به لي.

أخذت المرأة قطعة واحدة، وأعطتهما المتبقي عملة فضّة، ثم انطلق الأخوان يبحثان عن مغامرة جديدة، وهما لا يعرفان ماذا حدث لهما، حتى دخلا مدينة لم يكن معدن الذهب معروفاً فيها، لكن الناس انبهروا بجماله وبريقه، ووصل الخبر إلى الملك فأحضرهما أمامه.

أعجبت ابنته الأميرة بالأخ الأصغر، ولم يرَ الملك بأساً في تزويجها من هذا الشاب، الذي يملك أخوه معدناً ثميناً.

في ليلة الزفاف، أهدى الأخ الأكبر كل ما معه من ذهب للعروسين، ولم يكن يمنع أخاه شيئاً مما يجد تحت وسادته كل صباح.

بعد فترة مات الملك، وأصبح الآخر (الأصغر الذي أكل رأس الطائر) ملكاً، وبعدها غادر الأخ الأكبر المملكة بحثاً عن مغامرة أخرى، وبعد أن ساح في بلاد كثيرة، استقرَّ به المقام في بلدة تسكنها فتاة جميلة من عائلة عريقة، أعجبته فتزوَّجها.

وفي الصباح عندما كانت المرأة ترتب فراش زوجها، وجدت تحت المخدة نقوداً ذهبية، ثم صارت تجدها كل يوم تحت وسادة زوجها، فلم تخبره، ولم تذكر الموضوع لأحد، وبما أنها كانت طمّاعة، فقد أخذت قطعة نقدية، وذهبت بها إلى رجل يعرف في الطب والسحر، وأخبرته عن قصة زوجها، فقال لها:

ـ لابدّ أن زوجك أكل قلب الطائر الأزرق، ولهذا سيظل يجد الذهب كل صباح تحت وسادته.

لم تكتف المرأة بما أخذت، لذلك سألت الطبيب السّاحر:

ـ هل يمكنني أن أنقل هذه الهبة لي وحدي دونه؟

قال لها الطبيب الساحر:

ـ نعم، لديّ طريقة، سأعطيك سلكاً من الفضة، عندما ينام زوجك ضَعِيهِ بين أسنانه بهدوء، عندها سيصعد القلب إلى فمه، خُذِيهِ منه، وابتلعيه، وهكذا ستصبحين صاحبة ذهب كثير.

فرحت المرأة بهذه الوصفة، وطبّقتها على أكمل وجه، وهي تخفي عن زوجها علمها بأمر الذهب الذي كانت تجده كل صباح تحت وسادته، ومنذ ذلك اليوم أصبحت تجد الذهب تحت وسادتها، وخشيت أن يفطن زوجها لفعلتها، فدبرت له مكيدة للتخلص منه.

ذات صباح قالت له:

ـ لماذا لا نذهب في رحلة بحرية نستمتع فيها، ثم نعود وقد صرنا أكثر حبّاً وإقبالاً على الحياة؟

لم يمانع الزوج المخدوع، وركب معها السفينة رفقة خادمتها، وعندما اقتربوا من جزيرة مهجورة، أنزل قارباً أوصلهم إلى غابة الجزيرة ليستريحا على الأرض، وبينما الرجل غافل عما يدبر له، أخذت زوجته وخادمتها الزورق، وعادتا إلى السفينة، وتركتاه هناك وحيداً بلا طعام أو شراب.

استغرب الرجل فعل زوجته، لكن بعد أن نام واستيقظ ولم يجد الذهب، أدرك أن زوجته قد خدعته بطريقة ما، وتخلّصت منه، عندها تساءل:

ـ كيف السبيل إلى العودة والانتقام؟

ثم تنبه لما هو أهم من هذا، حيث عليه أن يجد هذه على الجزيرة التي لا تنبت سوى بعض الأعشاب والأشجار القزمة دون ثمار، ما يأكل وما يشرب.

لم يجد الأخ الأكبر سوى العشب، فقضم عشبة شبيهة بـ«الكرفس»، لكنه ما إن مضغها حتى تحوّل إلى حمار، عندها خاف واضطرب مما حدث له، لكن الجوع أجهده، فأكل من عشبة أخرى، فعاد إلى سيرته الأولى، وعرف بعد ذلك أن عشبة تحوله إلى حمار، وأخرى تعيده إلى سابق عهده.

اختار أن يبقى حماراً؛ لأنه عندها سيكون أقدر على الغذاء من كل هذه الأعشاب، كما سيكون أكثر شدة وصلابة لتحمل الظروف القاسية في تلك الجزيرة المهجورة.

ظلّ الأخ الأكبر ينظر إلى المياه الممتدة أمامه، والأمواج التي لا تتوقف عن الارتطام بالشاطئ، وبقي يمُني نفسه بأن يسلك الطريق، ولو بزورق صغير؛ ليأخذه بعيداً عن هذا السجن المفتوح.

مرت سنتان والرجل على حاله، حتّى كاد ينسى أنه إنسان، وذات يوم أبصر زورقاً في الأفق، فسارع إلى أكل العشبة التي تعيده إلى سيرته الأولى، ولوّح إلى البحّارة، فأقبلوا عليه، وأخرجوه من ذلك الجحيم.

قرّر الأخ الأكبر الانتقام من زوجته وخادمتها، وقبْلَ أنْ يُغادر الجزيرة حمل معه العشبة التي تحول آكلها إلى حمار، والعشبة التي تعيده إلى بشر ثانية.

عندما عاد إلى المدينة دخلها على أنه تاجر خضار، وكان مبيته في العراء، قد غيّر ملامحه، فلم يتعرّف إليه أحد.

جاء إلى بيت زوجته، وأخذ ينادي:

ـ من يشتري مني الكرفس؟!

نزلت الخادمة لتشتري الكرفس لأجل طبق السلطة، فباعها، ثم تسلّل إلى الداخل، منتظراً أن تفعل العشبة فعلها.

بعد مدة سمع صوت حوافر تضرب الأرض، فسَارَع والعصا في يده، وخاطب زوجته التي أصبحت أتاناً، قائلاً لها:

ـ لقد أخطأتِ يوم تعمدتِ تركي في تلك الجزيرة المهجورة، وأنا الذي لم يذنب في حقك، وكل ذلك من أجل الذهب، والآن لقد عدت، وسآخذ منك كل شيء بعد أن أكيل لك ألواناً من العذاب، وأولها أني حولتك إلى أتان لتذوقي من الكأس نفسها.

ثم ساق البهيمتين إلى الحظيرة تحت ضربات موجعة من عصاه.

في الغد عندما كان يتناول فطور الصباح، تنامى إلى سمعه صوت الفحّام، وهو يقود حماره المحمّل بالفحم الثقيل، حتى إنه كان يتعثر في مشيْته، فناداه قائلاً:

ـ ما رأيك لو أعطيكَ أتانتين قد أبطرتهما الراحة، لتحمل عليهما الفحم، وتترك حمارك في الحظيرة ليرتاح؟

رحّب الفحام بالفكرة، وحمل بضاعته على ظهريهما، وساقهما بضربات من السوط، لأنهما كانتا لا تقويان على كل تلك الحمولة.

كانتا كلما مرّتا من أمام البيت تريدان الدخول إليه، لكن الزوج كان يرى أنهما لم تنالا ما تستحقان من العقاب، فيمنعهما من الدخول، ويحث الفحام على تأديبهما إذا لم تكونا مطيعتين.

بعد فترة أصابهما الإنهاك والهزال، فسمح لهما بالدخول إلى الحظيرة لأخذ قسط من الراحة، ثم عاد وحمَّلهما ما لا تطيقان، وكثيراً ما حاولت زوجته أن تفهمه أنها نادمة على ما فعلت، وأنها مستعدة لأن تعيد له قلب الطائر الأزرق.

بعد مدة رأى الزوج أن الوقت حان ليعود كل شيء إلى أصله، فقدم لهما العشبة المسحورة لتعودا إلى طبيعتها، لكنها كانت خائفة، حتى قام هو بأكل العشبة التي تحول الحمار إلى إنسان أمام عينيها وعيني خادمتها، عندها أكلتا منها فعادتا إلى طبيعتيهما.

وعن طريق السلك الفضي استعاد قلب الطائر الأزرق، وأصبح يحصد الذهب كل صباح من تحت وسادته.

عاش بعد ذلك مع زوجته، لا يكدر صفو حياتهما شيء، بعد أن تابت زوجته، وكفّرت عن فعلتها.

الأديب الصيني لو شون

الكاتبة: أسمهان تشي يي
المترجمة: غدير هوان ليو
المراجع: جمال بن علي آل سرحان

لـو شـون (1881-1936م)، أديـبٌ ومترجـمٌ صينـيٌ عظيـم، ويُعـدُّ أهـم أديـب صينـي في القـرن العشريـن، كان يُعـرف سـابقاً باسـم تشـو شـورين، وهـو مـن مواليـد مدينـة شـاو شـينغ بمقاطعـة زيهجيانـغ.

وُلـد «لـو شـون» في عائلـة إقطاعيـة انهـار وضعهـا المـالي حتـى الفقـر، تأثـر بنظريـة التطـور في شـبابه، في عـام 1902م ذهـب للدراسـة في اليابـان، ودرس في البدايـة اللغـة اليابانيـة والطـب، ثـم انخـرط في مجـال الأدب والفـن، بهـدف تغيـير الـروح الوطنيـة.

في شـهر مـارس مـن عـام 1906م، تـرك لـو شـون الدراسـة في كليـة الطـب اليابانيـة، واتخـذ قـراراً مـدى الحيـاة بالتخـلي عـن دراسـة علـم الطـب ومتابعـة الأدب.

مـن وجهـة نظـر لـو شـون، يمكـن للطـب فقـط أن يشـفي أجسـاد النـاس، لكنـه لا يسـتطيع تغيـير معنوياتهـم، ولا يمكنـه تغيـير الصـين القديمـة بشـكل أسـاسي. ولإنقـاذ الوطـن يجـب أن نبـدأ بالأمـر الأكثـر أهميـةً وإلحاحـاً، واعتقـدَ أن أهـم شيء منهـا هـو الأدب والفـن.

بعـد عودتـه إلى الصـين في عـام 1909م، عمـل عضـواً في حكومـة نانجينـغ المؤقتـة، ووزارة التربيـة والتعليـم في حكومـة بكـين، وقـام بالتدريـس في العديـد مـن الجامعات.

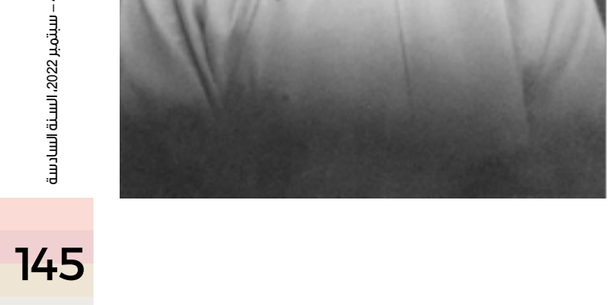

في شهر مايو من عام 1918م، نشر لأول مرة تحت الاسم المستعار (لو شون) أول رواية محلية في تاريخ الأدب الصيني الحديث، بعنوان «يوميات رجل مجنون»، والتي فضحت النظام الفاسد وهاجمته بشدة، وأرست الأساس المتين للحركة الثقافية الجديدة القادمة. في الفترة ما قبل حركة الرابع من مايو وما بعدها، شارك لو شون في أعمال مجلة (الشباب الجديد)، ووقف في طليعة الحركة الثقافية الجديدة المناهضة للإمبريالية والإقطاعية، وأصبح رائداً عظيماً وحاملاً لراية حركة الرابع من مايو الثقافية الجديدة.

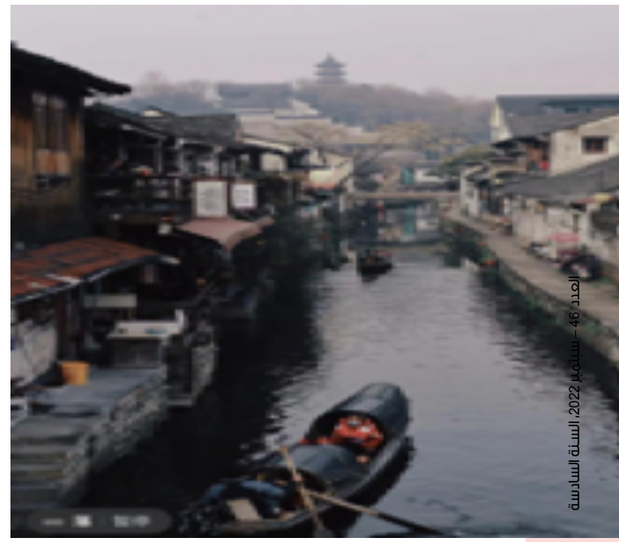

من عام 1918م إلى عام 1926م، أنشأ لو شون ونشر على التوالي مجموعاته الأدبية الخاصة مثل «الصراخ»، و«المتردد»، و«التقاط زهور الصباح والمساء» وغيرها من المجموعات الأدبية الرائعة، والتي دلت على الخصائص الأيديولوجية الوطنية والديمقراطية الشاملة في أفكاره. علق ماو تسه دينغ (مؤسس جمهورية الصين الشعبية) ذات مرة قائلاً: «اتجاه لو شون هو اتجاه الثقافة الجديدة للأمة الصينية».

خلال حياته، قدم السيد لو شون إسهامات عظيمة في العديد من المجالات، مثل الإبداع الأدبي والنقد الأدبي والبحث الأيديولوجي وأبحاث التاريخ الأدبي والترجمة، وإدخال نظرية الفن وغيرها. بعد حركة الرابع من مايو ترك بصمةً واضحةً، وتأثيراً عظيماً في تطور المجتمع والفكر والثقافة الصينية، وتمتع بشهرة واسعة في جميع أرجاء العالم، ومكانة مهمة للغاية، وعلى وجه الخصوص في المجالات الأيديولوجية والثقافية لكوريا الجنوبية واليابان؛ لذلك عرف بأنه «الكاتب الذي يحتل أكبر مساحة على الخريطة الثقافية لشرقي آسيا في القرن العشرين. كان السيد لو شون شخصاً محباً ورحيماً ومتعاطفاً مع الطبقة الفقيرة من الناس، ولم يتجاهلهم بسبب فقرهم أبداً. وغالباً ما كان يبذل قصارى جهده لمساعدة الآخرين، طالما طلب منه الآخرون ذلك.

كان مثابراً للغاية في الأدب، ومارس القراءة بشغف من

أعماق قلبه، وإنه لأمرٍ جدير بالأهمية، ويستحق منا أن نستفيد منه الآن، فضلاً عن ذلك، فقد كان صبوراً ومحباً لجيل الشباب، وبفضل إسهاماته العظيمة الهائلة التي قدمها للأدب، فقد حظي باحترام الأجيال اللاحقة، وتقديراً له تقوم كل عام بإحياء ذكراه.

د. منّي بونعامة
مدير التحرير

شرفة

تراث الشارقة

الناظـر اليـوم إلى المشـهد الثقـافي في أي بقعـة مـن العـالم، يجـد فيـه نزوعـاً واضحـاً، وميـلاً كبـيراً إلى الـتراث، والعـودة إلى الجـذور، وبنـاء أواصر قويّـة، وعلائـق متينـة مـع المـاضي، بـكل مـا يرمـز إليـه مـن عراقـة وعتاقـة وقِـدم، ويـأتي ذلـك في وقـت سـقطت فيـه الأقنعـة الزائفـة، وتهـاوت الطروحـات الواهيـة، حـول ربـط الـتراث بالرجعيـة والتخلّـف والفشـل، ذلـك أن واقـع الحـال يـشي بنـوع مـن الارتبـاط الوثيـق، والوشـائج القويّـة مـع المـاضي الـتراثي، الـذي يرمـز إلى الهوية والقـوة والانتماء، ولا أدلّ على ذلـك مـن تهافـت النـاس، وتعلّقهـم وانجذابهـم الدائـم إلى كل مـا لـه صلـة بالـتراث، أيّـاً كان نوعـه، ويتجـلى ذلـك بـشيء مـن الوضـوح في المهرجانـات التراثيـة التـي تحتضنهـا الشـارقة، الإمـارة الباسـمة، كل عـام، والتـي يربـو عُمـر بعضهـا عـلى أكـثر مـن عشريـن عامـاً.

فمـن فعاليـة بسـيطة تنتظم ضمـن دائـرة ضيّقة، انطلـق «الـراوي» عـام 2001، ثـم مـا فتـئ أن أضحـى ملتقـى دوليـاً يجمـع رواة العـالم في الشـارقة كل عـام، ابتـداءً مـن عـام 2015. وكذلـك كانـت أيـام الشـارقة التراثيـة تظاهـرة تراثيـة، يتم تنظيمهـا في المنطقـة التراثيـة بقلـب الشـارقة، ثـم غـدت مدرسـة تراثيـة بهويـة محليـة، ورؤيـة عالميـة تجتـذب إليهـا كل عـام كـمّاً كبـيراً مـن ثقافـات العـالم، وتـراث الشـعوب، والأمـر نفسـه ينطبـق كذلـك عـلى ملتقـى الشـارقة للحِـرف التقليديـة، وبشـارة القيـظ، وغيرهـما مـن البرامـج التراثيـة القيّمـة، التـي مضـت عليهـا عقـود مـن الزمـن، مـع الانتظـام في الانعقـاد سـنوياً. وقـد اتسـعت دائـرة هـذه المهرجانـات في نطـاق مـشروع الشـارقة الثقـافي، لتحتضـن تـراث العـالم، وتتحـاور معـه وتتجـاور، وذلـك مـا تجـلّى في أسـابيع الـتراث الثقـافي العالمـي في الشـارقة.

بهـذه الرؤيـة الثقافيـة الشـاملة، اسـتطاعت الشـارقة عـلى مـدى عقـود متتاليـة، أن تقـدّم صـورة ناصعـة ومشرقـة عـن الـتراث، ودوره في مـد جسـور التواصـل بـين مختلـف الثقافـات والحضـارات، بوصفـه الإطـار الناظـم للثقافـات الإنسـانية، مهـما شـطّ بهـا المـزار، ونـأت بهـا الـدار، فالـتراث الثقـافي يجمعهـا.

mini.abdelkader@yahoo.com

world. Therefore, the heritage programmes found a large space to shine for more than two decades, notably Sharjah International Narrator Forum, Sharjah Heritage Days, Sharjah Traditional Crafts Forum, World Cultural Heritage Weeks in Sharjah and others.

In this issue, we have important stops with the most prominent festivals, programmes and heritage events organized in all regions of the emirate, in the UAE, the Arab region and the world, with a view to introducing these programs and events, and presenting them to the readers to learn about their diversity and richness.

It is also including qualitative approaches related to multiple heritage issues in the UAE and the Arab region. This comes in line with our tireless endeavor to make the «Marawed» magazine the Arab cultural and heritage platform, and the overwhelming shade for our Arab elites, where they find space for discussion, dialogue, cultural exchange and human communication. In fact, the magazine comprises elite of Emirati, Gulf and Arab writers, who present serious and purposeful heritage content that touches the major goals we seek to achieve.

Heritage festivals enhances awareness of heritage

Festivals, programmes, events and activities contribute significantly to enhancing awareness of the importance of cultural heritage, inculcating its values among children and youth, and delivering its lofty message to all members of society. Hence, the Sharjah Institute for Heritage has been working on reinforcing this aspect within its strategic vision, taking advantage the great turnout of audience and heritage lovers and the abundant chances of heritage programmes and cultural events.

Sharjah is the capital of the Arab and Islamic culture, and the attractive destination for the Arab culture. It organises annually dozens of programmes and events that host a group of thinkers, experts and creators from all over the